النصائح الكافية

تأليف

العلامة المحقق الجليل الشريف النبيل

السيد محمد بن عقيل بن عبد الله بن عمر بن يحيى العلوي

المتوفى سنة ١٣٠٥هـ

تحقيق وترقيم

غالب الشابندر

راجعه

ع. ح. الخطيب

مؤسسة الفجر

لندن - بيروت

النَّصَائِحُ الكَافِيَة

الطبعة الأولى

1412 هـ - 1991 م

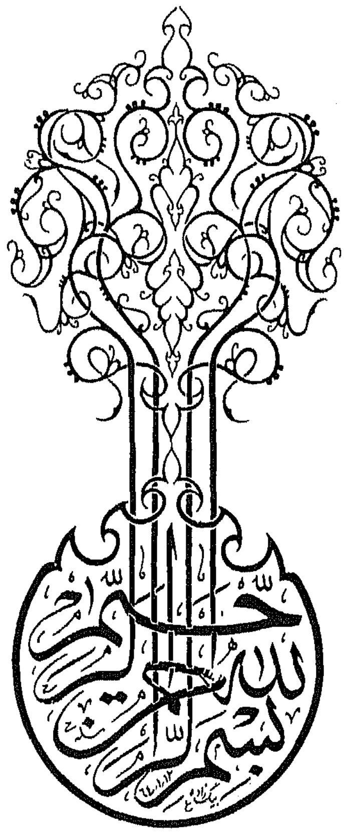
مؤسسة الفجر

لبنان - بيروت
ص.ب ٢٥/٢٠٨



مؤلف الكتـاب

السيد الشريف محمد بن عقيل رضى
الله عنه


بسم الله الرحمن الرحيم

تنبيه

ربما يحمل الذهول أو الجهل بعض الناظرين من أول وهلة على عدم الإهتمام بموضوع هذه الرسالة ويتخيل في ذهنه أنه غني من دينه عنها فيعرض عن مطالعتها ، ويرغب عن الوقوف على فوائدها وحججها وبراهينها ، مع أن الأمر ليس كما يتخيل فإن الرسالة مشتملة على تحقيق عظيم في شطر من صريح الإيمان لا يتم إيمان المؤمن إلاّ به فقد جاء في الآيات المتعددة والأحاديث الجمّة : أن صريح الإيمان وحقه هو الحب في الله والبغض في الله ، ومتى تلبّس المؤمن بالحب في الله فقد أحرز شطر الإيمان ، ومتى أبغض في الله أحرز الشطر الثاني ، لا يكمل إيمانه إلاّ بهما معاً ، ومن منته نفسه الغرّارة أن إيمانه يكمل بالحب في الله فقط فليتهمها في إيمانه حيث خالفت في ذلك ما جاء به كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلّى الله عليه وآله وسلم ﴿ **أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض لا تجد قوماً يؤمنون به واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله** ﴾ الآية[1] .

فليكن الإنسان على بصيرة من نفسه ودينه والله الموفق والهادي .

المؤلف

---

(١) سورة المجادلة : آية ٢٢ .

تقــــديم

بقلم العلّامة المغفور له الشيخ عبد الله السُّبـتي

أنا لم أتعرف على الشريف العلّامة السيد محمد بن عقيل[1] ولا التقيت معه في زمن من الأزمان .

(١) السيد محمد بن عقيل ركن من أركان النهضة الإصلاحية وعلم من أعلام الشريعة الإسلامية وقطب من أقطاب السادة العلوية ، عاش زهاء سبعين عاماً قضى جلهـا في العلم والعمل ، والدعوة إلى الحق والجهر بالصدق ،مع ما حباه الله به من خلق زاهر ، وأدب باهر ، وقلب طاهر .
ولـد في شعبان سنـة ١٢٧٩ هـ ببلدة مسيلة آل شيخ بقـرب تريم وتـربّى في حجـر والـدين كريمين هما من خيرة الأشراف ، وقد اعتنى والده رحمه الله في تعليمه فأحضر لهذه الغاية بعض علماء حضرموت فكانت آثار النجابـة ساطعـة البرهـان في محياه الـوسيم ، وكان من صِغَـرِهِ مجبولاً على حب أهـل البيت الطاهـر وبغض أعـدائهم ، كيف لا وهـو يمت إليهم بالنسبين حتى قيل : إنه كان وهو في السابعة من سنيه ينظم الأراجيز في مدح الهاشميين ، ويتغنى بها مع الأولاد ، وكان جد ولوع في كتب التاريخ والتراجم لا يفـوته منهـا شاردة ولا واردة ، ودرس النحو وأتقنه وقرأ كثيراً من الكتب والفنون على والده وعمه ومن أحضراه لـه من المشائخ وكان والده يحرضه على الإستقـلال في الفكر لـذلك نشـأ مستقلة غير مقلد ، وساعده على بلوغ مرامه أنـه كان لأسـلافه مكتبـة حافلة في الكتب المخـطوطة النفيسـة ، وزادها حسناً أن الفقيد رتَّب لها حسب ذوقه فهرساً لطيفاً وقد أعـطاه بها بعض وجهـاء مصر مبلغاً كبيراً من المال فلم يشأ بيعها لكنها مع الأسف تشتت أكثرها .
توفي والده وهو ابن خمس عشرة سنة ومع صغر سنه قام مقام والـده أحسن قيام ، ثم رحـل وهـو في السابعـة عشرة من سنيـه إلى سنغافـورا والبلاد المجاورة فاشتغل هنـاك بـالتجـارة=

ولقد التقيت به مراراً وتعرفت عليه ، فرأيته ثمرة ناضجة من ثمار الثقافة العربية ، تثقف في علوم الدين واللغة ثقافة محيطة شاملة ، وشارك المصلحين في إيقاظ النهضة الفكرية الدينية وعمل مع العاملين في نصرة الحق والإنتصار لأهل البيت النبوي الطاهر عليهم السلام ، وفي الحق أنه فذٌ في مواهبه ، موهوب فيما ألَّف وكتب .

وقد يوجد في الناس من ينكر علينا هذا التناقض ! فأني سجلت على نفسي أني لم أتعرف عليه ولا التقيت معه ، ثم ادعيت أني عرفته والتقيت معه !؛ ولا شك بأن هذا الإنكار إنما يرجع في غالب الأحيان إلى ما تهيأ لهؤلاء من تفكير بسيط لا يتجاوز مد العين الباصرة ، ويعجزون إذا حاولوا أن يطلقوا الفكر ويحلوا قيوده ويفتحوا له باب القفص لئلا يبقى الفكر يضطرب في أضيق مكانٍ ، يعجزون عن أن يصلوا بتفكيرهم إلى أكثر مما تقع عليه حاسة البصر فقط . .

= وأفلح ، وأول مؤلفاته كتاب النصائح الكافية لمن يتولى معاوية ظهر بها فضله لدى المنصفين ، ثم ألف كتباً كثيرة كلها من خيرة ما ألف كالعتب الجميل على أهل الجرح والتعديل وغيره .

وآخر كتاب له ـ وهو كتاب جليل جداً ـ كتاب ثمرات المطالعة يبلغ زهاء ثمانية آلاف صفحة ، وكان شرع في مصر بطبع الجزء الأول منه

ومن أجلِّ أساتذته المرحوم المقدس السيد أبو بكر بن شهاب . وللفقيد رحلات كثيرة في سبيل الدين والعلم والتجارة ، ولم يكن المال لديه سوى أداة لقضاء الحاجة لذلك كان ينفق ما جمعه وهو غير قليل في سبيل البر والإحسان . حج ثلاث مرات وزار العراق وسورية ومصر خاصة عدة مرات ، كما زار الهند واليابان والصين وغيرها من الأقطار الشرقية ، وزار كثيراً من عواصم أوروبا لا سيما باريس وحضر معرضها الكبير ، وخطب هناك واجتمع بكثير من المستشرقين وله معهم مساجلات ومحاورات لطيفة ، وكان يكتب أحياناً في الصحف فكتب في المؤيد والمقطم والأهرام والعرفان ولما زار إمام اليمن أكرم مثواه وحمله من الحديدة إلى صنعاء في طائرة وخصص له مكاناً خاصاً في جانب غرفته وأبقاه في كنفه شهرين كاملين ، وقد توفى الفقيد سنة ١٣٥٠ هـ في المكلا باليمن وقد عطلت المحاكم في اليمن لوفاته وسارت العساكر في جنازته منكسة الأعلام . (عن مجلة العرفان ـ صيدا) .

إنـك لتمـر في السـوق والمـراكـز العمـومية فيقـع بصـرك على العشرات لا بل على المئـات وعشرات المئـات فلا يلفت نـظرك واحد منهم ولا تلفت أنت نـظر واحـد منهم ، ولكنـك تـذهب إلى الـوراقين ـ بـاعة الكتب ـ والمكتبـات العامـة فتجلس إلى العلمـاء من فـلاسفـة وفقهـاء ومتصوفـة وحكماء ووعـاظ وأدباء وسـاسـة وشعـراء فتجـادلهم وتنـاظـرهم وتفلجهم بـالحجـة حيناً ويفلجـونـك ، أنت صـامت وهم صامتون ، أنت متكلم وهم متكلمون ، وفي ظل هذا النقاش الصامت تتعـرف عليهم وتلتقي بهم فتكـون منهم على أوثـق مـا يكـون مـن الصـلات ، وليست الصلة بـالأجسـام ممـا تستـريـح إليهـا جميـع الأذواق وتلتذ بها جميع النفوس ، ولكن صلة النفس بـالنفس هي التي تتنعم بها النفوس وتلتذ بها العقول بما تفيض عليهما من ألوان المعاني من كل بديع وكل دقيق .

* * *

أنا لـم أُشاهد السيد محمد بن عقيل ولـم أتعرف عليه بالمشاهـدة ولكن في المكتبة تعرفت عليه واجتمعت مع هـذا الرجـل ، الكبير في أدبه ، الواسع في اطلاعه ، الصريح في أنصافـه . في المكتبة عـرفته وسـاجلته في الحـديث ، وفي المكتبة يتعـرف عليه كـل من لا يعرفـه ويريد أن يتعرف عليه ، وفي المكتبة يستطيع القارىء أن يتعـرف على العلمـاء ، والفـلاسفـة والحكمـاء ، والأدبـاء والشعـراء ، والمؤرخين والمحدثين ، بل يجتمع مع الأنبياء والمرسلين ، وإن كـانوا جميعـاً قد غيبتهم الأرض وأكلت لحومهم ونخرت عظامهم .

وأنا أيضاً ألتقي معك يا قارئي هنا وإن كنت أنا في شرق الأرض وأنت في غربها .

وبعد ـ فلا أظن أن أحداً يجادلني إذا ما قلت أني التقيت مع الشريف محمد بن عقيل ولم أره ، وتعرفت عليه ولم أشاهده ، لأن الكتاب عنوان مؤلفه ويعطي صورة عنه تسير مع الأجيال ما دام الكتاب موجوداً يقرأ ويتعرف عليه كل من يقرأ كتابه ، ولا أريد الكلية المنطقية المسورة بكل ، ولكنه في الكثير الغالب ، وإنما أقيده بالغالب ، لأن في طبقات القارئين من لا يأخذ صورة عن المؤلفين عند قراءة كتبهم ، وإنما يخرج من الكتاب كما دخل ، وكلما فعله أنه إجتاز قطعة من الزمن لاهياً عن آلامها لا أكثر ولا أقل .

* * *

ولسنا نريد في هذه الكلمة القصيرة أن نقدم المؤلف إلى جمهرة القراء وإنما كتابه هذا ومؤلفاته الأخرى(١) ، هي التي تقدمه علّامة باحث. وكذلك لا نريد أن نقدم إلى القراء كتابه ـ النصائح الكافية لمن يتولى معاوية ـ فإن الكتاب يقدم نفسه بنفسه دون أن يحتاج إلى أحد يقدمه .

وكذلك لا نجد متسعاً لتقديم الكتاب والمؤلف ، لأن الكتاب اشتمل على صفحة علمية أنيقة جميلة ، والمؤلف بلغ أقصى ما أراد في الجهة التي اختار الكتابة فيها ، فلم يبق مجال للنقد ، ولا ثمة نقص يحتاج إلى التعليق ، وكل من المؤلف والكتاب غني عن الثناء والمدح والجزاء موكول إلى الله عز وجل .

ويقف الباحث في هذا الكتاب وفي سائر مؤلفاته التي رأيناها على أراء سديدة محكمة في نقد الحوادث لم تعرف لغيره من قبله ،

---

(١) رأينا منها كتاب تقوية الإيمان وكتاب العتب الجميل في الجرح والتعديل وفصل الحاكم في النزاع والتخاصم فيما بين بني أمية وبني هاشم .

وعلى ما يبدو لنا، أن المؤلف وقف أمام الميزان ـ في كل تآليفه ـ مجرداً عن كل شيء إلّا كتاب الله المجيد ، وسنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم المطهرة .

وإذن كل ما أريده الآن أن أتحدّث إلى القارىء ببضعة سطور عن إنصاف هذا المؤلف في خلعه الثوب الذي لبسه غيره ممن تقدم عليه فأحترم كل من شاهد النبي وصاحبه حتى لو كان معاوية وأباه ومروان وأباه وبسر ابن أرطاة وعمران بن حطان وأضراب هؤلاء .

* * *

يعرف المتصلون بعلمي الرجال والجرح والتعديل أن صراعاً عنيفاً بين الطائفتين الكبيرتين من المسلمين أهل السنة والشيعة حول أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، واستطاعت العقيدة والسياسة أن يلعبا دوراً مهماً في هذا النزاع الحادّ بين الطائفتين ، واستمر النزاع يشق طريقه بين الحديد والنار إلى الأجيال ، يستمد قوته من العقيدة لاغياً كل إعتبار من الإعتبارات الأخرى ، وحال دون التعاون بين المسلمين ، وتأخر الإسلام بسبب هذا الصراع ، حتى أوشك النزاع أن يقضى عليه .

أجل ، إنقسم المسلمون إلى قسمين : قسم ألبس صحابة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثوباً من القداسة الغير المحدودة بحد ولا يمكن أن تتناولها يد ، ولا يمكن للعقول أن تحوم حولها في لحظة من اللحظات ولا في حال من الأحوال ، وهؤلاء اعتبروا أن الصحبة لا يمكن أن تنتج إلّا ما يصح أن يكون ، وهي وحدها كافية لتبديل آثار البيئة والوراثة ، وهي قادرة على تحويل النفوس الشريرة إلى نفوس صالحة فحكموا على جميعهم بالطهر والقداسة ! . . .

وقسم من المسلمين لم يعتبر الصحبة إلّا شرفاً يغبط عليه الصحابي فقط وأما القداسة والطهر فأمران خارجان عن الصحبة ومرجعهما واقع الأمر في كل صحابي فمن عمل منهم صالحاً واتقى الله سبحانه حق تقاته وعمل بأوامر الله ورسوله ولم يقترف إثماً من قتل وظلم واعتداء فذلك هو الصحابي الواجب علينا تقديسه وإكباره ، وأما من اقترف شيئاً من إثم فليست الصحبة حارسة له وهو كغيره من المسلمين الذين يلقون آثاماً .

وعند هذا القسم من المسلمين الصحبة وتقوى الله يتعاونان على قداسة الصحابي وطهره ، وإذن لا بد لهذا القسم أن يأخذ الغربال فيغربل ويأخذ مبضعة الطبيب فيشرح . وهكذا فعل هذا القسم ، غربل بإنصاف ما وسعه أن يغربل ولم يبال بصيحات المرجفين ؛ وليس من موضوعنا أن نتحدث هنا عن مصاير هذه الغربلة فقد استطاعوا أن يذودوا عن آرائهم ببراهين قاطعة .

والمؤلف لم يسلك سبيل قومه فلم يخلع على سائر الصحابة ثوب القدس والطهارة واستطاع أن ينزع ذلك الكابوس عن عقله فأشفق على صحب النبي صلّى الله عليه وآله وسلم عن أن يدنسهم فيدس فيهم من يلوث شرف الصحبة . فاستمع إليه يقول :

« والصحابة الذين يصدق عليهم التعريف المخترع الحادث وتحوي المعاجم أسماء كثير منهم قسمان : قسم أخلص في الإيمان وأحسن الصحبة ووفى بالحق فهو محمود ممدوح أهل للثناء والتعظيم والإحترام من كل مسلم ، وقسم نافق وأساء الصحبة وخان وغدر وهو مذموم عند كل مصنف . ﴿ لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون ﴾[1] ، ﴿ أم نجعل الذين آمنوا

(١) سورة الحشر : آية ٢٠ .

وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض﴾[1] الآية » وأسمعه أيضاً يقول :

« إن صحبة النبي صلّى الله عليه وآله وسلم شرف عظيم . . ومرتبة سامية ، ومنزلة عالية ، وأصحابه صلى الله عليه وآله متفاوتون في فضلها وشرفها بقدر ما أحسنوا فيها . وإذا عصي أحد منهم وحادَّ الله ورسوله وارتكب الكبائر وأصرّ على معصيته فقد ترك ما أوجب له المحبة من الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم ، إذ ليس عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم محاباة ولا مداهنة في عداوة من الله وعصيانه . . ومن الغباوة إن لم تقل من العناد إهدار كل كبيرة وموبقة بدعوى حرمة الصحبة . لا شك أن للصحبة حرمة عظيمة وشأناً فخماً . . ولكن مقيد بما قدمنا » .

تحس وأنت تقرأ هذا أن المؤلف يرى أن الصحبة لا تمتد إلاّ إلى أفراد مخصوصين من أصحاب النبي صلّى الله عليه وآله وسلم ، وأن أثر الصحبة وشرفها لا يكون بارزاً إلاّ في الرجال الذين أخلصوا في إيمانهم وأحسنوا ووفوا بما عاهدوا الله عليه وهم قليلون أولئك هم الذين فازوا بالقدس والطهر ، وأولئك هم الأصحاب حقّاً وفازوا بشرف الصحبة (رضي الله عنهم ورضوا عنه) .

وكم كنت أود لو أن المؤلف توسع في حديثه واتسع غربالـه لجميع الصحابة وهذا الذي نأخذه على المؤلف فقد تساهل هنا وكان حق له أن لا يتساهل ، وكل حق له أن يعمل على تنقية الصحابة ولكن أظن أن قلمه لم يكن ليقوى على تحمل هذه المسؤولية العظمى ؛ ولعل في الغربلة التامة ما يحرجه ولكن . . ولكن الحقيقة لا تعرف المراعاة .

---

(١) سورة ص : اية ٢٨ .

وليس بإمكان هـذا التقديم أن يتسـع للكلام في هـذا الموضـوع المتباعد الأطراف فأنه يحتاج إلى عشرات المئات من الصحائف .

ومهمـا يكن من شيء فـإن الكتـاب آستوفى مـوضـوعـه حق الإستيفـاء ، ولا ينافيـه إن أخذنـا عليه أنـه لم يعط المسألـة حقهـا من جميع نواحيها ليكون الكتاب عامّاً شامـلاً ، والمصنف منفرد عن قـومه بطريقه، منصف في ما أراد أن يكتب فيه مـا شاء لـه الإنصاف، عـادل ما شـاء له العـدل ، ولا نفهم إنصافـه وعدلـه إلاّ إذا درسنا معـه المقياس الـذي اتخـذه وسيلة للوصـول إلى الحـق في بـحثـه وإذا أعـرض المعرضون عن هذا المقياس وأبـوا إلاّ أن تكون الصحبـة وحدهـا هي المقياس فقد ضاعت الحقيقة .

وأختم كلمتي هـذه راجعاً إلى مـا ذكـرتـه آنفـاً فـأقـول : لـو أن المؤلف سار مع المقاييس والمعايير التي سار عليهـا في مؤلفه هـذا مع جميع الصحابة ليكون بحثه أتم وأشمل ولكن له عذره عنـدنا فلعله لم يرد أن يعرض في كتابه نقداً له تفاصيله وله آفـاته ، فـإذن لا بد لـه أن يقف عند هذه النقطة الحساسة فقط .

وأحسب أننا بعد التسليم له بهذا لسنا في حاجـة إلى أن نناقشـه فيما لم يرده أو أراده ولكن لم تسمـح له بـه ظروفـه والبيئة التي يعيش فيها .

❊ ❊ ❊

بسم الله الرَّحمٰنِ الرَّحيم

الخطبة والسبب الداعي إلى جمع الرسالة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين ، وأصحابه الراشدين ، وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد فإني قد اطلعت على سؤال صورته :

سيدي قال لي أحد العلماء : إنَّ من يلعن معاوية أقل خطراً ممَّن يترضى عنه ، فهل هو مصيب في ذلك أم مخطىء أفيدونا ؟

وقد أجابه أحد العلماء بأنه مخطىء بلا شبهة ، وأطال في جوابه من الإستدلال والنقل بما لا تقوم به الحجة وحيث أني أرى الحق مع العالم الأول ، وأرى أن هذا المجيب قد استعجل في أمر كان له فيه أناة لم يسعني إلا أن أكتب هنا ما علمته وتحققته في هذه المسألة هرباً من الوعيد الوارد في قول الله تعالى : **﴿ إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البيِّنات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون إلاّ الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم ﴾**(١) وفي قوله عز وجل : **﴿ إن الذين يكتمون ما**

---

(١) سورة البقرة : الآية ١٥٩ ـ ١٦٠ .

أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمناً قليلاً أولئك ما يأكلون في بطونهم إلاّ النار ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم ﴾[1] وفي قوله جل وعلا : ﴿ وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتُبيِّنُنَّهُ للناس ولا تكتمونه ﴾[2] وفي قول النبي عليه أفضل الصلاة والسلام : « من كتم علماً عن أهله ألجم يوم القيامة لجاماً من نار »[3] إلى غير ذلك .

وأرجو أن يعيد ذلك المجيب الفاضل النظر فيما قاله ، إذ لا ريب في أن الحق ضالته وضالتي ، وقد استحسنت أن آتي على المسألة بحذافيرها ، وأبين أدلتها وما يتفرع عنها في هذه العجالة ، وسيأتي في مطاوي فصولها ما هو كالجواب على أدلة ذلك العالم الفاضل .

وها أنا شارع بعون الله في تحليل المسألة المسؤول عنها ، وتقرير حكمها تقريراً واضحاً يهتدي به إن شاء الله من اطَّرح التعصب الذميم جانباً ، ويستبصر به من كان في معرفة الحق راغباً ، ويجد به المنصف ضالته المنشودة ، ويظفر منه الطالب بطلبته المفقودة . فأقول :

لعن معاوية من الإثم أم لا ؟

إعلم وفقني الله وإياك أن الخطر هو الإشراف على الهلاك ، وهو هنا : الإثم الموجب للعقاب ، واللعن هو الطرد والإبعاد ، ولعنه

(١) سورة البقرة : الآية ١٧٤ .

(٢) سورة آل عمران : الآية ١٨٧ .

(٣) كنز العمال : ج ١٠ ص ٢١٧ ح (٢٩١٤٩) طبع مؤسسة الرسالة .

الله طرده وأبعده ، والدعاء به على المسلم ممنوع إلا من اتصف بصفة استحق بها ذلك ، وسنورد فيما بعد كثيراً منها جاء به الكتاب والسنة .

فينبغي لنا الآن أن نعرف أن لعن معاوية هل هو من الإثم الذي يحصل بارتكابه الخطر على اللاعن كما ذكر في السؤال أم لا ؟ وأن الترضّي عن معاوية وتسويده المستعمَلَين شعاراً للتعظيم ، كما يُترضى عن الشيخين وغيرهما من الأكابر عند ذكره موجب للإثم المحصل للخطر أم لا ؟ وليس لنا أن نحكم في شيء منهما إلا بدليل ، لأن الحكم بغير دليل تحكم في دين الله والعياذ بالله تعالى . قال الله تعالى : **﴿ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب﴾**(1) ولا دليل إلاّ فيما جاء عن الله على لسان رسوله صلى الله عليه وآله من كتاب أو سنّة أو إجماع صحيح ، مستند إلى الكتاب أو السنة أو قياس صحيح ، مستنبط من أحدهما . وكل دليل لا يرجع إلى ما تقدم فمردود لا يعتد به ، مضروب به في وجه صاحبه كائناً من كان .

وإذا استقرينا أدلة جواز لعن معاوية الآتية من الكتاب والسنة مع ما يتعلق بها ويفسرها من فعل أكابر الصحابة وأهل البيت الطاهر ، وجدناها أقوى بكثير من أدلة جواز تعظيمه بالترضّي عنه وتسويده ، كما تُسوَّد الأكابر ويترضّى عنهم من الأدلة على جواز تعظيمه والترضي عنه في الحقيقة ، وإنما هي تمحلات وتأويلات ، ستعرفها مما يأتي ، ومنها : يعلم أن الإشراف على الهلاك بلعن معاوية أقل منه بالترضي عنه وتسويده ، بل لا خطر في لعنه أصلاً وإليك التفصيل .

---

(1) سورة النحل : اية ١١٦ .

المسلمون في معاوية ثلاث فرق :

فنقول : المسلمون في كبير الفئة الباغية ورئيس النواصب معاوية ثلاث فرق :

فرقة حكموا بفسقه ، وأوجبوا بغضه في الله ، وأجازوا لعنه ، ومنعوا من تسويده والترضي عنه تعظيماً له وإجلالاً ، وهم أهل الحق والهدى ورئيسهم الأكبر يعسوب الدين(١) وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ﴿ **أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده** ﴾(٢) .

وفرقة ثانية آنست من الحق جانباً ، وأدركت من شعاع الحقيقة وميضاً ، وعرفت معاوية وفظاعة شأنه ، وعظيم طغيانه ، وفاحش عصيانه ، ولكن قامت لديهم شبه زخرفها متقدموهم ، ونمقها سابقوهم ، فأحجموا بسببها عن تفسيقه وإعلان بغضه ، ولم يجيزوا لأنفسهم ما أجازته الفرقة الأولى ، زاعمين أن السلامة في المسالمة والنجاة في الإحتياط ، وجمدوا على ذلك ، وقعدوا عن الإجتهاد والبحث في إحقاق الحق وإبطال الباطل ، وهذه الفرقة المرجو لها إن شاء الله الرجوع إلى الصواب ، والتنكب عن مسالك الخطأ إذا انقشع بالبحث غبار الشبه التي قامت لديهم ، وأزيح ستار التمويه الملتبس عليهم ، لا سيما إذا استحضروا قول الله تبارك وتعالى : ﴿ **فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً** ﴾(٣) .

وفرقة ثالثة أطروه بما ليس فيه وألبسوه غير لباسه ، ووضعوا الأحاديث في فضله وانتحلوا له المناقب ، وبدلوا سيئاته حسنات ،

---

(١) الرياض النضرة للمحب الطبراني : ج ٢ ص ١٧٧ .
(٢) سورة الأنعام : الآية ٩٠ .
(٣) سورة النساء : الآية ٦٥ .

ويريدون أن يرفعوا له في الدين علماً وضعه الله ، ويحاولون أن ينصبوا له من الحق لواء نكسه الله ، عناداً للحق ومغالاة في التعصب ، لا يلتفتون إلى دليل ، ولا يقبلون حجة يدفعون المتواتر في شأنه بالتأويل ، ويقابلون الآحاد بالتضعيف ، ليزهقوا روح الحق ، وينعشوا روح الباطل ، ولهم أتباع وأذناب منتشرون في نواحي الأرض ملأوا البقاع نعيقاً ، وأفعموا اليفاع[1] نهيقاً ، لا تجد لديهم عند البحث إلاّ الصخب والسباب ، والنفور عن سماع الحق والتعصب الصرف لمقلديهم ﴿ **وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم إذا فريقٌ منهم معرضون ، وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين ، أفي قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله بل أولئك هم الظالمون** ﴾[2] وهؤلاء لا كلام لنا معهم ، ولا إلتفات إلى هذرهم وهذيانهم ، ولا إعتبار بخلافهم ، ولا نظر إلى تمحلهم وانتحالهم ، ولا طمع في هدايتهم ، في آذانهم وقر عن سماع الحق ، وعلى أبصارهم غشاوة عن نور الهدى ﴿ **أرأيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلاً أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلاّ كالأنعام بل أضل سبيلاً** ﴾[3] وليس جوابهم إلا إهانتهم بالإعراض عنهم ، والسكوت عند كلامهم ، فإنما هم فئة الشقاق والعناد وعبيد العصبية والهوى ﴿ **أن يتبعون إلاّ الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى** ﴾[4] ﴿ **يحسبون أنهم على شيء ألا إنهم هم الكاذبون** ﴾[5].

---

(١) اليفاع : ما ارتفع من الأرض .

(٢) سورة النور : الآيات ٤٨ ـ ٤٩ ـ ٥٠ .

(٣) سورة الفرقان : الآية ٤٣ ـ ٤٤ .

(٤) سورة النجم : الآية ٢٣ .

(٥) سورة المجادلة : آية ١٨ .

تقسيم الكلام إلى مقامين

وهؤلاء هم الذين قال فيهم الإمام أحمد رحمه الله ، لما سئل عن معاوية أن قوماً أبغضوا علياً فتطلبوا له عيباًفلم يجدوا، فعمدوا إلى رجل قد ناصبه العداوة فأطروه كيداً لعلي ، ومن حيث أنه لا غرض لنا في الكلام مع هذه الفرقة فلنجعل الكلام هنا في مقامين :

المقام الأول :

في إيراد نبذة من أدلة الفرقة الأولى على جواز لعنه ووجوب بغضه وذكر ما يناسب ذلك من فعل أكابر الصحابة وأفاضل أهل البيت الطاهر وأجلة التابعين .

المقام الثاني :

في بيان فساد الشبه التي توقفت بها الفرقة الثانية عن استباحة لعنه وإعلان بغضه كما سترى ذلك موضحاً إن شاء الله .

مقدمة
في حقيقة اللعن وأنواعه

ولنقدم ها هنا على ذلك كله بيان حقيقة اللعن ، وتفاوت مراتبه باختلاف موجباته ، فاللعن لغة الطرد والإبعاد ، قال المجد في القاموس : لعنه كمنعه : طرده وأبعده فهو لعين وملعون ، وقال فيه : أبعده الله نحَّاه عن الخير ولعنه ، وفيه أيضاً الطرد ويحرك الإبعاد[1] انتهى .

ويفهم من هذا : أن اللعنَ والطردَ والإبعاد مترادفة ، أو متقاربة جداً ، وهو ظاهر ، ثم هذا الطرد والإبعاد لا يختص بوقوعه على الكفار فقط ، كما زعم ذلك طائفة من العلماء ، لأن الله سبحانه وتعالى لعن كثيراً من أهل الذنوب التي ليست من المكفرات ، وقد لعن الله تعالى القاذفين للمحصنات الغافلات المؤمنات في قوله تعالى : ﴿ **إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم** ﴾[2] وأفضل وأعف من قذف منهن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها ، ومن قاذفيها حسان بن ثابت ، وهو

---

(١) القاموس : ص ١٥٨٨ مادّة (لعن) طبع مؤسَّسة الرسالة .

(٢) سورة النور : الآية ٢٣ .

من قد علمت ، ومسطح بن أثاثة وهو بدري ، وقد حدَّهما النبي صلى الله عليه وآله وسلم[٣] ، ولو كان اللعن من الله أو من رسوله مدخلا للمسلم في زمرة الكفار لكان الواجب على القاذف القتل لا الحد ، وقد لعن النبي صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله كثيراً من مرتكبي الصغائر التي لا توجب حدّاً ولا تعزيراً كلعنه الواشمة والمستوشمة وزوارات القبور[٤] ويظهر من ذلك جلياً أن من اللعن ما هو مغلظ وشديد كاللعن بسبب الكفر والنفاق والكبائر من الذنوب ، كقتل المؤمن تعمداً بغير حق ، ومنه ما هو أخف من ذلك بمراتب كلعن الواشمة ونحوها ، ومنه ما بين ذلك ، ومنه ما ترفعه التوبة ، ومنه ما يرفعه الحد ، كما دلت على جميع ذلك الآيات والأحاديث فهو لعن دون لعن وطرد دون طرد وإبعاد دون إبعاد .

ورب مبعد من درجة عالية إلى دونها هي قرب بالنسبة إلى مبعد آخر إذا ارتقى إليها ، وكل ذلك بحسب عظم الموجب وصغره فلا يذهب عن بالك ما ذكرناه ، وإنما قدمنا ذلك لئلا يندفع بعض المتسرعين إلى الإعتراض قبل أن يستحضر الحقيقة في ذهنه اغترارا بالقول السابق عن بعض العلماء : إن اللعن ملازم للكفر مع أن الحق خلافه ، والله الهادي إلى الصواب .

مهمة في أن ما أوردوه من كلام العلماء ليس للإستدلال

إعلم أنك ستجد في هذه الرسالة كثيراً من أقوال العلماء موافقاً ومخالفاً فليكن منك على بال أننا لم نذكر شيئاً منها للإستدلال بمجرده ، وإنما هو تفسير وإظهار لمعنى الكتاب والسنة ، فتحصل به

---

(١) سيرة ابن هشام : ج ٣ ص ٣١٥ . طبع دار إحياء التراث العربي .

(٢) كنز العمال : ج ١٦ ص ٣٨٨ ح (٤٥٠٣٩) ج ١٦ ص ٣٨٥ ح (٤٥٠٢٣) .

غلبة الظن في الموافق والتنبيه على الخطأ فيما علمنا في المخالف ، فيزيده الطالب بحثاً وتدقيقاً ، وما نقلناه عن أهل المغازي والتاريخ فهو كذلك ، وأكثره متواتر معنى ، لا يرتاب في وقوعه إلّا من لا إطلاع له عليها ، أو من جحده مكابرة ، ومع ذلك فأنا لم نورده إحتجاجاً به ، بل تمهيداً وبياناً ، لإنطباق الحجج الشرعية على ما وردت به فيه . وبالجملة فلا حجة إلا الكتاب والسنة والله أعلم .

المقام الأول في أدلة القائلين بجواز لعنة

في ذكر نبذة من أدلة الفرقة القائلة بجواز لعن معاوية ووجوب بغضه في الله ، وما يناسب ذلك من ذكر بوائقه المثبتة فسوقه وبغيه وجرأته على الله ، وانتهاكه حرماته ، مما يدخله تحت عمومات الآيات القرآنية والأحاديث النبوية المتضمنة للعن فاعليها ، والمشتملة على الوعيد الشديد لمرتكبيها .

الآيات القرآنية

قال الله تعالى وهو أصدق القائلين :

﴿ فهل عسيتم أن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم ﴾[1] وقال تبارك وتعالى : ﴿ إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذاباً مهيناً ﴾[2] وقال تعالى : ﴿ يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار ﴾[3] وقال جل جلاله ﴿ فأذّن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين ﴾[4] وقال تعالى : ﴿ لعن الذين

---

(١) سورة محمّد : الآية ٢٢ ـ ٢٣ .

(٢) سورة الأحزاب : الآية ٥٧ .

(٣) سورة غافر : الآية ٥٢ .

(٤) سورة الأعراف : الآية ٤٤ .

كفـروا من بني إسرائيـل على لسـان داود وعيسى بن مـريم ذلـك بمـا عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكـر فعلوه لبئس ما كـانوا يفعلون ﴾(١) وقـال تعالى شـأنه : ﴿ ومن يقتـل مؤمناً متعمِّـداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنـه وأعدَّ لـه عذابـاً عظيمـاً ﴾(٢) وقـال تعالى : ﴿ فبمـا نقضهم ميثاقهم لعنـاهم وجعلنا قلوبهم قـاسيـة يحرِّفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظّاً ممَّا ذُكِّروا بـه ﴾(٣) وقال جـل جلاله : ﴿ والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله بـه أن يـوصـل ويفسـدون في الأرض أولئـك لهم اللعنـة ولهم سـوء الدار ﴾(٤) وقال عز وجل : ﴿ وجعلنـاهم أئمة يـدعون إلى النـار ويوم القيامة لا ينصرون وأتبعناهم في هذه الدنيـا لعنة ويـوم القيامـة هم من المقبوحين ﴾(٥) وقال سبحانه وتعالى : ﴿ ومن أظلم ممن آفترى على الله كذباً أولئك يعرضون على ربهم ويقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين ﴾(٦) .

فقد لعن الله جلت عظمته في هذه الآيات المفسدين في الأرض والقـاطعين أرحـامهم ، ولعن المؤذين لله ورسـولـه ، ولعن الـظالمين مكرراً ، ولعن المعتدين والذين لا يتناهون عن المنكر ، ولعن من قتل مؤمنـاً متعمِّـداً ، ولعن من نقض الميثـاق ، ولعن الأئمـة الـداعين إلى النار ، ولعن الكاذبين على ربهم .

وقد لعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من أحدث حدثاً أو

(١) سورة المائدة : الآية ٧٨ ـ ٧٩ .
(٢) سورة النساء : الآية ٩٣ .
(٣) سورة المائدة : الآية ١٣ .
(٤) سورة الرعد : الآية ٢٥ .
(٥) سورة القصص : الآيه ٤١ ـ ٤٢ .
(٦) سورة هود : الآية ١٨ .

آوى محدثاً[1] ، ولعن من ضار[2] بمسلم أو مكر به[3] ، ولعن من سب أصحابه[4] ، ولعن الراشي والمرتشي والرائش[5] ، ولعن من غير منار الأرض[6] ، ولعن السارق[7] ، ولعن شارب الخمر ومشتريها وحاملها والمحمولة إليه[8] .

وقال من يلعن عماراً لعنه الله[9] ، ولعن من ولي من أمر المسلمين شيئاً فأمر عليهم أحداً محاباة[10] ، ولعن من أخاف أهل المدينة ظلماً[11] .

وأي صفة من هذه الصفات لم يتلبس بها ذلك الطاغية ، حتى يفلت من دخوله تحت عمومها ، والعمل بما جاء في كتاب الله تعالى ، والتأسي برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مطلوب ومشروع .

قال الله تعالى : ﴿ **لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة** ﴾[12] الآية وكذا التأسي بالملائكة لأنهم معصومون .

---

(١) مسند أحمد : ج ١ ص ١١٩، ١٢٦ . طبع مصر ١٣١٣ .
(٢) كنز العمال : ج ٣ ص ٥٤٥ ح (٧٨٢١) .
(٣) ن . م والصفحة ح (٧٨٢١) .
(٤) كنز العمال : ج١١ ص ٥٣٠ ح (٣٢٤٧٤) .
(٥) ن . م ج ٦ ص ١١٣ ح (١٥٠٧٩) ، (١٥٠٨٠) .
(٦) مسند أحمد : ج ١ ص ١١٨ ، ١٥٢ .
(٧) كنز العمال : ج ٥ ص ٣٨١ ح (١٣٣٣٠) .
(٨) كنز العمال : ج ٥ ص ٣٤٨ ح (١٣١٧٧) ، (١٣٢٥٧) .
(٩) مستدرك الحاكم : ج ٣ ص ٣٩٠ ، ٣٩١ .
(١٠) كنز العمال : ج ٦ ح (١٤٧٤٩) .
(١١) مصنف السنعاني : ج ٩ ص (٢٦٣ ، ٢٦٥) باب : من أخاف أهل المدينة ، فيض القدير ج ٦ ص ٤٠ ، وفاء الوفاء ص ٣١ .
(١٢) سورة الأحزاب: الآية ٢١ .

قد لعن معاوية مسمى وضمنا كثيرون

وقد لعن معاوية مُسمى وضمناً كثيرون تقريراً وتفسيراً لما جاء عن الله ورسوله وأكبرُهم وإمامهم وأحقُّهم بالإهتداء بهديه ، والإقتداء بفعله من جعل الله الحق دائراً معه حيث دار[1] باب مدينة علم الرسول[2] سيدنا أمير المؤمنين ويعسوب[3] الدين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، فقد كان إذا صلى الغداة يقنت فيقول : (اللهم إلعن معاوية وعمْرواً وأبا الأعور وحبيباً وعبد الرحمٰن بن خالد والضحاك بن يزيد والوليد) نقله ابن الأثير وغيره[4] وأخرج ابن أبي شيبة والبيهقي أن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قنت في الوتر فدعا على ناس وعلى أشياعهم[5] ، وأخرج ابن أبي شيبة عن عبد الرحمن بن معقل قال صليت مع علي صلاة الغداة فقنت فقال في قنوته : (اللهم عليك بمعاوية وأشياعه وعمرو بن العاص وأشياعه وأبي الأعور السلمي وأشياعه وعبد الله بن قيس وأشياعه)[6] قلت : وأبو الأعور السلمي هذا هو من أنصار معاوية وقد لعنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

فقد أخرج أبو نعيم بسنده قال قنت رسول الله صلى الله عليه وآله

---

(١) ترجمة أمير المؤمنين لإبن عساكر ، (١٥١ - ١٦١) تحقيق الشيخ المحمودي .

(٢) أسد الغابة : ج ٤ ص ٢٢ ، ميزان الإعتدال : ج ١ ص ١٩٣ ، لسان الميزان : ج ١ ص ٤٣٢ ، كفاية الطالب للكنجي : ص ٩٩ ، الإستيعاب في معرفة الأصحاب : ج ٣ ص ١١٠٢ .

(٣) مناقب الخوارزمي : ٦٢ ، جامع الصغير للمناوي الشافعي ٢٥٠ ، ذخائر العقبى للمحب الطبري ٥٦ ، فرائد السمطين للجويني ١/١٤٠ .

(٤) كنز العمال : ج ٨ ح (٢١٩٨٩)، الكامل : ج ٣ ص ٣٣٣ ، الطبري : ج ٥ ص ٧١ . وفي المصادر : الضحاك بن قيس وليس الضحاك بن يزيد كما يذكر المؤلف .

(٥،٦) سنن البيهقي : ٢/٤٩٧ ، ٤٩٨ . مع اختلاف يسير في اللفظ .

وسلم فقال : اللهم العن رعلا وذكوان وعصية عصت الله ورسوله ، والعن أبا الأعور السلمي(١) .

وأخرج ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : (لعن الله فلاناً إنه كان ينهي عن التلبية في هذا اليوم يعني يوم عرفة لأنَّ علياً كان يلبي فيه)(٢) .

وأخرج عنه أيضاً أنه قال : (أن الشيطان يأتي ابن آدم فيقول دع التلبية وهلل وكبر ليحيي البدعة ويميت السنة)(٣) .

وأخرج أيضاً عن سعيد بن جبير قال : (أتيت ابن عباس بعرفة فقال : لعن الله فلاناً عمدوا إلى أعظم أيام الحج فمحوا زينة الحج وإنما زينة الحج التلبية)(٤) . وجاء بسند رجاله رجال الصحيح إلا واحداً فمختلف فيه لكن قوَّاه الذهبي بقوله : أنه أحد الإثبات وما علمت فيه جرحاً أصلاً : (أن عمرو بن العاص صعد المنبر فوقع في علي ثم فعل مثله المغيرة بن شعبة فقيل للحسن إصعد المنبر لترد عليهما فامتنع إلاّ أن يعطوه عهداً أنهم يصدقونه إن قال حقاً ويكذبونه إن قال باطلاً فأعطوه ذلك ، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أنشدك الله يا عمرو ويا مغيرة أتعلمان أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعن السائق والقائد ـ هما أبو سفيان ومعاوية ـ أحدهما فلان ؟ قالا : بلى ، ثم قال : أنشدك الله يا معاوية ويا مغيرة ألم تعلما

---

(١) كنز العمال : ج ٨ ص ح (٢١٩٩٠) . أخرجه مسلم في كتاب المساجد ، باب استحباب القنوت في جميع الصلاة إذا نزلت بالمسلمين نازلة . ج ١ ص ٤٦١ ح (٢٩٤) ، (٢٩٩) ، (٣٠٧) .

(٢) مسند أحمد : ٢١٧/١ ، سنن النسائي ٢٥٣/٥ ، سنن البيهقي ١٣٣/٥ ، كنز العمال : ج ٥ ص ١٥٢ ح (١٢٤٢٨) وقال أخرجه ابن جرير .

(٣) كنز العمال : عن ابن جرير ج ٥ ص ١٥٢ ح (١٢٤٢٩) .

(٤) ن . م ج ٥ ص ١٥٢ ح (١٢٤٣٠) .

أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لعن عمْرواً بكل قافية قالها لعنة ؟ فقالا : اللهم بلى ، ثم قال : أنشدك الله يا عمرو ويا معاوية ألم تعلما أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لَعنَ قوم هذا ؟ قالا : بلى ، قال الحسن فإني أحمد الله الذي جعلكم فيمن تبرأ من هذا ـ يعني علياً ـ مع أنه صلى الله عليه وآله وسلم لم يسببه قط وإنما كان يذكره بغاية الجلالة والعظمة) ذكر هذا ابن حجر في تطهير الجنان .

ونقل[1] ابن الأثير قال : « لما عزل معاوية سَمُرة عن ولاية البصرة قال سمرة : لعن الله معاوية والله لو أطعت الله كما أطعته ما عذبني أبداً »[2] .

قلت : يقول العزيز الجبار : ﴿ **إن ذلك لحق تخاصم أهل النار** ﴾[3] .

وأخرج ابن عساكر عن قيس بن حازم قال سمعت علي بن أبي طالب على منبر الكوفة يقول : ألا لعن الله الأفجرين من قريش بني أمية وبني المغيرة[4] .

وأخرج ابن أبي حاتم عن الأسود بن يزيد قال : قلت لعائشة رضي الله عنها : ألا تعجبين من رجل من الطلقاء ينازع أصحاب محمد في الخلافة ؟ قالت : وما تعجبك من سلطان الله يؤتيه البر والفاجر وقد ملك فرعون مصر ، إنتهى من الدرّ المنثور .

قلت : يشير كلام عائشة إلى ثلاثة أمور :

---

(١) تطهير الجنان واللسان : ص ٥٥ .

(٢) الكامل : ٤٩٥/٣ .

(٣) سورة صٓ : الآية ٦٤ .

(٤) كنز العمال : ج ١١ ص ٣٦٣ ح (٣١٧٥٣) وقال أخرجه (ابن عساكر) .

الأول : دلالة مفهوم الصفة مخالفة أن معاوية ليس من أصحاب محمد .

الثاني : الإشارة بالمثال إلى فجور معاوية .

الثالث : تشبيهها معاوية بفرعون الذي بين الله حاله بقوله تعالى : ﴿ وما أمر فرعون برشيد، يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار وبئس الورد المورود وأتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة بئس الرفد المرفود ﴾[1] .

تنبيه : مع ابن المنير والغزالي لعن المعين

صوب ابن المنير والغزالي رحمهما الله منع لعن الشخص المعيّن ، وإن اتصف بما استحق به اللعن بما جاء في كتاب الله تعالى وحديث نبيّه عليه وعلى آله السلام ، كلعن الله زيداً الشارب ، وجوزا لعن غير المعين ، كلعن الله السارق ونحوه ، مستدلين بما في صحيح البخاري عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه : أن رجلاً كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان اسمه عبد الله وكان يلقب حماراً ، وكان يضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان النبي قد جلده في الشراب ، فأتي به يوماً فأمر به فجلد ، فقال رجل من القوم : اللهم العنه ما أكثر ما يؤتى به ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « لا تلعنوه فوالله ما علمت أنه يحب الله ورسوله » . وزاد الغزالي أنه لا يجوز لعن المعيَّن ولو كان كافراً ، حتى يتيقن موته على الكفر ، وتبعهما كثير من متأخري الفقهاء .

الجواب عن ذلك وقول الكثيرين بخلافها

وقال كثير بجواز اللعن مطلقاً ، محتجين بأن النبي صلى الله

---

(١) سورة هود : الآية ٩٧ ـ ٩٨ .

عليه وآله وسلم لعن من يستحق اللعن كافراً كان أو مسلماً ، فيستوي المعيَّن وغيره ، وأجابوا عن الحديث بأجوبة متعددة قال بعضهم : أن المنع في الحديث خاص بما يقع في حضرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم لئلا يتوهم الشارب عند عدم الإنكار أنه مستحق لذلك ، فربما أوقع الشيطان في قلبه ما يتمكن به من فتنته ، وإلى ذلك الإشارة بقوله في رواية أبي هريرة : « لا تكونوا عون الشيطان على أخيكم » .

وقال بعضهم : أن المنع مطلقاً في حق من أقيم عليه الحد ، لأن الحد قد كفر هذا الذنب المذكور ، والجواز مطلقاً في حق من لم يقم عليه ، كما جاء في حديث عبادة بن الصامت فمن أصاب من ذلك ـ أي الزنا والسرقة ـ شيئاً عوقب فهو كفارته .

وقال بعضهم : أن المنع مطلقاً في حق ذوي الزلة والجواز مطلقاً في حق المجاهرين .

واحتج البلقيني على جواز لعن المعيَّن بالحديث الوارد في المرأة إذا دعاها زوجها إلى فراشه فأبت لعنتها الملائكة حتى تصبح والحديث في الصحيح إنتهى من فتح الباري[1] .

قال النووي في الأذكار : وأما الدعاء على إنسان بعينه ممن اتصف بشيء من المعاصي فظاهر الحديث أنه لا يحرم ، وأشار الغزالي إلى تحريمه انتهى .

قال ابن حجر في الفتح : والأحاديث تدل على الجواز كما ذكره النووي في قوله صلى الله عليه وسلم للذي قال له « كل بيمينك » فقال : لا أستطيع فقال : « لا استطعت » فيه دليل على جواز الدعاء

---

(١) فتح الباري ج ١٥ ص (٨٠ ـ ٨١) . ملخصاً .

على من خالف الحكم الشرعي ، ومال هنا إلى الجواز قبل إقامة الحد والمنع بعده ، انتهى[1].

جواب أيضاً لجامع الرسالة

قلت كيف حمل ابن المنير والغزالي ومن تبعهما نهي النبي صلى الله عليه وآله وسلم أصحابه عن لعن حمار المحب لله ولرسوله على منع التعيين والنهي في الحديث معلل بمحبة الله ورسوله واقع بعد إقامة الحد ، ولا يفهم للتعيين وعدمه معنى من متن الحديث ، مع أن عمل النبي عليه الصلاة والسلام وعلى آله وعمل كثير من أصحابه وكثير من أكابر السلف بعدهم في مواطن كثيرة يخالف ما حملا عليه الحديث .

وأقوى حجة في مشروعية لعن المسلم المعيّن كتاب الله تعالى حيث قال في يمين الملاعن : ﴿ **والخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين** ﴾[2] وقد حلف النبي صلى الله عليه وآله وسلم الملاعن مكرراً ، وجعل ذلك شرعة باقية في أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى يوم القيامة ، والتعيين هنا بضمير المتكلم أقوى من التعيين بالإسم العَلَم ، كما هو مذكور في محله من كتب العربية ، ولم يقل أحد من الأمة أصلاً بكفر الكاذب من المتلاعنين ، حتى يوجه قول الغزالي ومن تبعه أن اللعن بالتعيين لا يجوز إلا على الكافر ، وقد لعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أشخاصاً سماهم وماتوا على الإسلام كأبي سفيان ابن حرب وسهيل بن عمرو وعمرو بن العاص وأبي الأعور السلمي والحكم بن أبي العاص وابنه مروان وغيرهم ، ولعن كثير من أجلة الصحابة أناساً سموهم بأسمائهم كمعاوية وعمرو بن العاص

---

(١) ن . م . ص ٨١ . ملخصاً .

(٢) سورة النور : الآية ٧ .

وحبيب وعبد الرحمن بن خالد والضحاك بن يزيد وبسر بن أرطأة والوليد وزياد والحجاج بن يوسف وغيرهم ممن يعسر عدهم وسردهم ، وقد لعن حسان بن ثابت هنداً بنت عتبة وزوجها أبا سفيان وهو إذ ذاك يكافح عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأمره ولم ينكر عليه بل أقره عليه . قال من أبيات له :

لعن الإله وزوجها معها هند الهنود عظيمة البظر[1]

وقد لعن عمر بن الخطاب خالد بن الوليد حين قتل مالك بن نويره[2] .

ولعن علي عليه السلام عبد الله بن الزبير يوم قتل عثمان إذ لم يدافع عنه[3] .

وقد لعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ابنه بلالا ثلاثاً كما ذكره ابن عبد البر في كتاب العلم قال : (عن عبد الله بن هبيرة السبائي قال حدثنا بلال بن عبد الله بن عمر أن أباه عبد الله ابن عمر قال يوماً : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « لا تمنعوا النساء حظوظهن من المساجد » فقلت : أما أنا فسأمنع أهلي فمن شاء فليسرح أهله ، فالتفت إلي وقال لعنك الله لعنك الله لعنك الله تسمعني أقول أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أن لا يمنعن وقام مغضباً) انتهى[4] .

وصح عن الإمام مالك رحمه الله أنه قال : لعن الله عمرو بن

---

(١) الديوان : ٣٨٤/١ طبع دار صادر .

(٢) شرح النهج : ١٧٩/١ ، التكامل ٣٥٨/٣ - ٣٥٩ ، الطبري ٢٤١/٣ . بألفاظه المختلفة ، وفي بعضها (. . . وشتم محمد بن طلحة ولعن عبد الله بن الزبير) .

(٣) مروج الذهب : ٥٤/٢ .

(٤) جامع بيان العلم وفضله ج ١٦ ص ٤١٤ ح (١٧٤٥) .

عبيد ـ يعني الزاهد المشهور ـ وقال محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة رحمهما الله سمعت أبا حنيفة يقول لعن الله عمرو بن عبيد .

ونقل ابن الجوزي عن القاضي أبي يعلى بأسناده إلى صالح بن أحمد بن حنبل قال : قلت لأبي أن قوماً ينسبونا إلى تولي يزيد فقال: يا بني وهل يتولى يزيد أحد يؤمن بالله ولم لا نلعن من لعنه الله في كتابه ؟ فقلت : وأين لعن الله يزيد في كتابه ؟ فقال : في قوله تعالى : **﴿ فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم﴾**[1] فهل يكون فساد أعظم من هذا القتل ، وفي رواية : يا بني ما أقول في رجل لعنه الله في كتابه[2] .

ونقل البخاري رحمه الله في خلق أفعال العباد قال : (قال وكيع : على بشر المريسي لعنة الله يهودي أو نصراني ، فقال له رجل : كان أبوه أو جده نصرانياً قال وكيع : عليه وعلى أصحابه لعنة الله)[3] .

وقد لعن بكر بن حماد والقاضي أبو الطيب وأبو المظفر الأسفرائيني وكثير غيرهم عمران بن حطان في ردهم المشهور على أبياته التي امتدح بها أشقى الآخرين ابن ملجم لعنه الله[4] .

ولعن يحيى بن معين الحسين بن علي الكرابيسي الشافعي البغدادي كما ذكره في تهذيب التهذيب[5] وما زال اللعن فاشياً بين

---

(١) سورة محمد : الآيات ٢٢ ـ ٢٣ .

(٢) نقله ابن حجر في تطهير الجنان واللسان ص ٥٠ .

(٣) خلق أفعال العباد ص ٢٠ و (بشر) في الأصل زائدة) كما في المصدر (يهودياً أو نصرانياً) .

(٤) نور الأبصار للشبلنجي (الأبيات) .

(٥) تهذيب التهذيب : ج ٢ ص ٣٦٠ رقم (٦٠٨) .

المسلمين إذا عرفوا من الإنسان معصية تقتضي لعنه . وإذا تتبعت كتب الحديث والسير والتاريخ وجدتها مشحونة بذلك ولهذا أقول لطالب التحقيق لا يهولنك ما تظافر هؤلاء عليه من منع التعيين مع أنه قد ورد عن نبيهم وكثير من أصحابه ومن أكابر السلف ما يخالفه فليفرخ روعك فإن الهدى هدى محمد وأصحابه .

العلم قال الله قال رسوله إن صح والإجماع فاجهد فيه
وحذارِ من نصب الخلاف جهالةً بين الرسول وبين قول فقيه

نعم عورض مطلق اللعن بأحاديث في منعه لا منع التعيين بخصوصه كقوله عليه وعلى آله الصلاة والسلام : « ليس المؤمن بالسباب ولا بالطعان ولا باللعان »[1] ، وكقوله عليه وعلى آله الصلاة والسلام : « المؤمن لا يكون لعاناً »[2] ، وهذه وما شاكلها بلا ريب هي في لعن من لا يستحق اللعن وإلاّ لم يندفع التعارض فيحصل الخلاف في كلام الله وكلام رسوله وهما منزهان عن ذلك .

وسأزيدك أيضاحاً لتزداد اطمئناناً فقد أخرج مسلم في صحيحه والبخاري في الأدب عن حفصة رضي الله عنها قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « إني لم أبعث لعاناً وإنما بعثت رحمة » انتهى[3] .

نفى صلى الله عليه وآله وسلم عن نفسه أن يكون لعاناً من يوم بعث وهو الصادق المعصوم ، وقد ثبت أنه لعن كثيراً بالوصف ولعن كثيراً بالعين ، ولا ريب في أن لعنه إياهم كان حقاً ولولا اختلاف

---

(١) كنز العمال : ج ١ ص ١٤٦ ح (٧٢٠) .
(٢) ن . م . ج ٣ ص ٦١٥ ح (٨١٧٨) .
(٣) صحيح مسلم : ح ٥ ص ١٦٨ ، باب النهي عن لعن الدواب ح ٨٧ - (٢٥٩٩) ، كنز العمال : ج ٣ ص ٦١٥ ح (٨١٧٦) .

موضوع القضيتين لكان تناقضاً وهو ممتنع في كلامه صلّى الله عليه وآله وسلم قطعاً ، فتعين أن اللعن المنفي صدوره عنه صلى الله عليه وآله وسلم هو ما كان عن غير استحقاق وأن اللعن الذي ثبت وقوعه عنه عليه السلام وهو لعن من استحق اللعن ولزم أن يكون اللعن الذي نهى عنه صلى الله عليه وآله وسلم أمته كما تقدم هو ما نفى صدوره عن نفسه لا ما فعله هو وهو الأسوة الحسنة للمؤمنين ، رزقنا الله الإتباع لسنته والإنقياد لما جاء به آمين .

تتمة : إطالة الغزالي في منع اللعن مطلقاً والجواب عنه

أطال الغزالي رحمه الله في إحياء علوم الدين في منع اللعن مطلقاً فضلاً عن لعن شخص معين واسترسل في ذلك حتى قال : أن في لعن يزيد فضلاً عن أبيه خطراً على اللاعن ، بل منع أن يقال لعن الله قاتل الحسين بن علي عليهما السلام ، ثم قال : ففي لعن الأشخاص خطر ولا خطر في السكوت عن لعن إبليس مثلاً فضلاً عن غيره ، واستدل رحمه الله بعموم الأحاديث التي مرت بك في معارضة مطلق اللعن وأمثالها في المعنى[1] .

والغزالي كما علمت وعلم الكل إمام عظيم من علماء المسلمين ، ومحقق كامل من محققيهم ،ولنا به القدوة والأسوة الحسنة في سلوك طريقته واتباع إرشاداته غير أن الإنسان ـ إلّا النبيين ـ وإن جل شأنه وعظم مقداره ليس بمعصوم من هفوة أو خطأ في اجتهاد ، ولا يجوز لمن عرف حقاً بأدلته الواضحة أن يقلد غيره وإن جل شأنه في خلاف ما عرفه من الحق ، ولو كان التقليد المحض في كل شيء مُجدٍ عند الله تعالى شيئاً لكان الإمام الغزالي من أولى من نقلده في

(١) إحياء علوم الدين : ١٢٥/٣ . طبع دار المعرفة .

ذلك وحينئذٍ نقول ولا استحياء من الحق ولا هواة في الدين : إن هـذه هفوة منه رحمه الله لا يجوز لنا الإعتماد عليها ، ولا اتباعـه فيها ، ولـو جاز الإستدلال بهفـوات العلماء والأكـابر لعـظم الخطب وانقلب الحق ظهراً لبطن ، وقد مر بك قريباً ما يخـالف مُدَّعـاه ممَّا أوردنـاه من كلام الله تعالى ، وأقوال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأفعاله ، ومن أقوال الأكابر من الصحابة والتابعين وكثير بعدهم فارجع إليه .

قال الإمام الشـافعي رحمه الله تعـالى : (أجمع النـاس على أن من استبـانت له سنـة رسـول الله صلى الله عليـه وسلم لم يكن لـه أن يدعها لقول أحد)[1] وقال صاحب الهـداية سئـل أبو حنيفـة رحمه الله إذا قلت قولاً وكتاب الله يخالفه ؟ قـال : (اتركـوا قولي بكتـاب الله ، قيـل : إذا كان خبـراً لرسـول الله صلى الله عليه وسلم يخـالفه قـال : اتـركوا قـولي بقول الصحـابة فضـلاً عن قول الـرسول صلى الله عليـه وسلـم) إنتـهى .

قول الغزالي لعن الأشخاص خطر وجوابه

أمّا قول الغزالي رحمه الله : ففي لعن الأشخاص خطر ، فمبني على جملة نهي النبي عليـه وعلى آله الصـلاة والسلام عن لعن حمـار المحب لله ورسوله على النهي عن لعن المعيَّن ، وقد علمت مرجوحية هذا الحمل ، بـل فساده ممـا قدمنـاه ، وأي خطر في لعن من استحق اللعن بمـا دل عليه كتـاب الله وسنة رسـوله ، سـواءٌ كان بـالشخص أو الوصف إذ الذات الواقع عليها اللعن بكل منهما واحدة .

---

(١) أعلام الموقعين : ٢٧/١ . تحقيق محي الدين عبد الحميد .

قوله لا خطر في السكوت حتى عن لعن إبليس مثلاً وجوابه

وأما قوله رحمه الله : ولا خطر في السكوت عن لعن إبليس مثلاً فضلاً عن غيره ، فمسلَّم عند الكل لأن لعن أبليس وغيره ممن يستحق اللعن لم يكن من الفرائض التي افترضها الله على عباده حتى يكون تركها خطراً لكن تركه مفوت للتأسي بما جاء عن الله ورسوله وملائكته في لعنهم من استحق اللعن والتأسي بهم مشروع، وهو نافلة من النوافل ، ولا خطر في ترك النافلة كما لو ترك الإنسان الترضي عن أبي بكر أو عمر أو عثمان أو علي ، بل لو ترك الأذان والإقامة وصلاة التراويح ، مثلاً ، فلا خطر عليه في ذلك ، أما إذا ترك لعن إبليس شكّاً في استحقاقه اللعن أو عناداً فهو كافر ، لرده المنصوص في القران ومراغمته ، ومثله التارك لعن القاتل والشارب مثلاً شكّاً في استحقاقه ، أما التارك لغير الشك بل للعصبية والهوى فموكول أمره إلى الله تعالى ، وهذه الجملة لو لم تكن صادرة عن هذا الإمام العظيم ، لقلنا إن قائلها أراد بها المغالطة والمشاغبة ، ولكنا نتزهه عن ذلك ونجريها على ظاهرها وهذه المقالات من الإمام الغزالي جرأت كثيراً من أنصار معاوية على مقالات بشعة شنيعة فقال بعضهم : لو أن يزيد باشر قتل الحسين بيده واستحله أيضاً لم يجز لعنه وقال آخر : لا أبالي أن أقول لو اطلع مطلع على الغيب فعلم أن معاوية مات على غير الإسلام لما جاز له أن يلعنه ، وقال ثالث : أن اللعن من السفه المذموم ، مع أن كتاب الله تعالى وحديث رسوله صلى الله عليه وآله وسلم مشحونان بذلك ، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

أما قوله عليه وعلى آله الصلاة والسلام : « لا تسبوا الأموات فأنهم قد أفضوا إلى ما قدموا »[1] وقوله صلى الله عليه وآله وسلم :

---

(١) كنز العمال : ٣/٦٠٨ ح (١٤٧) .

« لا تسبوا الأموات فتؤذوا الأحياء »[1] ، فقد قال الحافظ الشوكاني رحمه الله في نيل الأوطار هو مخصوص بما جاء في حديث أنس وغيره أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال عند ثنائهم بالخير والشر: «وجبت أنتم شهداء في أرضه » ، ولم ينكر عليهم قال : ولأن الكفار مما يتقرب إلى الله بسبهم ولا غيبة لفاسق ، والسب يكون في حق الكافر والمسلم أما في حق الكافر فيمتنع إذا تأذى به الحي المسلم ، وأما المسلم فحيث تدعو الضرورة إلى ذلك يصير من قبيل الشهادة عليه وقد يجب في بعض المواضع إنتهى[2] . ثم قال : والوجه تبقية الحديث على عمومه إلا ما خصه دليل كالثناء على الميت بالشر وجرح المجروحين من الرواة أحياء وأمواتاً لإجماع العلماء على جواز ذلك وذكر مساويء الكفار والفساق للتحذير منهم والتنفير عنهم إنتهى[3] ، والله الموفق للصواب .

ذكر نبذة من بوائق معاوية

ولنذكر هنا نبذة من بوائق معاوية العظيمة المدخلة في زمرة من استحق لعنة الله والملائكة والناس أجمعين .

جاء في الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : « ستة لعنتهم ولعنهم الله وكل نبي مجاب: الزائد في كتاب الله ، والمكذب بقدر الله تعالى ، والمتسلط بالجبروت فيعز بذلك من أذل الله ويذل من أعز الله ، والمستحل لحرم الله ، والمستحل من عترتي ما حرم الله ، والتارك لسنتي » أخرجه الترمذي عن عائشة وابن عساكر

(١) الطبراني الصغير : ٢١٢ . طبع دار الكتب العلمية .
(٢) نيل الأوطار : ١٠٨/٤ ـ ١٠٩ . مكتبة دار التراث .
(٣) ن . م . والصفحة .

عن ابن عمر(١) .

قال : الحسن البصري رحمه الله : أربع خصال في معاوية لو لم تكن فيه إلّا واحدة منها لكانت موبقة : انتزاؤه على هذه الأمة بالسيف حتى أخذ الأمر من غير مشورة وفيهم بقايا الصحابة وذوو الفضيلة ، واستخلافه من بعده سكيراً خميراً يلبس الحرير ويضرب بالطنابير ، وادعاؤه زياداً وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الولد للفراش وللعاهر الحجر » وقتله حجراً وأصحاب حجر ، ويا ويلا له من حجر وأصحاب حجر ، إنتهى بحروفه من الكامل(٢) .

ولنقدم منها أم موبقاته وأعظمها شراً على المسلمين في الدنيا وأكثرها وبالاً عليه وعلى أشياعه في الآخرة ، وهي بغيه على الإمام الحق ومناصبة العداوة والبغضاء لمن عداوته لله ولرسوله وبغضه نفاق كما دلت عليه الأحاديث الصحيحة المتعددة(٣) التي لم يبق معها ريبة للمنصف في سوء حال معاوية وفساد نيته ، واستخفافه بالدين وجرأته على الله وعلى رسوله ، ثم نتبعها بما ثبت بالتواتر والنقل الصحيح من موبقاته العظيمة وفظائعه الجسيمة جازاه الله بما هو أهله ، والبغي كما في القاموس وغيره هو التعدي والظلم والعدول عن الحق والإستطالة والكذب وقال الآبي : البغي عرفاً الخروج عن طاعة الإمام مغالبة له ، إنتهى (٤) .

وقد بايع المسلمون علياً عليه السلام بعد مقتل عثمان رضي الله عنه وفيهم أهل الحل والعقد من المهاجرين الأولين والأنصار وذوي

---

(١) الترمذي : ٤/٤٥٧ ، باب ١٧ ح (٢١٥٤) طبع المكتبة السورية .

(٢) الكامل : ٣/١٨٧ مع إختلاف يسير باللفظ .

(٣) المناقب لإبن المغزالي : ص ٥٠ ح (٧٣) ، المناقب للخوارزمي ٧٦ ، شرح النهج طبع مصر : ٢/٢٢١ وج ١٨ ص ٢٤ ، ذخائر العقبى ص ٦٦ .

(٤) القاموس المحيط مادّة (بغىٰ) .

السوابق وتأخر معاوية بأهل الشام وحبس عنده رسول علي كرم الله وجهه إليه مدة حتى انتهت وقعة الجمل ثم تستر عن بغيه بالطلب بدم عثمان ، وغر أهل الشام واستغواهم وكذب عليهم فأخبرهم أن علياً قتل عثمان وأقام لهم شهود الزور بذلك ، ونشر قميص عثمان على المنبر مخضباً بالدم حتى خرج علي عليه السلام إليه في أهل العراق وخرج هو بأهل الشام إلى أن التقيا بصفين وكان من أمر وقائعها ما هو مشروح في كتب السير والتواريخ ، وقتل في تلك الوقائع من المسلمين سبعون ألفاً ، خمسون ألفاً من أهل الشام وعشرون ألفاً من أهل العراق .

قال العلامة الزرقايي في نهج المسالك : (أتى علي رضي الله عنه في أهل العراق في سبعين ألفاً فيهم تسعون بدرياً وسبعمائة من أهل بيعة الرضوان وأربعمائة من سائر المهاجرين والأنصار ، وخرج معاوية في أهل الشام في خمسة وثمانين ألفاً ليس فيهم من الأنصار إلا النعمان ابن بشير ومسلمة بن مخلد) إنتهى .

كتاب معاوية إلى سعد ابن أبي وقاص وجوابه

وفي العقد الفريد عن أبي الحسن قال لم يبايع أهل الشام معاوية بالخلافة حين خرج وإنما بايعوا على الطلب بدم عثمان ، فلما كان من أمر الحكمين ما كان بايعوه بالخلافة ، فكتب إلى سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه يدعوه إلى القيام معه في دم عثمان : سلام عليك أما بعد ، فأن أحق الناس بنصرة عثمان أهل الشورى من قريش ، الذين أثبتوا حقه واختاروه على غيره ونصره طلحة والزبير وهما شريكاك في الأمر ، ونظيراك في الإسلام وخفت لذلك أم المؤمنين فلا تكره ما رضوا ولا ترد ما قالوا وإنما تريد أن نردها شورى بين المسلمين والسلام .

فأجابه سعد رضي الله عنه أما بعد ، فإن عمر لم يدخل في الشورى إلا من تحل له الخلافة فلم أجد أحداً أولى بها من صاحبه إلا باجتماعنا عليه غير أن علياً كان فيه ما فينا ولم يكن فينا ما فيه ، ولو لم يطلبها ولزم بيته لطلبته العرب ولو بأقصى اليمن ، وهذا الأمر قد كرهنا أوله وكرهنا آخره ، وأما طلحة والزبير فلو لزما بيوتهما لكان خيراً لهما والله يغفر لِأم المؤمنين ما أتت ، وهكذا أخرجه المحدث ابن قتيبة في كتاب الإمامة .

كتاب معاوية إلى قيس بن سعد بن عبادة وجوابه

وكتب معاوية إلى قيس بن سعد بن عبادة أما بعد ، فإنما أنت يهودي ابن يهودي إن ظفر أحب الفريقين إليك عزلك واستبدل بك ، وإن ظفر أبغض الفريقين إليك قتلك، ونكل بك ، وقد كان أبوك أوتر قوسه ، ورمى غرضه ، فأكثر الحز وأخطأ المفصل ، فخذله قومه ، وأدركه يومه ، ثم مات طريداً بحوران . فأجابه قيس : أما بعد فأنت وثني ابن وثني دخلت في الإسلام كرها وخرجت منه طوعاً لم يقدم إيمانك ولم يحدث نفاقك ونحن أنصار الدين الذي خرجت منه وأعداء الدين الذي دخلت فيه والسلام[1] ، إنتهى .

وفي ربيع الأبرار للزمخشري رحمه الله : (دعا معاوية قيس بن سعد بن عبادة إلى مفارقة علي بن أبي طالب حين تفرقت الناس عنه فكتب إلى معاوية يا وثني ابن وثني تدعوني إلى مفارقة علي بن أبي طالب ، والدخول في طاعتك ، وتخوفني بتفرق أصحابه عنه وانثيال الناس عليك وإجفالهم إليك ، فوالذي لا إله غيره لا سالمتك أبداً

(١) العقد الفريد : ٤/٣٣٧ . نشر دار الكتاب العربي .

وأنت حربه ، ولا دخلت في طاعتك وأنت عدوه ، ولا اخترت عدو الله على وليه ولا حزب الشيطان على حزبه) ، إنتهى .

تخريج حديث عمار تقتله الفئة الباغية

وأخرج الإمام محمد بن إسماعيل البخاري في صحيحه عن عكرمة قال : (قال لي ابن عباس ولإبنه علي انطلقا إلى أبي سعيد فاسمعا من حديثه فانطلقنا ، فإذا هو في حائط يصلحه فأخذ رداءه فاحتبى ثم أنشأ يحدثنا حتى أتى على ذكر بناء المسجد فقال كنا نحمل لبنة لبنة وعمار لبنتين فرآه النبي صلى الله عليه وسلم فجعل ينفض التراب عنه ويقول ويح عمار تقتله الفئة الباغية يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار)[1] . وأخرجه أيضاً مسلم والطبراني والترمذي والحاكم والإمام أحمد في مسنده وغيرهم وعده الحافظ جلال الدين السيوطي في الأخبار المتواترة وعزاه للشيخين عن أبي سعيد ولمسلم عن أبي قتادة وأم سلمة وأبي يعلى ولأحمد عن عمار وإبنه وعمر بن حزم وخزيمة ذي الشهادتين وللطبراني عن عثمان وأنس وأبي هريرة وللحاكم عن حذيفة وابن مسعود وللرفاعي عن أبي رافع ولابن عساكر عن جابر بن عبد الله وجابر بن سمرة وابن عباس ومعاوية وزيد بن أوفى الأسلمي وأبي اليسر كعب بن عمرو وزياد وكعب بن مالك وأبي أمامة وعائشة ولابن أبي شيبة عن عمرو بن العاص وابنه عبد الله بن عمرو قال : فهؤلاء سبعة وعشرون صحابياً فيهم خزيمة كصحابيين ، إنتهى[2] .

---

(١) صحيح البخاري : ١٧٢/١ ح (٤٣٦) .

(٢) راجع : مستدرك الحاكم ٣ /٣٨٦ ، ٣٨٧ . كنز العمال : ج ٧٢٢/١١ ، ح (٣٣٥٣٣) . صحيح مسلم . كتاب الفتن ، باب : لا تقوم الساعة ح (٢٩١٥) ، الإصابة : ٥١٢/٢ . مجمع الزوائد : ٢٩٤/٩، ٢٩٥، ٢٩٦ .

وقال حافظ المغرب ابن عبد البر تواترت الأخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : تقتل عمار الفئة الباغية وهذا من إخباره بالغيب وإعلام نبوته وهو من أصح الأحاديث[1] ، إنتهى .

وقال ابن دحية : لا مطْعَنَ في صحته ولو كان غير صحيح لرده معاوية وأنكره .

وقال الحافظ ابن حجر رواه جمع من الصحابة فذكرهم وقال : وفيه علم من أعلام النبوة وفضيلة ظاهرة لعلي وعمار رضي الله عنهما[2] .

محاولة معاوية التملص من حديث عمار

قلت : لا يختلف إثنان في أن عماراً قتل بصفين في حزب الإمام علي عليه السلام وأن قتلته هم فئة معاوية تثبت بهذا أن معاوية باغ داع إلى النار كما ذكر في الحديث الداعي إلى النار مستحق اللعن في الدنيا والخذلان والقبح يوم القيامة كما جاء في كتاب الله عز وجل قال تعالى : ﴿ **وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار ويوم القيامة لا ينصرون ، واتبعناهم في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة هم من المقبوحين** ﴾[3] ، والمقبوح هو الذي نحي عن الخير . وقد حاول معاوية التملص من هذا الحديث بالإحتيال لكيلا ينتقض عليه أحد من أصحابه حيث لم يقدر على إنكاره فقال : إنما قتله من أخرجه . فأجابه الإمام علي عليه السلام بأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يكون قاتل حمزة حيث أخرجه لقتال المشركين وهذا من الإلزام الذي

(١) الإستيعاب : ج ٢/٤٣٦ . طبع مكتبة النهضة .
(٢) ن . م . والصفحة .
(٣) سورة القصص : الآية ٤٢ .

لا جواب عنه ، ثم رجع معاوية وتأوله بالطلب ، وقال : نحن الفئة الباغية أي الطالبة لدم عثمان . من البغاء ـ بضم الباء الموحدة والمد ـ وهو الطلب ، ولا يخفى سقوط التأويلين وخطأهما أما الأول فظاهر ، وأما الثاني فإن قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار ، كالنص الصريح في أن الباغية من البغي المذموم المنهي عنه كما في قوله تعالى : ﴿ وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي ﴾[1] لا من البغاء الذي هو الطلب .

وعندي : أن معاوية أحذق من أن يقول ذلك عن اعتقاد فإنه أمر ظاهر الفساد للخاص والعام والذكي والبليد ، وكان الواجب عليه أن يرجع عن غيه وبغيه ، ويرفض المخالفة ، ولكن غلبت عليه شقوته ، وأضله الله على علم فاحتال بهذه التأويلات الفاسدة حرصاً على الدنيا ، وتعزيزاً لأشياعه وأتباعه ، وتستراً في الظاهر ، وفراراً عن الإقرار بحقيقة أمره ، وتربعه على كرسي إمامة الدعاء إلى النار ، ومحاربة العزيز الجبار .

ندم ابن عمر وغيره على التخلف عن قتال معاوية

فإنه لم تبق بعد قتل عمار أدنى شبهة لعاقل ولا قول لقائل . ألا ترى أن إبن عمر رضي الله عنه ندم أشد الندم على عدم قتاله معاوية وأصحابه ، فقد روى أبو حنيفة عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عمر رضي الله عنهما ، قال : « ما آسى على شيء إلاّ أن أكون قاتلت الفئة الباغية وعلى صوم الهواجر »[2] .

وقال ابن عبد البر يروي من وجوه عن حبيب عن ابن عمر رضي

(١) سورة النحل : الآية ٩٠ .

(٢) طبقات ابن سعد ٤/ ١٨٥ .

الله عنهما أنه قال : (حين حضرته الوفاة ما أجدني آسى على شيء فاتني من الدنيا إلاّ أني لم أقاتل مع علي الفئة الباغية)[١] ورواها الحاكم بسند صحيح والبيهقي عنه قال : (ما وجدت في نفسي من شيء ما وجدت من هذه الآية أني أقاتل هذه الفئة الباغية كما أمرني الله)[٢] يعني قوله تعالى : **﴿ فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله ﴾**[٣] .

قال الحاكم : (هذا باب كبير قد رواه عن ابن عمر جماعة من كبار التابعين . وكان خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين رضي الله عنه كافاً سلاحه ، حتى قتل عمار بصفين ، فسل سيفه ، وذكر حديث عمار ، ثم قاتل عسكر معاوية حتى قتل)[٤] . وقد نقل ابن عبد البر في الإستيعاب ، عن إبراهيم النخعي : (أن مسروق بن الأجدع لم يمت حتى تاب من تخلفه عن علي كرم الله وجهه)[٥] .

كتاب من علي عليه السلام إلى معاوية يكذبه في دعوى نصر عثمان

ومن كتاب من الإمام علي كرم الله وجهه إلى معاوية كما في نهج البلاغة قال : (فسبحان الله ! ما أشد لزومك للأهواء المبتدعة ، والحيرة المتبعة مع تضييع الحقائق ، واطّراح الوثائق ، التي هي لله طلبة ، وعلى عباده حجة ، فأما إكثارك الحجاج في عثمان وقتلته : فإنك إنما نصرت عثمان حين كان النصر لك ، وخذلته حيث كان

---

(١) الإستيعاب : ١١١٦/٣
(٢) سنن البيهقي : ١٧٢/٨ .
(٣) سورة الحجرات : الآية ٩ .
(٤) مستدرك الحاكم : ١٥٥/٢ ، ١٥٩ . تطهير الجنان واللسان ٣٢ .
(٥) الإستيعاب : ١١١٧/٣ ، الكامل : ٢٧٩/٣ .

النصر له)[1] ، إنتهى .

يشير كرم الله وجهه إلى أن معاوية إنما زعم نصرة عثمان بعد موته ، حيث كانت المصلحة عائدة إليه بالولاية التي يطلبها ، وخذله في حياته حيث كانت المصلحة عائدة على عثمان. فقد ذكر أهل السير ـ واللفظ للبلاذري ـ (أن معاوية لما استصرخه عثمان تثاقل عنه ، وهو في ذلك يعده حتى ، إذا اشتد به الحصار ، بعث إليه يزيد بن أسد القشيري ، وقال له : إذا أتيت ذا خشب فأقم بها ، ولا تقل الشاهد يرى ما لا يرى الغائب ، فأنا الشاهد ، وأنت الغائب ، قالوا : فأقام بذي خشب ، حتى قتل عثمان ، فاستقدمه حينئذٍ معاوية ، فعاد إلى الشام بالجيش الذي كان معه ، فكان في الظاهر نصرة لعثمان ببعث الجيش ، وهو في الحقيقة خذلان له لحبسه الجيش ، كي يقتل عثمان فيدعو إلى نفسه كما وقع بالفعل) .

محاورة جارية بن قادمة لمعاوية ومحاورة عامر بن واثلة له

وأخرج ابن عساكر عن الفضل بن سويد ، قال : وفد جارية بن قدامة على معاوية فقال له معاوية : إن الساعي مع علي بن أبي طالب ، والموقد النار في شيعتك تجوس قرى عربية تسفك دماءهم . قال جارية : يا معاوية دع عنك علياً فما أبغضنا علياً منذ أحببناه ولا غششناه منذ نصحناه .

قال : ويحك يا جارية ما كان أهونك على أهلك إذ سموك جارية ، قال : أنت يا معاوية أهون على أهلك إذ سموك معاوية .

قال : لا أم لك . قال : أم ما ولدتني إن قوائم السيوف التي

(١) نهج البلاغة/محمد عبده : ٦٢/٣ .

لقيناك بها بصفين في أيدينا قال : إنك لتهددني . قال : إنك لم تملكنا قسرة ، ولم تفتحنا عنوة ، ولكن أعطيتنا عهوداً ومواثيق ، فإن وفيت لنا وفينا ، وإن ترغب إلى غير ذلك ، فقد تركنا وراءنا رجالاً مداداً ، وأدرعاً شداداً ، وألسنة حداداً ، فإن بسطت إلينا فتراً من غدر دلفنا إليك بباع من ختر .

قال : معاوية لا كثَّر الله في الناس أمثالك ، وأخرج أيضاً عن أبي الطفيل عامر بن واثلة أنه دخل على معاوية فقال له معاوية ألست من قتلة عثمان ؟ .

قال : لا ولكني ممن حضره ولم ينصره ، قال : وما منعك من نصره . قال لم ينصره المهاجرون والأنصار ، فقال معاوية أما لقد كان حقه واجباً عليهم أن ينصروه ، قال : فما منعك يا أمير المؤمنين من نصره ومعك أهل الشام فقال معاوية أما طلبي بدمه نصرة له ، فضحك أبو الطفيل ، ثم قال : أنت وعثمان كما قال الشاعر :

لا ألفينك بعد الموت تندبني وفي حياتي ما زودتني زادي

إنتهى من تاريخ الخلفاء للسيوطي[1] .

مشافهة شبث بن ربعي له بالنصيحة

وقد شافه شبث بن ربعي معاوية في صفين ، بما بين به حقيقة أمره ، ويحمله على التوبة لو وجد أذناً واعية إذ قال له : (يا معاوية إنه والله لا يخفى علينا ما تطلب أنك لم تجد شيئاً تستغوي به الناس وتستميل به أهواءهم وتستخلص به طاعتهم إلّا قولك قتل إمامكم مظلوماً ، فنحن نطلب بدمه فاستجاب لك سفهاء طغام ، وقد

---

(١) تاريخ الخلفاء : ١٩٩ . تحقيق محي الدين عبد الحميد باختلاف يسير في اللفظ .

علمنا أنك أبطأت عنه بالنصر ، وأحببت له القتل لهذه المنزلة التي أصبحت تطلب ورب متمني أمر وطالبه يحول الله دونه وربما أوتي المتمني أمنيته فوق أمنيته ، ووالله ما لك في واحدة منهما خير ، والله إن أخطأك ما ترجو ، إنك لشر العرب حالاً ، ولئن أصبت ما تتمناه لا تصيبه حتى تستحق من ربك صلي النار ، فاتق الله يا معاوية ، ودع ما أنت عليه ، ولا تنازع الأمر أهله) [1]. إنتهى من الكامل وأخرجه البيهقي أيضاً في المحاسن والمساوىء .

كتاب من علي عليه السلام إلى معاوية يعظه

ومن كتاب من الإمام علي عليه السلام إلى معاوية قال : وأرديت جيلاً من الناس كثيراً ، خدعتهم بغيك ، وألقيتهم في موج بحرك تغشاهم الظلمات وتتلاطم بهم الشبهات فحادوا عن وجهتهم ، ونكصوا على أعقابهم ، وتولوا على أدبارهم ، وعولوا على أحسابهم ، إلّا من فاء من أهل البصائر فإنهم فارقوك بعد معرفتك ، وهربوا إلى الله من مؤازرتك إذ حملتهم على الصعب ، وعدلت بهم عن القصد ، فاتق الله يا معاوية في نفسك ، وجاذب الشيطان قيادك فإن الدنيا منقطعة عنك ، والآخرة قريب منك والسلام)[2] . إنتهى من نهج البلاغة .

كتاب محمد بن أبي بكر الصديق إلى معاوية

وفي مروج الذهب للمسعودي : « قال لما وصل محمد بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما إلى مصر كتب إلى معاوية كتاباً فيه :

---

(١) الكامل : ٣/٢٨٥ ـ ٢٨٦ .

(٢) نهج البلاغة ، محمد عبده ، ٣/٥٧ .

(من محمد بن أبي بكر إلى الغاوي معاوية بن صخر ، أما بعد : فإن الله بعظمته وسلطانه خلق خلقه بلا عبث منه ، ولا ضعف في قوته ، ولا حاجة به إلى خلقهم ، لكنه خلقهم عبيداً ، وجعل منهم غوياً ورشيداً وشقياً وسعيداً ، ثم اختار على علم ، وانتخب ، واصطفى منهم محمداً صلى الله عليه وآله وسلم ، فانتخبه لعلمه ، واصطفاه لرسالته ، وائتمنه على وحيه ، وبعثه رسولاً ومبشراً ونذيراً ، فكان أول من أجاب وأناب وآمن وصدق وأسلم ،وأسلم أخوه وابن عمه علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، صدقه بالغيب المكتوم ، وآثره على كل حميم ، ووقاه بنفسه من كل هول ، وحارب حربه ، وسالم سلمه ، فلم يبرح مبتذلاً لنفسه في ساعات الليل والنهار والخوف والجوع والخضوع ، حتى برز سابقاً لا نظير له فيمن اتبعه ، ولا مقارب له في فعله ، وقد رأيتك تساميه ، وأنت أنت ، وهو هو ، أصدق الناس نية ، وأفضل الناس ذرية ، وخير الناس زوجة ، وأفضل الناس ابن عم أخوه الشاري بنفسه يوم مؤته ، وعمه سيد الشهداء يوم أحد ، وأبوه الذاب عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعن حوزته وأنت اللعين ابن اللعين ، لم تزل أنت وأبوك تبغيان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الغوائل ، وتجهدان في إطفاء نور الله ، تجمعان على ذلك الجموع ، وتبذلان فيه المال ، وتؤلبان عليه القبائل ، على ذلك مات أبوك ، وعليه خلفته والشهيد عليك من تدني ، ويلجأ إليك من بقية الأحزاب ، ورؤساء النفاق ، والشاهد لعلي مع فضله المبين القديم أنصاره الذين معه ، الذين ذكرهم الله بفضلهم ، وأثنى عليهم من المهاجرين والأنصار ، وهم معه كتائب وعصائب ، يرون الحق في اتباعه ، والشقاء في خلافه ، فكيف يا لك الويل ، تعدل نفسك بعلي ، وهو وارث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ووصيه، وأبو ولده ، وأول الناس له اتباعاً ، وأقربهم له عهداً ، يخبره بسره ،

ويطلعه على أمره ، وأنت عدوه وابن عدوه ، فتمتع في دنياك ما استطعت بباطلك ، وليمددك ابن العاص في غوايتك ، فكأن أجلك قد انقضى ، وكيدك قد وهى ، ثم يتبين لك لمن تكون العاقبة العليا ، واعلم أنك إنما تكايد ربك الذي أمنك كيده ، ويئست من رَوْحه ، فهو لك بالمرصاد ، وأنت منه في غرور ، والسلام على من اتبع الهدى .

فما كان جواب معاوية عليه إلاّ أن ادعى أن الشيخين أبا بكر وعمر سبقاه إلى ما اقترف ، وأنه متأس بهما ، وحاشاهما مما ادعى ، فقد كذب عليهما ولعنة الله على الكاذبين[1] .

تنصل عبد الله بن عمرو بن العاص من حرب صفين واسترضائه الحسين

وأخرج ابن عساكر عن إسماعيل بن رجاء عن أبيه قال كنت في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم في حلقة فيها أبو سعيد الخدري وعبد الله بن عمرو بن العاص فمر بنا حسين بن علي فسلم فرد عليه القوم ، فقال عبد الله بن عمرو : ألا أخبركم بأحب أهل الأرض وأهل السماء قالوا : بلى ، قال : هو هذا الماشي ، ما كلمني كلمة منذ ليالي صفين ، ولأن يرضى عني أحب إلي من أن يكون لي حمر النعم ، فقال أبو سعيد : ألا تعتذر إليه قال : بلى ، فاستأذن أبو سعيد فأذن له فدخل ، ثم استأذن لعبد الله بن عمرو ، فلم يزل به حتى أذن له ، فأخبره أبو سعيد بقول عبد الله بن عمرو ، فقال له : أعلمت يا عبد الله أني أحب أهل الأرض إلى أهل السماء ، قال : أي ورب الكعبة ، قال : فما حملك على أن قاتلتني وأبي يوم صفين ، فوالله لأبي كان خيراً مني ، قال : أجل ، ولكن عمرو شكاني إلى

(١) مروج الذهب : ٣/٢٠ ـ ٢١ .

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : يا رسول الله أن عبد الله يقوم الليل ويصوم النهار، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا عبد الله ابن عمرو صل ونم وصم وافطر وأطع عمرواً ، فلما كان يوم صفين أقسم علي فخرجت ، أما والله ما كثرت لهم سواداً ، ولا اخترطت لهم سيفاً ، ولا طعنت برمح ، ولا رميت بسهم ، قال : فكلمه[١] ، إنتهى .

فأصحاب معاوية هم الباغون بلا ريب على الإمام المرتضى ، وهم القاسطون كما وعد بهم المصطفى قال الله تعالى : ﴿ وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطباً ﴾[٢] .

بيان كون معاوية وأصحابه هم القاسطون

أخرج ابن عساكر عن أبي صادق قال : (قدم علينا أبو أيوب الأنصاري العراق فقلت له : يا أبا أيوب قد أكرمك الله بصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم وبنزوله عليك ، فمالي أراك تستقبل الناس تقاتلهم هؤلاء مرة وهؤلاء أخرى فقال : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد إلينا ، أن نقاتل مع علي الناكثين ، فقد قاتلناهم ، وعهد إلينا أن نقاتل معه القاسطين ، فهذا وجهنا إليهم اليوم ، يعني معاوية وأصحابه وعهد إلينا أن نقاتل مع علي المارقين ، فلم أرهم بعد)[٣] .

وأخرج ابن جرير عن مخنف بن سليم قال أتينا أبا أيوب فقلنا يا أبا أيوب : قاتلت المشركين بسيفك مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم جئت تقاتل المسلمين فقال إن رسول الله صلى الله عليه وآله

---

(١) أسد الغابة : ٢٣٤/٣ .

(٢) سورة الجن : الآية ١٥ .

(٣) ترجمة أمير المؤمنين : ٢١٧/٣ .

وسلم أمرنا بقتال ثلاث : الناكثين والقاسطين والمارقين ، فقد قاتلت الناكثين والقاسطين وأنا مقاتل إن شاء الله المارقين[1] .

وأخرج البيهقي في المحاسن والمساوىء أن رجلاً سأل ابن عباس رضي الله عنهما من الناكثون ، قال : الذين بايعوا علياً بالمدينة ، ثم نكثوا فقاتلهم بالبصرة ، أصحاب الجمل ، والقاسطون : معاوية وأصحابه ، والمارقون : أهل النهروان ومن معهم . فقال الشامي : يا ابن عباس ملأت صدري نوراً وحكمة ، وفرّجت عني ، فرج الله عنك أشهد أن علياً مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة[2] إنتهى .

وأخرج ابن عبد البر في الإستيعاب عن أبي ليلى الغفاري قال : (سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ستكون بعدي فتنة فإذا كان ذلك فالزموا علي بن أبي طالب ، فأنه أول من يراني ، وأول من يصافحني يوم القيامة ، وهو الصديق الأكبر ، وهو فاروق هذه الأمة ، يفرق بين الحق والباطل ، وهو يعسوب الدين ، والمال يعسوب المنافقين)[3] .

وأخرج الحاكم في المستدرك عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قوله : (النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق ، وأهل بيتي أمان لأمتي من الإختلاف ، فإذا خالفها قبيلة إختلفت فصارت حزب أبليس)[4] . وأخرج ابن عساكر عن حبة قال : (سمعت علياً عليه السلام يقول : نحن النجباء ، وأفرطنا إفراط

---

(١) ن . م . ٢١٧/٣ . أسد الغابة : ٣٣/٤ .

(٢) المحاسن والمساوىء : ٦٦ .

(٣) الإستيعاب : ١٧٤٤/٤ رقم (٣١٥٧) .

(٤) مستدرك الحاكم : ١٤٩/٣ .

الأنبياء ، وحزبنا حزب الله ، والفئة الباغية حزب إبليس ، ومن سوى بيننا وبين عدونا فليس منا)[1] .

شهادة أمير المؤمنين على معاوية وأصحابه أنهم ليسوا بأهل دين وأنهم شر رجال

ونقل ابن الأثير عن علي أنه قال مخاطباً لِأهل العراق يذكر معاوية وحزبه ويحرضهم على قتاله ما لفظه : (قاتلوا من حادَّ الله ورسوله ، وحاول أن يطفىء نور الله ، فقاتلوا الخاطئين الضالين القاسطين الذين ليسوا بقرَّاء قرآن ، ولا فقهاء في الدين ، ولا علماء في التأويل ، ولا لهذا الأمر بأهل في سابقة الإسلام ، والله لو ولوا عليكم لعملوا فيكم بأعمال كسرى وهرقل)[2] . إنتهى بحروفه . وهاهم قد ولوا وعملوا والله بأعمال كسرى وهرقل وصدق الله رسوله وصدق المرتضى ، ولكن عمي البصائر غلف القلوب يصفون معاوية وأعوانه بضد ما وصفهم به أعلم خلق الله بهم ، وأصدقهم فيهم ، ويكذبون شهادة أمير المؤمنين عليه السلام .

ونقل ابن الأثير أيضاً عن علي عليه السلام أنه قال : (إن معاوية وعمروا وابن أبي معيط وحبيباً وابن أبي سرح والضحاك ليسوا بأصحاب دين ، ولا قرآن أنا أعرف بهم منكم ، قد صحبتهم أطفالاً ، ثم رجالاً فكانوا شر أطفال وشر رجال)[3] إنتهى بحروفه .

وجاء بسند فيه لين : أن علياً عليه السلام قال : (انفروا إلى بقية الأحزاب أنظروا إلى ما قال الله ورسوله إنا نقول صدق الله ورسوله ويقولون كذب الله ورسوله) .

---

(١) كنز العمال : ١١/٣٥٦ ح (٣١٧٢٨) وقال أخرجه (ابن عساكر) .
(٢) الكامل : ٣/٣٣٩ .
(٣) الكامل : ٣/٣١٦ .

وفي نهج البلاغة من كلام الإمام علي عليه السلام من كتاب إلى معاوية قوله مخاطباً له : (دخلت في الإسلام كرهاً وخرجت منه طوعاً)[1] .

ونقل ابن الأثير عن الإمام علي عليه السلام من كلام له « لم يرعني إلّا انشقاق رجلين قد بايعاني وخلاف معاوية الذي لم يجعل له سابقة في الدين ، ولا سلف صدق في الإسلام طليق ابن طليق ، حزب من الأحزاب ، لم يزل حرباً لله ولرسوله هو وأبوه حتى دخلا في الإسلام كارهين »[2] .

وذكر المسعودي في مروج الذهب وغيره : أن علياً عليه السلام نزل الأنبار والتأمت عليه العساكر ، فخطب الناس ، وحرضهم على الجهاد وقال : (سيروا إلى قتلة المهاجرين والأنصار ، قد طالما سعوا في إطفاء نور الله ، وحرضوا على قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه ، إلّا أن رسول الله أمرني بقتال القاسطين . وهم هؤلاء الذين سرنا إليهم ، والناكثين وهم هؤلاء الذين فرغنا منهم ، والمارقين ولم نلقهم بعد ، فسيروا إلى القاسطين فهم أهم علينا من الخوارج ، سيروا إلى قوم يقاتلوكم كيما يكونوا جبارين، يتخذهم الناس أرباباً ، ويتخذون عباد الله خولاً ، وما لهم دولاً[3] ، إنتهى .

امتناع الحسن عن قتال الخوارج وقوله أن قتال معاوية أولى

وقال الحافظ الشوكاني في نيل الأوطار : (لما كتب معاوية إلى الحسن بن علي يطلب منه أن يقاتل الخوارج . أجابه لو آثرت أن

---

(١) نحوه في الكامل : ٣/١٢٢ .

(٢) الطبري : ٦/٤ ، جمهرة الخطب : ١/١٦١ ، وقعة صفين لإبن نصر : ١/١٦١ .

(٣) مروج الذهب : ٢/٤١٥ .

أقاتل أحداً من أهل القبلة لبدأت بقتالك)[1] ، وقال : فيه (حكى في البحر عن العترة جميعاً ، أن جهاد البغاة أفضل من جهاد الكفار ، إذ فعلهم في دار الإسلام كفعل الفاحشة في المسجد)[2] إنتهى .

قلت : يستأنس لقول العترة بما أخرجه الخطيب عن المسور بن مخرمة قال : (قال عمر بن الخطاب لعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما ألم يكن فيما نقرأ قاتلوا في الله في آخر مرة كما قاتلتم أول مرة قال فمتى ذلك ؟ قال : إذا كانت بنو أمية الأمراء وبنو مخزوم الوزراء)[3]. وبما أخرجه ابن جرير في تفسيره بسنده إلى ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى : ﴿ وجاهدوا في الله حق جهاده ﴾[4] كما جاهدتم أول مرة فقال عمر من الذين أمرنا بجهاده قال : قبيلتان من قريش مخزوم وعبد شمس)[5] إنتهى .

وأقول أيضاً يؤخذ منه أن يكون سبهم للتحذير منهم ، وبيان حالهم أفضل من سب الكافر ، لأن الضرر يخشى منهم أكثر ، والعامة إلى الإغترار بهم أقرب ، فينبغي إعلان حالهم لتحذير الأمة من الإقتداء بهم ، والميل إلى أكاذيبهم وتأويلاتهم .

القول بإلزام طلحة وعائشة ما لزم معاوية وبيان الحق فيه

فإن قال قائل : كل ما لزم معاوية في خروجه على الإمام علي ، ومحاربته يلزم طلحة والزبير وعائشة رضوان الله عليهم ، وكل

(١، ٢) نيل الأوطار : ٧/١٧٠، ١٧١، ١٧٢ .

(٣) كنز العمال : ١١ ح (٣٤١٩٢) وقال أخرجه (الخطيب) .

(٤) سورة الحج : الآية ٧٨ .

(٥) التفسير : ١٧/٢٠٥ طبع البابي الحلبي سنة ١٣٧٣ ـ ١٩٥٤ .

ما تأولتموه لهم فنحن نتأوله لمعاوية ، وكل جواب عنهم فهو جواب عنه .

قلت أما لزم معاوية من كونه مخطئاً وأن المصيب في جميع حروبه معه ومنازعاته له ، هو الإمام علي المرتضى فلزومه للزبير وطلحة وعائشة رضوان الله عليهم مسلم . فقد أجمع فقهاء الحجاز والعراق من فريقي أهل الحديث والرأي ، ومنهم مالك والشافعي وأبو حنيفة وأحمد والأوزاعي والجمهور الأعظم من المتكلمين من المسلمين ، على أن علياً مصيب في قتاله لأهل صفين ، كما هو مصيب في أهل الجمل ، وأن الذين قاتلوه بغاة ظالمون له ، لكن لا يكفرون بغيهم كذا ذكره الإمام عبد القاهر الجرجاني في كتاب الإمامة وزاد الغزالي : ولم يقل بتخطئة الإمام علي ذو تحصيل[1] إنتهى .

وأما ما يلزم معاوية وأعوانه من الفسق ببغيهم ، ومحاربتهم لله ورسوله ، واقترافهم العظائم ، وجواز لعنهم ، ووجوب بغضهم ، فلا نسلم ذلك للزبير وطلحة وعائشة رضوان الله عليهم ، فإن الشوط بين الفئتين بطين ، والمفرق بين الفريقين عظيم ، بل نقول : أن الثلاثة إنما خرجوا متأولين مجتهدين ، وهم من أهل الإجتهاد ، وكانوا مخطئين في اجتهادهم ، ولكنهم رجعوا عن ذلك حين ظهر لهم الحق ، وندموا على ما فعلوا ، ولم يصروا على ذلك كما أصر معاوية إلى آخر حياته كما يشهد به التواتر .

وقد نقل المسعودي في مروج الذهب وغيره من أهل المغازي : (أن علياً كرم الله وجهه خرج بنفسه حاسراً يوم الجمل ، على بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم لا سلاح عليه ، فنادى يا زبير أخرج إليّ فخرج شاكياً في السلاح ، فقيل لعائشة فقالت :

---

(١) راجع : الأمم للشافعي ٢٢٤/٤ ، سنن البيهقي : ١٧١/٨ .

واحرباه يا أسماء ، فقيل لها أن علياً حاسر ، فاطمأنت ، واعتنق كل منهما صاحبه ، فقال له : ويحك يا زبير ما الذي أخرجك ؟! قال : دم عثمان قال : قتل الله أولانا بدم عثمان ، أما تذكر يوم لقيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في بني بياضة، وهو راكب حماره فضحك إليّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وضحكت أنت معه، فقلت أنت : ما يدع أبن أبي طالب زهوة ، فقال لك : ليس به زهواً تحبه يا زبير ، فقلت : والله إني لأحبه ، فقال لك : إنك والله ستقاتله ، وأنت له ظالم ، فقال الزبير ، أستغفر الله لو ذكرتها ما خرجت . فقال يا زبير : إرجع فقال : وكيف أرجع الآن وقد التقت حلقتا البطان هذا والله العار الذي لا يغسل ؟ فقال يا زبير : إرجع بالعار ، قبل أن تجمع العار والنار ، فرجع الزبير وهو يقول :

اخترت عاراً على نار مؤججة ... ما إن يقوم لها خلق من الطين
نادى علي بأمر لست أجهله ... عار لعمرك في الدنيا وفي الدين
فقلت حسبك من عدل أبا حسن ... فبعض هذا الذي قد قلت يكفيني

ثم مضى منصرفاً حتى أتى وادي السباع ، فقتله عمرو بن جرموز في الصلاة غدراً ، وأتى عمرو علياً بسيف الزبير وخاتمه فقال علي : سيف طالما جلا الكرب عن وجه رسول الله ، لكنه الحَيْن ، ومصارع السوء ، وقاتِل ابن صفية في النار ، ثم نادى علي طلحة رضي الله عنهما حين رجع الزبير : يا أبا محمد ما الذي أخرجك ؟ قال : الطلب بدم عثمان قال علي : قتل الله أولانا بدم عثمان ، أما سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: اللهم وال من والاه وعاد من عاداه ، وأنت أول من بايعني ، ثم نكثت، وقد قال الله عز وجل : ﴿ فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ﴾[1] فقال أستغفر الله ثم

(١) سورة الفتح : الآية ١٠ .

رجع فقال : مروان بن الحكم رجع الزبير ، ويرجع طلحة ما أبالي رميت ها هنا أم ها هنا ، فرماه في أكحلة فمر به علي بعد الوقعة فقال : إنّا لله وإنّا إليه راجعون ، والله لكنت كارهاً لهذا)[1] إنتهى بحذف يسير .

وأخرج الحاكم في المستدرك عن ثور بن جزاءة قال : (مررت بطلحة بن عبيد الله يوم الجمل ، وهو صريع في آخر رمق ، فوقفت عليه ، فرفع رأسه فقال : إني لأرى وجه رجل كأنه القمر ، فمن أنت ؟ قلت : من أصحاب أمير المؤمنين علي ، فقال : أبسط يدك أبايعك له فبسطت يدي فبايعني ، وفاضت نفسه ، فأتيت علياً فأخبرته بقول طلحة ، فقال : الله أكبر ألله أكبر صدق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أبى الله أن يدخل طلحة الجنة ، إلاّ وبيعتي في عنقه)[2] .

وذكر المسعودي أن عائشة رضي الله عنها حين رجعت إلى المدينة ، قالت : (وددت أني لم أخرج وإن أصابني كيت وكيت من أمور ذكرتها ، وإنما قيل لي تخرجين فتصلحين بين الناس فكان ما كان)[3] .

ونقل ابن الأثير أنها قالت يوم الجمل : (والله لوددت أني مت قبل اليوم بعشرين سنة)[4] . ونقل الملاّ علي القاري في شرح الفقه الأكبر : (أنها كانت تبكي ندماً حتى تبل خمارها)[5] .

---

(١) مروج الذهب : ٤٨/٢ ـ ٤٩ .

(٢) مستدرك الحاكم : ٣٧٣/٣ .

(٣) مروج الذهب : ٣٧٩/٢ .

(٤) الكامل : ٢٥٤/٣ .

(٥) نقله أيضاً : حلية الأولياء ١٨/٣ ، طبقات ابن سعد ٥٦/٨ ، السيوطي في الدر المنثور ، تفسير قوله تعالى : ﴿ وقرن في بيوتكن ﴾ .

وقال ابن عبد البر في الإستيعاب : (روى إسماعيل بن علية عن أبي سفيان ابن العلاء عن أبي عتيق قال : قالت عائشة إذا مر ابن عمر فأرونيه ، فلما مر ابن عمر قالوا هذا ابن عمر فقالت: يا أبا عبد الرحمن ما منعك أن تنهاني عن مسيري ، قال : رأيت رجلاً قد غلب عليك وظننت لا تخالفينه ، يعني ابن الزبير قالت : أما أنك لو نهيتني ما خرجت)[١] .

وعن جميع بن عمر رضي الله عنه قال : (دخلت على عائشة رضي الله عنها فقلت : من كان أحب الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : فاطمة فقلت : إنما سألتك عن الرجال قالت : زوجها وما يمنعه فوالله إنه كان لصواماً قواماً ، وقد سالت نفس محمد في يده فردها إلى فيه قلت : فما حملك على ما جرى فأرخت خمارها على وجهها وبكت وقالت : أمر قضى عليّ)[٢] .

وجاء بسند رجاله ثقات إلاّ واحد فضعيف ، ومع ذلك يكتب حديثه ، أنه ذكر لعائشة يوم الجمل فقالت : والناس يقولون يوم الجمل ؟ قال : نعم قالت : وددت أني كنت جلست كما جلسن صواحبي ، فكان أحب إلي من أن أكون ولدت من رسول الله صلى الله عليه وسلم بضعة عشر ولداً ، كلهم مثل عبد الرحمن بن الحرث بن هشام أو مثل عبد الله بن الزبير)[٣] .

وفي ربيع الأبرار للزمخشري رحمه الله قال : جزعت عائشة رضي الله عنها حين احتضرت فقيل لها فقالت : اعترض في حلقي

---

(١) الإستيعاب : ٩١٠/٣ ، رقم (١٥٣٥) في ترجمة عبد الله ابن الزبير .

(٢) مستدرك الحاكم : ١٥٧/٣ .

(٣) تطهير الجنان واللسان ٥٢ ، تاريخ الخطيب ١٨٥/٥ ، البداية والنهاية ١٥٠/٤ ، فتح الباري ١٦٥/١٦ .

يوم الجمل إنتهى . وقد أخرج ابن أبي شيبة بسنده : (أن علياً كرم الله وجهه سئل : يوم الجمل عن أهل الجمل المقاتلين له أمشركون هم ؟ قال : من الشرك فرّوا ، فقيل أمنافقون هم ؟ قال : إن المنافقين لا يذكرون الله إلّا قليلاً ، فقيل فما هم قال : إخواننا بغوا علينا)[1] ، إنتهى . ولم يقل هذا لأهل صفين ، وقد اختلف فعله كرم الله وجهه في الواقعتين فإنه يوم الجمل لم يتبع مولياً ، ولم يجهز على جريح ، ولم يطلب مدبراً ، ومن ألقى سلاحه أو دخل داره كان آمناً ، وأستغفر لطلحة والزبير وعائشة وترحم عليهم ، وأرضى عائشة وأبلغها إلى المدينة مأمنها ، وقد قتلهم في صفين مقبلين ومدبرين ، وأحهز على جرحاهم لأن لهم رئيساً باغياً يرجعون إليه ، وهم مصرون على فعلهم وعصيانهم ، فلعن رئيسهم وأعوانه ودعا عليهم فلقد عامل كرم الله وجهه كلا بما يستحق .

ثم أن سوابق هؤلاء في الإسلام ونصحهم لله ورسوله ، وفقههم في الدين ، وحسن بلائهم في الجهاد مع نبي الله ، وشهادته لهم ، بالجنة دلالة قوية على سلامة مقصدهم ، وإشتباه الأمر عليهم ، حتى إذا اتضح رجعوا إليه ، وتابوا واستغفروا ، والله غفور رحيم . وليس كذلك معاوية وأعوانه في صفين وغيرها فإنهم خرجوا أشراً وبطراً وطمعاً في الدنيا ، وفيما لا حق لهم فيه من الخلافة ، متسترين بالطلب بدم عثمان . على أن سوابقهم في الإسلام سوابق سوء تشهد بها الأخبار والسير ، ومع ذلك فقد أصروا على بغيهم وعنادهم ، وحينئذ فلا يلزم الزبير وطلحة وعائشة ما يلزم معاوية ، مما جوزه أهل الحق من لعنه ووجوب بغضه ، لا جعلنا الله من أنصاره ، ولا من المشوهين وجه الدين بالمغالطة في شأنه آمين .

---

(١) تطهير الجنان واللسان : ٢٦ ، سنن البيهقي : ١٧٣/٨، ١٨٧ .

ولعلك تقول متجاسراً : كما أن طلحة والزبير وعائشة رضوان الله عليهم مجتهدون في أعمالهم ، ولهم أجر من اجتهد فأخطأ فكذلك معاوية فنقول : هذه مقالة قد سبقك بها كثير من أنصاره ، وقد نفخت بها أبواق ، ودقت بها طبول ، ولكن الحق فيها أبلج واضح ، أما كونه من أهل الإجتهاد فمسلّم، لأن له من الذكاء ، والدهاء ، والحذق ، والعلم بالعربية ، وأساليب الكلام ، ما لا يدانيه فيه كثير من المجتهدين ، ولكنه مجتهد عرف أن الحق من كل الوجوه مع علي عليه السلام ، ثم خالفه عناداً ، وبغياً ، وحباً للجاه ، والمال ، ولو كان خروجه لرسيس من شبهة ، أو وميض من طلب حق ، لما أصر على بغيه بعد قتل عمار ، ولرجع كمن رجعوا .

وإن مما يقرب من المستحيل ، أن يؤديه ذكاؤه الخارق ، ودهاؤه العظيم ، وحذقه الثاقب ، إلى اعتقاد أنه أحق شيء من الأمر من علي كرم الله وجهه ، وممن مع علي من المهاجرين ذوي السوابق الحسنة ، كيف وقد أجمع على تخطئته فيما فعل الخاص والعام من المسلمين ؟ اللهم إلّا نفراً استغواهم هو نفسه بالمال والخداع ، فهل يعرف الكل خطأه ولا يعرفه داهية العرب وكسرها ؟ بل أضله الله على علم ، وذهب به البغي كل مذهب ، وليس إلّا الوزر لا الأجر ، ولا تغني عنه بيوت العنكبوت التي بناها له أنصاره كالشيخ ابن حجر الهيثمي من عذاب الله شيئاً .

إشارة إلى ما يذكره ابن حجر الهيثمي في الصواعق وتطهير الجنان من التأويل لمعاوية

جاء الشيخ ابن حجر رحمه الله في كتابيه الصواعق المحرقة وتطهير الجنان بما يضحك الثكلى ، ويأسف له الحكيم من التحملات الفاسدة ، والتأويلات البعيدة ، والتعسفات المتناقضة ، وروائح

النّصب تفـوح من صفحات ذينـك الكتابين ، ولا غـرو إن اغتـر بشيء منهما قاصري النظر ، فقد جمع جـواد قلمه بمـا تقشعر منـه الجلود ، وترجف منه القلـوب فزعاً ، وهو لعنه في ذينـك الكتابين كـل من سب معـاوية ولعنـه[1] . كأنـه لم يقف على لعن النبي عليه السـلام القائـد والسائق ، ومعاوية أحدهما ، وكأنه لم يبلغه ما بلغ كل الناس تواتراً أن علياً عليه السلام كان يقنت ويلعن معاوية وأصحـابه ، ويسبهم ، وقـد فعل فعله كثير من الصحابة والتابعين وجحاجحـة أهل البيت النبـوي ، فمـا أدري أجهل هـذا الشيخ أم تجـاهـل ، وإني والله مشفق عليـه أن يعاتبه الله ورسوله على ذلك .

قلت يعـاتبه ولم أقـل يعاقبـه ، لِأني أرجو أن يسـامحـه الله على صنيعه ، فإن الشيخ من أهل الفقه في الدين ، وسلامة المقصـد ، إلاّ أن تقليده وتعصبه لمن تقدمه ونظره إلى القضية من وجهـة واحدة همـا اللذان أقحماه هذا المجال المخيف ، وهو يظن أنه أحسن صنعاً .

العجب من تكفيرهم من حاربهم الصديق على منع الزكاة مع دعواهم الإجتهاد لمن أكل كل بيت المال

والعجب كـل العجب أن هؤلاء المتمحلين قائلون بكفـر الـذين حاربوا الصدِّيق رضي الله عنه ، جازمون بحـل سبي نسائهم وذراريهم واغتنام أموالهم ، على أن طـوائف منهم كمالـك بن نويـرة وقومـه بني يربوع وغيـرهم من قبائـل العرب لم يحكم بـردتهم ، إلا لأنهم امتنعوا عن أداء الزكاة إلى الخليفة ، وقالوا : زكاة أغنيائنا نردها إلى فقـرائنا ، ولم يجحـدوا وجوبهـا ، وكانـوا يقيمون الصـلاة ، فحق عليهم ما حق بذلك الإمتناع ، ولم يلتمس أحد لهم تأويلاً ، بأنهم ربما كانوا ظـانين

---

(١) الصواعق المحرقة : (٢١٦ ـ ٢٢٠) ، تطهير الجنان واللسان : (٢٨ ـ ٣٨) .

جواز ذلك ، لدليل قام عندهم ، أو لاجتهاد منهم ، وهذا معاوية لم يمنع الزكاة فقط عن تسليمها إلى الخليفة كما فعلوا ، بل استولى على أموال بيت مال المسلمين كلها من زكاة وغيرها ، واصطفى بيضاءها وصفراءها ، ثم فعل كبائر الأفاعيل المنهي عنها ، وعثا في الأرض فساداً ، ثم تجدهم مع هذا كله يتمحلون له ، بأنه مجتهد ، وأنه مثاب أيضاً ! **﴿ قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤون ﴾**(١) **﴿ ما ضربوه لك إلا جدلاً بل هم قوم خصمون ﴾**(٢) **﴿ ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق ﴾**(٣) .

لعمر الله أن الحيرة لتغلب على رأي الحكيم في أفعال هؤلاء القوم ، وما ينسبون معاوية إليه من صلاح النية والإجتهاد والطلب بدم عثمان ، ونحو ذلك ، حتى أن العاقل ليسيء بهم الظن مغلوباً على أمره ، لا يجد من ذلك مخرجاً . كيف يتصور صلاح النية وهو يقاتل المهاجرين والأنصار ؟ وأنى يصح الإجتهاد في مقابلة النص على بغيه بقتل عمار وأين الطلب بدم عثمان من الفساد في الأرض وإرسال السرايا والبعوث إلى كل ناحية للقتل والنهب وقتل الأطفال والضعفاء والنساء وإرتكاب العظائم مما لم يجوزه النبي صلى الله عليه وسلم حتى مع المشركين .

إرسال معاوية بسر بن أرطأة للفساد في الأرض

نقل أبو الفرج الأصفهاني ، بسنده وغيره : (أن معاوية بن أبي سفيان بعث بسر بن أرطأة بعد تحكيم الحكمين وعلي بن أبي

---

(١) سورة التوبة : الآية ٦٥ .

(٢) سورة الزخرف : الآية ٥٨ .

(٣) سورة الأعراف : الآية ٨٩ .

طـالب رضي الله عنه يـومئـذ حي ، وبعث معـه جيشـاً ، ووجـه الضحاك بن قيس الفهري في جيش آخر ، وضم جيشاً آخـر إلى رجل من غـامد ، وأمـرهم أن يسيروا في البـلاد فيقتلوا كـل من وجـدوه من شيعة علي بن أبي طالب عليه السلام وأصحابه ، وأن يغيروا على سائر أعماله ، ويقتلوا أصحـابه ، ولا يكفـوا أيديهم عن النسـاء والصبيان . فمر بسر لذلك على وجهه حتى انتهى إلى المدينة فقتل بهـا أناسـاً من أصحاب علي عليه والسلام وأهل هواه ، وهدم بها دوراً ، ومضى إلى مكة ، وقتل نفراً من آل المهلب ، ثم إلى السراة فقتل بها من وجد من أصحابه ، وأتى نجران وقتل عبد الله بن المدان الحارث وإبنه ، وكـانا من أصهار ابن العباس عامل علي عليه السلام ، ثم أتى اليمن وعليهـا عبيد الله بن العباس رضي الله عنهما عامل علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وكان غائباً ، فلم يصادفه بسر ، ووجد إبنين له صبيين فأخـذهما بسر لعنه الله ، وذبحهما بيده بمـدية كـانت معه ، ثم انكفـأ راجعاً إلى معـاوية ، وفعـل مثل ذلـك سائـر من بعثه معـاوية ، فقصـد الغامـدي الأنبـار ، فقتل ابن حسـان البكري ، وقتـل رجـالاً كثيـرين ونسـاءً من الشيعـة) إنتهى . قلت : أين يفلت معاوية وبسر كـلاهمـا ، بعـد أن فعلا بالمدينة ما فعلا ، من الوعيد الشديد ، الذي جاء عن الله تعـالى على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم في حق من كاد أهل المـدينة ، أو أرادهم بسوء ، أو ظلمهم ، أو أخافهم ؟ وأنّى ينجوان من ذلك وبم يستجنـان من غضب الله ولعنتـه ، وبـأي تـأويـل يحـاول أنصـارهمـا تبريرهما من ذلك ؟ فقد روي في الصحيحين وغيرهما عن سعد رضي الله عنـه قال : سمعت النبي صلى الله عليـه وسلم يقـول : (لا يكيـد أهـل المدنيـة أحـد إلا انمـاع كمـا ينمـاع الملح في المـاء)[1] ، زاد

(١) البخاري : ١٨١/٣ .

مسلم : (ولا يريد أحد أهل المدينة بسوء إلاّ أذابه الله في النار ذوب الرصاص ، أو ذوب الملح في الماء)[١] ، وروى النسائي والطبراني عن السائب بن خلاد رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : (اللهم من ظلم أهل المدينة وأخافهم فأخفه ، وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً)[٢] وفي رواية الطبراني قال : (من أخاف أهل المدينة أخافه الله يوم القيامة وغضب عليه ، ولم يقبل منه صرفاً ولا عدلاً)[٣] . وما فعله بسر في المدينة حال كونه عامل معاوية من القتل والتهديد والحلف على المنبر ، أنه لو لم يمنع لما ترك بالمدينة محتلماً ، مشهوراً مذكور لا نطيل به .

رجع الكلام إلى عمار بن ياسر وما يقول ويفعل

وروى أهل السير ومنهم ابن الأثير أن عماراً قال لعمرو بن العاص : (يا عمرو لقد بعت دينك بمصر ، فقال : لا ، ولكن أطلب بدم عثمان ، قال : أنا أشهد على علمي فيك أنك لا تطلب بشيء من فعلك وجه الله (وأنا أشهد أن أبا اليقظان صادق ولعنة الله على الكاذب) وأنك إن لم تقتل اليوم تمت غداً ، فانظر إذا أعطي الناس على قدر نياتهم ما نيتك ؟ لقد قاتلت صاحب الراية (يعني علياً) ثلاثاً مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهذه الرابعة)[٤] . إنتهى .

وما لزم عمرواً من كلام عمار فهو لمعاوية ألزم لأنه شر منه ، وهو الراشي له بوعده تولية مصر ، والمستعين به في الحيل على الله

(١) مسلم : ١١٣/٤ .
(٢) وفاء الوفاء : ٣/١ ، فيض القدير : ٤٠/٦ .
(٣) وفاء الوفاء : ٣١/١ .
(٤) الكامل : ٣٠٩/٣ .

وعلى المؤمنين ، فقوم هذا حالهم ، وهذا كلام عمار وأمثاله فيهم ، يقال عنهم أنهم مجتهدون ؟ لا والله ثم لا والله ، ليسوا بطالبي حق ، بل لم يزل أمرهم على ما كانوا عليه في الجاهلية من محادتهم لله ورسوله ، لا يحبهم من خامر الإيمان قلبه ، ولا يناضل عنهم من أخلص لله تعالى إسلامه ، لأنهم خانوا الله ورسوله والمؤمنين ﴿ ولا تكن للخائنين خصيماً ﴾[1] .

أخرج البزار بسند معتمد عن زيد بن وهب قال : (كنا عند حذيفة رضى الله عنه كيف أنتم وقد خرج أهل دينكم يضرب بعضهم رقاب بعض ؟ قالوا : فما تأمرنا قال : انظروا الفرقة التي تدعو إلى أمر علي فالزموها فأنها على الحق)[2] . ولإبن أبي شيبة بسند صحيح على شرط الأئمة الستة عن أبي الرضى سمعت عماراً يوم صفين يقول : (من سره أن تكتنفه الحور العين فليتقدم بين الصفين محتسباً)[3] . وله بسند معتمد أنه كان يقول بين الصّفين بأعلى صوته (روحوا إلى الجنة ، وقد تزينت الحور العين ، فأني لأرى صفاً ليضربنكم ضرباً ، يرتاب منه المبطلون ، والذي نفسي بيده لو ضربونا حتى يبلغوا بنا سعفات هجر ، لعرفنا أنا على الحق ، وهم على الضلال)[4] وقد روى ابن الأثير حديث (عمار تقتله الفئة الباغية)[5] . وزاد فيه ما لفظه : الناكبة عن الحق[6] إنتهى .

---

(١) سورة النساء : الآية ١٠٥ .

(٢) ذكره ابن حجر في تطهير الجنان واللسان : ٥١ .

(٣) في معناه : مستدرك الحاكم ٣/٣٨٩ .

(٤) راجع : طبقات ابن سعد ٣/٢٥٧ ، المسعودي ٢/٣٩٢ ، وقعة صفين ٣٢٢ ، بالفاظه المختلفة .

(٥) الكامل : ٣/٣١٠،٣١١،٣٢٥ .

(٦) الكامل : ٣/٣١١ .

فرح معاوية بقتل ذي الكلاع وعمار معاً

وقال : (ولما روى عمرو بن العاص هذا الحديث لذي الكلاع قال ذو الكلاع : ما هذا ويحك ؟ (وكان ذو الكلاع وعامة أهل الشام قد غرهم معاوية ووزراؤه وكذبوا عليهم واستغووهم) فيقول عمرو : أنه سيرجع إلينا ، فقتل ذو الكلاع قبل عمار مع الفئة الباغية وقتل عمار رحمه الله بعد .

قال ابن الأثير : فقال عمرو لمعاوية ما أدري بقتل أيهما أنا أشد فرحاً ؟ بقتل عمار أو بقتل ذي الكلاع ، والله لو بقي ذو الكلاع بعد قتل عمار ، لمال بعامة أهل الشام إلى علي إنتهى بحروفه[1] .

فانظر أيها المنصف إلى هؤلاء المدلسين المغررين الفرحين بما يسيء رسول الله صلى الله عليه وسلم ويسيء كل صادق في إيمانه ، فقد فرحوا قدماً بقتل عبيدة وحمزة ، ثم بقتل عمار وأنصار أهل البيت والدين ، وسمموا الحسن بن علي عليهما السلام ، وكبروا شماتة لموته ، وهكذا أعمالهم ، فحالتهم في الجاهلية والإسلام متشابهة ولا حولا ولا قوة إلا بالله ، لقد استكبروا في أنفسهم ، وعتوا عتواً كبيراً ، وواعجباً من أقوام بين ظهرانينا الآن ، يدخلون المساءة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعلى أهل بيته ، وصالحي أمته في قبورهم ، بمدح من يلعنهم ، ويوصل إليهم كل أذى ، ويشاركون بذلك معاوية في قبائحه ، التي يتمنى هو الخروج منها ، مع أنهم لا ينالون الآن من معاوية وذويه ذرة من دنياه ، هذا والله هو الخسران المبين ، ﴿ **أنها لا تعمي الأبصار ولكن تعمي القلوب التي في الصدور** ﴾[2] ولكنه استحكم فيهم داء التقليد المحض ، وحسن الظن

---

(١) ن . م . ٣١٠/٣ .

(٢) سورة الحج : الآية ٤٦ .

الضار، ففترت حواسهم ، وأصابهم تخدير مهلك ، فهم لا يحسون ولا يشعرون ، وإذا ذكروا لا يذكرون ، ويعتقدون أن كل ما خالف ما جمدوا عليه باطل ، فهان عليهم مشاركة طاغية هذه الأمة بنصرهم له ، ومدحه وتعظيمه وتسويده وستر فواقره ، يكابرون في الحق ويصمون أسماعهم عنه ، ويعرضون عن الحجج الواضحة ، إن دعوتهم إلى سماع أدلة كلام الله ورسوله لا يسمعون ، أما قراؤو قول الله تعالى ﴿ **إنهم ألفوا آباءهم ضالين ، فهم على آثارهم يهرعون** ﴾(1) .

وهناك طوائف من علماء السوء يتغافلون عن إظهار الحق ، وهم يعرفونه فيموهون ويغالطون ، ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ، ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ﴿ **ألا ساء ما يزرون** ﴾ كل ذلك خوفاً من أن ينبزهم المقلدون ، بأنهم شيعة أو رافضة ، حرصاً على جاه موهوم زائل ﴿ **كسراب بقيعة ، يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد الله عنده فوفاه حسابه** ﴾(2) .

قال ابن القيم في أعلام الموقعين نقلاً عن شيخه شيخ الإسلام بن تيمية (من له خبرة بما بعث الله به رسوله صلى الله عليه وسلم ، وبما كان عليه هو وأصحابه ، رأى أن أكثر من يشار إليهم بالدين ، هم أقل الناس ديناً والله المستعان) ، إنتهى بالحرف .

إقرار معاوية وعمرو على أنهما على باطل

أن معاوية وعمرو ومن شاكلهما ، يقرون ويعترفون في كثير من المواطن ، بأنهم على غير حق ، وأنهم إنما يقاتلون للدنيا ، ولكن

(1) سورة الصافات : الآيات ٦٩ ـ ٧٠ .

(2) سورة النور : الآية ٣٩ .

انصارهم يأبون إلا نسبتهم إلى الحق وتزكية أعمالهم ، بادعاء الإجتهاد لهم ، وإثابتهم من الله على بغيهم وعنادهم .

روى المسعودي رحمه الله عندما ذكر قصة قتل اللخميين اللذين أطمعهما معاوية بالمال : أن قتلا العباس بن ربيعة الهاشمي في يوم من أيام صفين ، فخرجا ، فقتلهما الإمام علي عليه السلام قال رحمه الله : (وإنما الخبر إلى معاوية فقال : قبّح الله اللجاج ، أنه لعقور ، ما ركبته قط ، إلا خذلت ، فقال عمرو بن العاص : المخذول والله اللخميان ، والمغرور من غررته ، لا أنت المخذول ، قال : إسكت أيها الرجل فليس هذا من شأنك ، قال : وإن لم يكن رحم الله اللخميين ولا أراه يفعل ، قال : ذلك والله أضيق لحجتك ، وأخسر لصفقتك ، قال : قد علمت ذلك ، ولولا مصر وولايتها لركبت المنجاة منها ، فأني أعلم أن علي بن أبي طالب على الحق ، وأننا على ضده ، فقال معاوية : مصر والله أعمتك ، ولولا مصر لألفيتك بصيراً ، ثم ضحك معاوية ضحكاً ذهب به كل مذهب قال : مم تضحك يا أمير المؤمنين أضحك الله سنك ؟ قال : أضحك من حضور ذهنك يوم بارزت علياً ، وإبدائك سوأتك ، أما والله يا عمرو ، لقد واقعت المنايا ، ورأيت الموت عياناً ، ولو شاء لقتلك ، ولكن أبىٰ ابن أبي طالب في قتلك إلّا تكرماً ، فقال عمرو : أما والله أني لعن يمينك حين دعاك إلى البراز ، فأحولت عيناك ، وبدأ سحرك ، وبدأ منك ما أكره ذكره لك من نفسك ، فاضحك أو دع)[1] إنتهى بالحرف . وذكره البيهقي بنحو هذا في المحاسن والمساويء وذكر أهل السير أن عمرواً قال لإبنه عبد الله يوم صفين : (أي عبد الله أنظر أين ترى علياً ؟ قال : أراه في تلك الكتيبة القتماء ، قال : لله در ابن عمر وابن

---

(١) مروج الذهب : ٣/٢٩ ـ ٣٠ .

مالك ، فقال له : أي أبت فما يمنعك إذ غبطتهم أن ترجع ؟ فقال : يا بني أنا أبو عبد الله إذا حككت قرحة أدميتها)[1] .

حديث إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه

أخرج ابن عدي عن أبي سعيد مرفوعاً (إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه)[2] وأخرجه العقيلي عن الحسن بلفظ (إذا رأيتم معاوية على المنبر فاقتلوه)[3] ورواه سفيان بن محمد عن منصور بن سلمة عن سليمان بن بلال عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر مرفوعاً[4] به .

قالوا هذا الحديث موضوع[5] ، لأن في رجال أسانيده من لا يقبل ، ومن هو متهم ، وقالوا : لا يصح من جهة المعنى أيضاً ، لأن الأمة رأوا معاوية يخطب على منبر النبي صلى الله عليه وسلم ولم ينكروا عليه ذلك ، ولا يجوز أن يقال أن الصحابة ارتدت بعد نبيها صلى الله عليه وآله وسلم وخالفت أمره ، نعوذ بالله من الخذلان هذا قول من قال : بوضع هذا الحديث .

قلت : أما دعوى وضعه من حيث رجال أسانيده وضعفهم فليس لنا فيه كلام ، لأن القول ما قالوه وليسوا بمتهمين في ذلك . وأما دعوى فساده من حيث المعنى ، فمردودة لأن عدم الإنكار عليه ،

---

(١) الفائق في تهذيب الحديث : ٣١٢/٢ .
(٢) راجع : كتاب صفين ٢٤٨ ، الطبري : ٣٥٧/١١ ، كنوز الدقائق للمناوي ١٠ ، وصحّحه الذهبي في التذكرة : ١٢٩/٢ .
(٣) تهذيب التهذيب : ٧٤/٨ .
(٤) ن . م . ٣٢٤/٧ .
(٥) اللآلىء المصنوعة ففي الأحاديث الموضوعة ص ٤٢٤،٤٢٥،٤٢٦ ، وراجع الرد عليه في الغدير : ١٥٠/١٠ ـ ١٦٠ .

وعدم قتله لا يستلزم عصيان من اطلع عليه من الصحابة ، فضلاً عن استلزام ارتداده كما زعموا ، بل هم معذورون في عدم قتله ، لعجز كل منهم عن ذلك ، ولتيقنهم عدم قبوله الحق مهما أنكروا عليه باللسان ، بل تخشى منه فتنة عظيمة: كيف؟ وهم لا يقدرون على إزالة منكر واحد من منكراته التي يرتكبها بمرأى منهم ، ومسمع ، فضلاً عن قدرة أحد منهم على قتله ، فلا لزوم لما ذكروا ، ولا فساد من جهة المعنى ، على أنه لو صح ما ذكروه من الإستلزام للزمهم ذلك أيضاً بحديث مسلم : (إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما)[1] فهذا ، الحديث كالصريح في الأمر بقتل معاوية ومؤدى الحديث الذي ذكروا أنه موضوع في الأمر بقتل واحد إذ هو منطبق تماماً على معاوية ، فأنه أول من بويع له بالخلافة بالشام ، والخليفة الحق موجود ، والصحابة معذورون بعدم استطاعتهم ، لأنه متحصن بالآلاف المؤلفة من جنود الشام الذين لم يفرق كثير منهم بين الجمل والناقة ، والذين يعتقد الكثير منهم ـ بتغرير معاوية ـ أنه أقرب قريب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأصرح من حديث مسلم في هذا المعنى ما أخرجه أحمد في مسنده (من قاتل علياً على الخلافة فاقتلوه كائناً من كان) .

وإنما نبهت على هذا وبينته لأني رأيت كثيراً من أنصار معاوية قاموا ، وقعدوا ، وشددوا النكير والسباب والحنق على ناقلي ذلك الحديث ، استعظاماً منهم للأمر بقتل معاوية الذي أمر الله في القرآن بقتاله ، وأمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حديث مسلم بقتله . وقد أجمع أهل السنة والشيعة على وجوب قتال معاوية علينا لو

---

(١) صحيح مسلم ٢٣/٦ ، مسند أحمد ٢٩٧/٢ ، سنن البيهقي ١٤٤/٨ ، تيسير الوصول ٣٥/٢ .

حضرناه ، وأن قتله إذ ذاك حسنة ، وفضيلة يثاب فاعلها عليها .

قال أبو حنيفة رحمه الله : (تدرون لم يبغضنا أهل الشام ؟ قالوا : لا ، قال : لأنا نعتقد أن لو حضرنا عسكر علي بن أبي طالب كرم الله وجهه لكنا نعين علياً على معاوية ، ونقاتل معاوية لأجل علي ، فلذلك لا يحبونا كذا في التمهيد في بيان التوحيد لأبي شكور السلمي) . وقد كابر الشيخ ابن حجر في تطهير الجنان مكابرة عظيمة لا تليق بذوي العلم والإنصاف عند ذكره فساد ذلك الحديث من جهة المعنى ، حتى زعم هناك : أن معاوية احتال على سيدنا علي كرم الله وجهه حتى خلع نفسه عن الخلافة بخلع نائبه أبو موسى الأشعري عن الخلافة له عند تحكيمه، وتحكيم عمرو بن العاص، وزعم أيضاً : أن الصحابة كلهم اتفقوا على أنه الخليفة الحق ، وأنه لم يطعن عليه أحد من أعدائه ، فضلاً عن أصدقائه بقدح في خلافته بشيء مطلقاً ، هذا كلام[1] ابن حجر سامحه الله ، نترك الحكم فيه لمن له أدنى اطلاع ، وإلمام بالحديث والسير والتاريخ . واستغفر الله تعالى لي وله من كل ما زل به القلم عن الطريق المستقيم .

ما يدل على إجماع الأئمة على جور معاوية

ثم نسأل هنا كيف اتفق فقهاء المذاهب الأربعة على جواز تقلد القضاء من السلطان الجائر ، وكلهم استدل على جواز ذلك بتقلد الصحابة رضي الله عنهم القضاء من معاوية ، وكتبهم شاهدة بذلك ، وهذا تصريح منهم بأنه جائر غير محق ، ثم إذا باحثت اليوم أحداً من فقهاء الزمان قلب لك ظهر المجن ، ونسي ما صرح أئمة المذاهب من

(١) تطهير الجنان واللسان

ذلك ، هل هي إلاّ أغراض نفسية ووساوس وهمية ؟ وأقول أيضاً أنه لم يأخذ أحد من المجتهدين بحديث معاوية الذي أخرجه الترمذي وأبو داود عنه أنه قال : (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من شرب الخمر فاجلدوه ، فإن عاد في الرابعة فاقتلوه)(١) لِمَ لم يأخذ به أحد من المجتهدين مع جودة إسناده ؟ ما ذلك إلا لأنهم لم يأتمنوا معاوية على حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيما يتعلق بالدماء ، وهو والله أحق أن لا يؤتمن .

عدم عملهم برواية معاوية

نعم ذكر النووي أن الإجماع دل على نسخ هذا الحديث . وأقول : من المقرر أن الإجماع لا يعارض المنصوص ، فضلاً عن أن ينسخه ، فإن حقيقة الإجماع : عبارة عن آراء مجتمعة من مجتهدي عصر واحد ، وآراء الرجال ليست من نسخ كلام المعصوم من شيء ، ولو ذكر مستند الإجماع وكان أقوى من هذا ، لقلنا أنه الناسخ ، ولكن أين هو ، فليبدِ الفقيه ما عنده ، وليذهب في أي ترهات الطرق شاء للجواب عن هذا . نسأل الله الهداية للصواب آمين .

من بوائقه استخلافه يزيد

ومن كبار فواقره وعظائم جرائره : استخلافه ابنه يزيد السكير الخمير المنابذ لله ورسوله الهاتك الحرمات ، والمرتكب المخزيات ، مع أنه عالم بحاله ، مطلع على قبيح أفعاله ، أنفق على تمهيد بيعته أموال بيت المال ، وارتكب من المعاصي لذلك ما يغضب ذا الجلال .

---

(١) الترمذي ٤/٤٨ باب ١٥ ح (١٤٤٤) .

أخـرج أحمد في مسنده والحـاكم في المستـدرك عن أبي بكـر رضي الله عنه قال : (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من وُلِّيَ من أمر المسلمين شيئاً فأمَّر عليه أحداً محاباة فعليه لعنة الله ، لا يقبل الله منـه صرفـاً ، ولا عدلاً حتى يـدخله جهنم)[1] ، وأخـرج الحـاكم في المستـدرك عن ابن عبـاس عن النبي صلى الله عليـه وسلم : (من استعمل رجلاً من عصابة وفيهم من هـو أرضى لله منه ، فقـد خان الله ورسـوله والمؤمنين)[2] وأخـرج البخاري في صحيحـه عن معقـل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم :(قال ما من وال يلي رعية من المسلمين فيمـوت، وهو غـاش لهم إلاّ حرَّم الله عليـه الجنة)[3] فهـل يبقى بعد سماع هذا لـذي إيمان أن يصـدق بما جـاء به من لا ينـطق عن الهوى شـك في استحقاقـه لعنة الله ؟ وأن لا يقبـل منه صـرفاً ولا عـدلاً حتى يدخله جهنم ؟ وأنه خان الله ورسوله والمؤمنين ؟ وأنه مات غاشاً للأمة بيـزيد ؟ أم هنـاك تأويـل يحاول بـه أنصـاره رد الحـديث الصحيـح أو تضعيفه ؟!! اللهم غفرانك .

ربما يدعي مدع : أنه مجتهـد ، رأى سكيره الـرجس النجس ، أولى أهل زمانه بالإمـامة ، وأرضى الله منهم ، ولا جـواب عن هذا إلاّ الإستعاذة بالله من شر هذا المدعي المكابر ، والإشفاق عليـه أن يمقته الله ، ويلحقه بذينك الطاغيتين ، وهـل منع الإمـام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه عن إبقاء معاويـة عامـلاً عن الشام حتى يستتب لـه الأمر كما أشار به عليه المغيرة بن شعبة إلاّ الفرار من هذا الوعيد ؟ وإن كان الرأي السياسي يقتضي إبقاءه على زعم كثيرين ، وقد استشهد كرم الله

(١) مسنـد أحمد : ٦/١ وبقيتـه (.. ومن أعطىٰ أحـداً حمىٰ الله ، فقد انتهـك في حمىٰ الله شيئاً بغير حقه فعليه لعنة الله) .

(٢) مسند أحمد : ٩٤/٤ .

(٣) البخاري : ٢٦١٤/٦ باب ٨ ح (٦٧٣٢) .

وجهه بقوله تعالى : ﴿ وما كنت متخذ المضلين عضداً ﴾[1] كيف تسمع هذه الدعوة ومعاوية نفسه مقر ببطلانها ؟ فإنه قال وهو يخطب بمكة : ولولا هواي في يزيد أبصرت قصدي .

إصرار معاوية ووصيته بالمنكر

قال ابن حجر الهيثمي فيه : (غاية التسجيل على نفسه بأن مزيد محبته ليزيد أعمت عليه طريق الهدى ، وأوقعت الناس بعده مع ذلك الفاسق المارق في الردى)[2] إنتهى ، ولربما يظهر مشاغب آخر ، ويقول : لعله تاب ورجع ، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له ، فنقول : أن التوبة لا تتحقق ، ولا تصح ، إلاّ بالإقلاع عن الذنب ، والندم على فعله ، والعزم على أن لا يعود إليه ، كما قال الله تعالى : ﴿ والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلاّ الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعملون ﴾[3] وكل هذه الثلاثة منتفية في معاوية ، فإنه أكره المسلمين على البيعة ليزيد ، وأصر على ذلك إلى آخر نفس من أنفاسه ، كيف . . ؟ ووصاياه ليزيد ، وتعاليمه شاهدة عليه ، بإصراره ، وعدم مبالاته .

بعض فضائح مسلم بن عقبة

نقل أبو جعفر الطبري في تاريخه وابن الأثير في الكامل والبيهقي في المحاسن والمساوىء وغيرهم أن معاوية قال ليزيد : (إن

---

(١) سورة الكهف : الآية ٥١ .

(٢) تطهير الجنان واللسان : ص ٢٥ .

(٣) سورة آل عمران : الآية ١٣٥ .

لك من أهل المدينة ليوماً ، فإن فعلوا فارمهم بمسلم بن عقبة هو الذي سمي مسرفاً ومجرماً ، فأنه رجل قد عرفت نصيحته)[1] إنتهى . عرف معاوية أن مسلماً لا دين له ، فأمر يزيد أن يرمي به أهل المدينة ، وقد فعل يزيد ما أمره به أبوه ، وفعل مسلم بأهل المدينة ما أريد منه ، حيث قال له يزيد : يا مسلم لا تردن أهل الشام عن شيء يريدون بعدوهم ، فسار بجيوشه من أهل الشام ، فأخاف المدينة واستباحها ثلاثة أيام بكل قبيح ، وافتضت فيها نحو ثلثمائة بكر ، وولدت فيها أكثر من ألف إمرأة من غير زوج ، وسماها نتنة ، وقد سماها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم طيبة ،وقتل فيها من قريش والأنصار والصحابة وأبنائهم نحو من ألف وسبعمائة ، وقتل أكثر من أربعة آلاف من سائر الناس ، وبايع المسلمون على أنهم عبيد ليزيد ، ومن أبى ذلك أمره مسلم على السيف إلى غير ذلك من المنكرات .

قال المحدث الفقيه ابن قتيبة رحمه الله في كتاب الإمامة والسياسة والبيهقي في المحاسن والمساوىء واللفظ للأول قال : (أبو معشر دخل رجل من أهل الشام على إمرأة نفساء من نساء الأنصار ومعها صبي لها ، فقال لها : هل من مال ؟ قالت: لا والله ما تركوا لي شيئاً فقال : والله لتُخرجنّ إلي شيئاً أو لأقتلنك وصبيك هذا ، فقالت له : ويحك أنه ولد أبي كبشة الأنصاري صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولقد بايعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم معه يوم بيعة الشجرة ، على أن لا أسرق ، ولا أزني ، ولا أقتل ولدي ، ولا آتي ببهتان أفتريه ، فما أتيت شيئاً ، فاتق الله ، ثم قالت لابنها : يا بني والله ، لو كان عندي شيء لافتديتك له ، قال : فأخذ برجل الصبي والثدي في فمه فجذبه من حجرها ، فضرب به الحائط ، فانتثر دماغه

---

(١) الكامل : ١١٢/٤ .

في الأرض . قال : فلم يخرج من البيت حتى اسود نصف وجهه ، وصار مثلاً)[1] وأمثال هذه من أهل الشام ومن مسلم نفسه كثيرة ، فمسلم في هذا كله منفذ لأوامر يزيد ، ويزيد منفذ لأمر معاوية ، فكل هذه الدماء ، وكل هذه المنكرات الموبقات ، ودم الحسين عليه السلام ومن معه في عنق معاوية أولاً ، ثم في عنق يزيد ثانياً ، ثم في عنق مسلم وابن زياد ثالثاً ، أفبعد هذا يتصور أن يقال لعله تاب ورجع ؟ كلا والله ، ولقد صدق من قال : أبقى لنا معاوية في كل عصر فئة باغية ، فها هم أشياعه وأنصاره إلى يومنا هذا يقلبون الحقائق ، ويلبسون الحق بالباطل ، من يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئاً .

أخرج مسلم في صحيحه : (من أخاف أهل المدينة ظلماً أخافه الله وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين)[2] .

بعض ما ارتكبه معاوية من المنكرات

وسننقل لك هنا بعض ما ارتكبه معاوية من المنكرات ، تمهيداً لأخذ هذه البيعة ليزيد ، فقد ذكر أهل الحديث من ذلك جانباً وأهل المغازي جانباً . وأهل المغازي كما قال الإمام الشافعي رحمه الله في الرسالة : أقوى في بعض الأمور من نقل واحد عن واحد .

قال ابن الأثير : (وكان ابتداء ذلك من المغيرة بن شعبة ، فإن معاوية أراد أن يعزله عن الكوفة ، فبلغه ذلك ، فقال : الرأي أن أشخص إلى معاوية فأستعفيه، ليظهر للناس كراهتي للولاية، فسار إلى

---

(١) الإمامة والسياسة : ١٨٤/١ تحقيق د : طه محمد الزيني .

(٢) في المصدر (المدينة حرم فمن أحدث فيها حدثاً أو آذى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين . . .) ١٦٩/٣ ح (٤٦٩) تحقيق د : موسى شاهين وأتمه عمر هاشم .

معاوية وقال لأصحابه حين وصل إليه : إن لم أكسبكم الآن ولاية وإمارة لا أفعل ذلك أبداً ، ومضى حتى دخل على يزيد ، فقال له : إنه قد ذهب أعيان أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم وكبراء قريش ، وإنما بقي أبناؤهم ، وأنت من أفضلهم وأحسنهم رأياً ، وأعملهم بالسنة والسياسة (أنظر شهادة الزور والتغرير) ، ولا أدري ما يمنع أمير المؤمنين أن يعقد لك البيعة ؟ قال : أو ترى ذلك يتم ؟ قال : نعم . فدخل يزيد على أبيه فأخبره بما قال المغيرة ، فأحضر المغيرة وقال له: ما يقول عنك يزيد ؟ فقال: يا أمير المؤمنين قد رأيت ما كان من سفك الدماء والإختلاف بعد عثمان وفي يزيد منك خلف ، (صدق فخلف الظالم ظالماً) فاعقد له فإن حدث بك حادث كان كهفاً للناس ، وخلفاً ، ولا تسفك دماء ، ولا تكون فتنة قال : ومن لي بهذا ؟ قال : أنا أكفيك أهل البصرة ، ويكفيك زياد أهل الكوفة ، وليس بعد أهل هذين المصرين أحد يخالفك ، قال : فارجع إلى عملك ، وتحدث مع من تثق إليه في ذلك ، فودعه ، ورجع إلى أصحابه ، فقالوا مه ؟ قال : لقد وضعت رجل معاوية في غرز بعيد الغاية على أمة محمد وفتقت عليهم فتقاً لا يرتق أبداً (صدق أفعلى مثل هؤلاء يترحم) قاله الحسن البصري رحمه الله ، فمن أجل ذلك بايع هؤلاء لأبنائهم ، ولولا ذلك لكانت شورى إلى يوم القيامة)[١] ، إنتهى . وسار المغيرة إلى البصرة فذاكر من يثق إليه ، ومن يعلم أنه شيعة لبني أمية في أمر يزيد ، فأجابوه إلى بيعته ، فأوفد منهم عشرة ، ويقال أكثر ، وأعطاهم ثلاثين ألف درهم ، وجعل عليهم إبنه موسى بن المغيرة ، وقدموا على معاوية فزينوا له بيعة يزيد ، ودعوه إلى عقدها ، فقال معاوية : (لا تعجلوا بإظهار هذا ، وكونوا على

---

(١) الكامل : ٥٠٣/٤ ـ ٥٠٤ . مع اختلاف يسير في اللفظ .

رأيكم ، ثم قال لموسى : بكم اشترى أبوك من هؤلاء دينهم ؟ قال : بثلاثين ألفاً قال : لقد هان عليهم دينهم)[1] (قلت هو على المشتري والمشترى له والآخر به أهون) إنتهى .

وقد أخرج الحاكم والطبراني عن عبد الله بن الحارث بن جزء قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (سيكون بعدي سلاطين ، الفتن على أبوابهم كمبارك الأبل ، لا يعطون أحداً شيئاً إلاّ أخذوا من دينه مثله)[2] . ولبث معاوية زمناً طويلاً يعطي المقارب ، ويداري المباعد ، ويلطف به ، حتى استوثق له أكثر الناس ، وتربص حتى مات الحسن بن علي عليهما السلام .

قال العلامة ابن قتيبة في كتاب الإمامة والسياسة : (ثم لم يلبث معاوية بعده وفاة الحسن إلاّ يسيراً حتى بايع ليزيد بالشام ، وكتب ببيعته ألى الآفاق ، وكان عامله على المدينة مروان ابن الحكم ، فكتب إليه يذكر الذي قضى الله على لسانه من بيعة يزيد ، ويأمره بجمع من قبله من قريش وغيرهم من أهل المدينة ، ليبايعوا ليزيد ، فلما قرأ مروان كتاب معاوية أبى من ذلك ، وأبته قريش ، فكتب لمعاوية : أن قومك قد أبوا إجابتك إلى بيعة إبنك ، فأرني رأيك ، فعزله معاوية ، وولى سعيد بن العاص ، وخرج مروان ألى أخواله مغاضباً ، وكتب معاوية ألى سعيد بن العاص يأمره أن يدعو أهل المدينة إلى البيعة ، ويكتب إليه بمن يسارع ، ومن لم يسارع ، فلما أتى سعيد بن العاص الكتاب ، دعا الناس إلى البيعة ليزيد ، وأظهر الغلظة ، وأخذهم بالعزم والشدة ، وسطا بكل من أبطأ عن ذلك ، فأبطأ الناس عنها إلاّ اليسير ، لا سيما بني هاشم ، فإنه لم يجبه منهم

---

(١) ن . م . ٥٠٤ .

(٢) مستدرك الحاكم : ٦٣٤/٣ .

أحد ، وكان ابن الزبير من أشد الناس إنكاراً لذلك ورداً له . فكتب سعيد بن العاص بجميع ذلك إلى معاوية ، فلما بلغه ذلك ، كتب كتباً إلى عبد الله بن عباس ، وإلى عبد الله بن جعفر وإلى عبد الله بن الزبير وإلى الحسين بن علي ، رضي الله عنهم وأمر سعيد بن العاص أن يوصلها إليهم ، ويبعث بجواباتها ، وتلج الكتب كلها تهديد من جهة ، وتملق من أخرى ، فأجابوه كلهم بعدم الرضى ، والإحتجاج عليه في ذلك ولم نذكرها هنا حذر الإطالة .

وهذا نص كتاب الحسين بن علي عليهما السلام ، ونص جوابه إلى معاوية ، وهما مثال وعنوان للكتب الباقية وجواباتها .

كتب معاوية إلى الحسين رضي الله عنه .

أما بعد : فقد انتهت إلي منك أمور لم أكن أظنك بها رغبة بك عنها ، وأن أحق الناس بالوفاء لمن أعطى بيعته من كان مثلك في خطرك وشرفك ومنزلتك التي أنزلك الله بها ، فلا تنازع إلى قطيعتك ، واتق الله ولا تردن هذه الأمة في فتنة ، وانظر لنفسك ودينك وأمة محمد ، ولا يستخفنك ، الذين لا يوقنون .

فكتب إليه الحسين رضي الله عنه :

أما بعد : فقد جاءني كتابك ، تذكر فيها أنها انتهت إليك مني أمور لم تكن تظنني بها رغبة بي عنها ، وأن الحسنات لا يهدي لها ولا يسدد لها إلاّ الله تعالى ، وأما ما ذكرت أنه رقي إليك عني ، فإنما رقاه الملاقون المشاءون بالنميمة ، المفرقون بين الجمع ، وكذب الغاوون المارقون ، ما أردت حرباً ولا خلافاً ، وأني لأخشى الله في ترك ذلك منك ومن حزبك القاسطين المحلين حزب الظلم ، وأعوان الشيطان الرجيم ألست قاتل حجر وأصحابه العابدين المخبتين الذين

كـانوا يستفـظعون البـدع ويأمـرون بـالمعـروف وينهـون عن المنكـر ؟ فقتلتهم ظلمـاً وعدوانـاً من بعد مـا أعطيتهم المـواثيق الغليظة والعهـود المؤكدة ، جرأة على الله واستخفـافاً بعهـده ، أولست بقاتـل عمرو بن الحمق الذي أخلقت وأبلت وجهه العبـادة ؟ فقتلته من بعـد ما أعـطيته من العهـود مـا لـو أفهمتـه العصم لنزلت من شعف الجبـال ، أولست المدعي زياداً في الإسلام ؟ فزعمت أنـه ابن أبي سفيان ، وقـد قضى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن الولد للفراش وللعاهـر الحجر، ثم سلطتـه على أهـل الإسـلام ، يقتلهم ، ويقـطع أيـديهم وأرجلهم من خلاف ، ويصلبهم على جذوع النخل ، سبحان الله يا معاوية ! لكأنك لست من هـذه الأمة ، وليسـوا منك ، أولست قـاتل الحضـرمي الـذي كتب فيه إليك زياد أنه على دين علي كـرم الله وجهه ، ودين علي هـو دين ابن عمه صلى الله عليه وآله وسلم الذي أجلسـك مجلسك الـذي أنت فيـه ، ولـولا ذلـك كـان أفضـل شـرفـك وشـرف آبـائـك تجشم الرحلتين ، رحلة الشتاء والصيف ، فوضعها الله عنكم بنـا منّة عليكم، وقلت فيما قلت : لا ترد هـذه الأمة في فتنـة ، وإني لا أعلم فتنـة لها أعظم من إمارتك عليه ، وقلت فيما قلت : أنظر لنفسك ولدينك ولأمة محمد ، وإني والله ما أعرف أفضل من جهادك ، فإن أفعـل فأنـه قربـة إلى ربي ، وإن لم أفعل فأستغفر الله لذنبي ، وأسأله التوفيق لما يحب ويـرضى،وقلت فيما قلت: متى تكـدني أكدك،فكـدني يا معاوية فيما بـدا لك ، فلعمري لقـديماً يُكـاد الصالحـون ، وأني لأرجو أن لا تضـر إلا نفسـك ، ولا تمحق ألاّ عملك ، فكـدني مـا بـدا لـك ، واتق الله يـا معاوية ، واعلم أن لله كتـاباً لا يغـادر صغيرة ولا كبيـرة إلاّ أحصاهـا ، واعلم أن الله ليس بناس لك قتلك بالظنة ، وأخذك بالتهمة ، وإمارتك صبيـاً يشرب الشـراب ، ويلعب بـالكـلاب ، مـا أراك إلاّ وقـد أوبقت نفسك ، وأهلكت دينك ، وأضعت الرعية والسلام .

قـال : فكتب سعيد بن العـاص إلى معـاويـة ، أنـه لم يبـايعني أحـد ، وإنما النـاس تبـع لهؤلاء النفـر ، فلو بـايعـوك بـايعـك النـاس جميعـاً ، ولم يتخلف عنك أحـد ، وأرسـل إليـه جـوابـاتهم فلمـا بلغ معاوية ذلك ، كتب إلى سعيد أن لا يحركهم حتى يقدم .

ثم قدم معاوية المدينة حاجاً ، فلما أن دنـا من المدينـة ، خرج إليـه الناس يتلقـونه مـا بين راكب وماش ، وخـرج النساء والصبيـان ، فلقبـه الناس على حسب طبقـاتهم ، فـلان لكـل من كـافحـه وفـاوض العامة بمحادثته وتألفهم جهده مقاربة ومصانعة ليستميلهم إلى مـا دخل فيه الناس ، حتى قال في بعض ما يجتلبهم به : يا أهـل المدينـة ، ما زلت أطـوي الحزن من وعثـاء السفر بـالحب لمطالعتكم حتى أنـطوى البعيد ولان الخشن وحق لجار رسول الله أن يتاق إليه .

قال : حتى إذا كان بـالجرف لقيـه الحسين بن علي وعبد الله بن عبـاس رضى الله عنهم ، فقال معـاوية : مـرحباً بـابن بنت رسـول الله وابن صنـو أبيه ، ثم انحـرف إلى النـاس ، فقـال : هـذان شيخـا بني عبد مناف ، وأقبل عليهما بوجهه وحديثه ، فرحب وقرب وجعل يواجـه هذا مرة ويضاحك هذا أخرى ، حتى ورد المـدينة ، وأقبـل ومعه خلق كثير من أهل الشام ، حتى أتى عائشة رضي الله عنها فـأستأذن فـأذنت له وحده ، لم يدخل عليها معه أحد وعندها مولاها ذكوان ، فوقظتـه ، وحـرضته على الإقتـداء بأبي بكـر وعمر ، وعنفتـه على قتل حجـر بن عدي وأصحابه ، ثم مضى حتى أتى منزله .

ثم أرسل إلى الحسين بن علي فخلا بـه ، وقال لـه : يابن أخي قد استوثق الناس لهذا الأمر غير خمسة نفر من قـريش ، وأنت تقودهم يا ابن أخي ، فما أربك إلى الخلاف .

قال الحسين : أرسل إليهم فـإن بايعـوك كنت رجلاً منهم ، وإلاّ تكن عجلت علي بأمر .

قال : وتفعل ، قال : نعم قال فأخذ عليه أن لا يخبر بحـديثهما أحداً ، فخرج ، ثم أرسل إلى الباقين واحـداً يقول لهم بنحـو ما قـاله للحسين رضي الله عنه ، ويجيبه كل منهم بنحو جواب الحسين .

قـال : ثم جلس معاويـة صبيحة اليـوم الثـاني ، وأجلس كتـابـه بحيث يسمعون من يأمر به ، وأمر حاجبه أن لا يأذن لأحد من الناس ، وأن قـرب ، ثم أرسل إلى الحسين بن علي وعبـد الله بن عباس رضي الله عنهم ، فسبق ابن عباس فأجلسـه عن يساره وشـاغله بالحـديث ، حتى أقبل الحسين ، ودخل فـأجلسه عن يمينـه ، وسألـه عن حال بني الحسن وأسنانهم فأخبره ، ثم خطب معاوية خـطبة أثنى فيهـا على الله ورسوله ، وذكر الشيخين وعثمان ، ثم ذكر أمر يزيد وأنه يحاول ببيعتـه سد خلل الرعية ، وذكر علمه بالقرآن والسنة ، واتصافه بـالحلم ، وأنه يفـوقهما سيـاسة ومنـاظرة ، وإن كـانا أكبـر منه سنـاً ، وأفضـل قـرابـة واستشهد بتولية النبي صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص في غـزوة ذات السلاسل علىٰ أبي بكر وعمر وأكابر الصحابة ، وقيام عمرو بذلك خير قيام ، وأن في رسول الله أسوة حسنة ثم استجابهما عما ذكر .

قـال : فتهيأ ابن عبـاس للكلام فقـال له الحسين : على رسلك فأنا المراد ، ونصيبي في التهمة أوفر ، وقام الحسين فحمـد الله تعالى وصلى على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وقال :

أمـا بعد : يـا معاويـة ، فلن يؤدي القـائـل وإن أطنب في صفـة الرسول صـلى الله عليه وآلـه وسلم من جميع جـزءاً ، وقد فهمت مـا لبست بـه الخلف بعـد رسـول الله من إيجـاز الصفـة ، والتنكب عن استبـلاغ البيعـة ، وهيهـات هيهـات يا معـاوية ، فضـح الصبح فحمـة الدجى ،

وبهرت الشمس أنوار السرج ، ولقد فضلت حتى أفرطت ، واستأثرت حتى أجحفت ، ومنعت حتى أجحفت ، ومنعت حتى بخلت ، وجرت حتى جاوزت ، ما بذلت لذي حق من اسم حقه من نصيب حتى أخذ الشيطان حظه الأوفر ، ونصيبه الأكمل ، وفهمت ما ذكرته عن يزيد من اكتماله وسياسته لأمة محمد ، تريد أن توهم الناس في يزيد ، كأنك تصف محجوباً ، أو تنعت غائباً ، أو تخبر عما كان مما احتويته بعلم خاص ، وقد دل يزيد من نفسه على موقع رأيه ، فخذ ليزيد فيما أخذ به من استقرائه الكلاب المهارشة عند التحارش ، والحمام السبق لأترابهن ، والفينات ذوات المعازف ، وضروب الملاهي ، تجده ناصراً ، ودع عنك ما تحاول ، فما أغناك أن تلقى الله بوزر هذا الخلق بأكثر مما أنت لاقيه ، فوالله ما برحت تقدح باطلاً في جور ، وحنقاً في ظلم ، حتى ملأت الأسقية ، وما بينك وبين الموت إلا غمضة ، فتقدم على عمل محفوظ في يوم مشهود ، ولات حين مناص ، ورأيتك عرضت بنا بعد هذا الأمر ، ومنعتنا عن آبائنا تراثاً ، ولقد لعمر الله ورثنا الرسول ولادة ، وجئت لنا بما حججتم به القائم عند موت الرسول ، فأذعن للحجة بذلك ، وردت الإيمان إلى النصف ، فركبتم الأعاليل ، وفعلتم ، وقلتم كان ويكون ، حتى أتاك الأمر يا معاوية من طريق ، كان قصدها لغيرك ، فهناك ، فاعتبروا يا أولي الأبصار . وذكرت قيادة الرجل القوم بعهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتأميره له ، وقد كان ذلك ولعمرو بن العاص يومئذٍ فضيلة بصحبة الرسول ، وبيعته له ، وما صار لعمرو يومئذ ، حتى أنف القوم أمرته ، وكره القوم تقديمه ، وعدوا عليه أفعاله ، فقال صلى الله عليه وآله وسلم : لا جرم معشر المهاجرين ، لا يعمل عليكم بعد اليوم فكيف تحتج بالمنسوخ من فعل الرسول في أوكد الأحوال وأولاها بالمجتمع عليه من الصواب ؟ أم كيف ضاهيت بصاحب تابعاً وحولك

من يؤمن في صحبته ويعتمد في دينه وقرابته وتتخطاهم إلى مسرف مفتون ؟ وتريد أن تلبس الناس شبهة يسعد بها الباقي في دنياه ، وتشقي بها في آخرتك ، إن هذا لهو الخسران المبين وأستغفر الله لي ولكم .

قال : فنظر معاوية إلى ابن عباس فقال ما هذا يا ابن عباس ولما عندك أدهى وأمر فقال ابن عباس لعمر الله أنه لذرية الرسول وأحد أصحاب الكساء ومن البيت المطهر فاسأله عما تريد فإن لك في الناس مقنعاً حتى يحكم الله بأمره وهو خير الحاكمين .

فقال معاوية انصرفا في حفظ الله[1] انتهى ملخصاً من كتاب ابن قتيبة .

وقال ابن الأثير في الكامل : ثم أن أولئك النفر خرجوا إلى مكة فأقاموا بها ، وخطب معاوية بالمدينة ، وذكر يزيد فمدحه ، وقال : من أحق بالخلافة منه في فضله وعقله وموضعه ، وما أظن قوماً بمنهين ، حتى تصيبهم بوائق تجتث أصلهم ، وقد أنذرت إن أغنت النذر ، ثم قال ومكث معاوية بالمدينة ما شاء الله ، ثم خرج إلى مكة فتلقاه الناس ، فقال أولئك النفر : نتلقاه فلعله قد ندم على ما قد كان ، فلقوه ببطن مر ، فكان أول من لقيه الحسين بن علي عليهما السلام ، فقال له معاوية : مرحباً وأهلاً بابن رسول الله وسيد شباب المسلمين ، فأمر له بدابة فركب ، وسايره ، ثم فعل بالباقين مثل ذلك ، وأقبل يسايرهم لا يسير معه غيرهم ، حتى دخل مكة ، وكانوا أول داخل ، وآخر خارج ، ولا يمضي يوم إلاّ ولهم صلة ، ولا يذكر لهم شيئاً ، حتى قضى نسكه ، وحمل أثقاله ، وقرب مسيره فأحضرهم ، وأعاد

(١) الإمامة والسياسة (١٤٤ ـ ١٥٥) طبع مطبعة الفتوح .

عليهم ما طلبه بالمدينة من بيعة يزيد ، فلم يجيبوه إلى ما طلب ، وكان المتكلم عبد الله بن الزبير ، فسأل معاوية الباقين ، فقالوا : قولنا قوله ، قال : فإني قد أحببت أن أتقدم إليكم أنه قد أعذر من أنذر ، أني كنت خطبت فيكم فيقوم إلي القائم منكم فيكذبني على رؤوس الناس ، فأحمل ذلك ، وأصفح ، وأني قائم بمقالة ، فأقسم بالله لئن رد علي أحدكم كلمة في مقامي هذا لا ترجع إليه كلمة غيرها ، حتى يسبقها السيف إلى رأسه ، فلا يبقين رجل إلاّ على نفسه ، ثم دعا صاحب حرسه بحضرتهم ، فقال : أقم على رأس كل رجل من هؤلاء رجلين ، ومع كل واحد سيفه ، فإن ذهب رجل منهم يرد علي كلمة بتصديق أو تكذيب فليضرباه بسيفيهما ، ثم خرج ، وخرجوا معه ، حتى رقى المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم أن هؤلاء الرهط سادة المسلمين وخيارهم ، لا يبرم أمر دونهم ، ولا يقضي إلاّ عن مشورتهم ، وأنهم قد رضوا وبايعوا ليزيد ، فبايعوا على اسم الله ، فبايع الناس ، وكان الناس يتربصون بيعة هؤلاء النفر ، ثم ركب رواحله ، وانصرف إلى المدينة ، فلقى الناس أولئك النفر ، فقالوا لهم : زعمتم أنكم لا تبايعون ، فلم رضيتم وأعطيتم وبايعتم قالوا : والله ما فعلنا ، فقالوا : ما منعكم أن تردوا على الرجل ؟ قالوا : كادنا وخفنا القتل ، وبايعه أهل المدينة ، ثم انصرف إلى الشام[1] ، إنتهى .

وقال ابن عبد البر : (بعث معاوية إلى عبد الرحمن بن أبي بكر بعد أن أبى البيعة ليزيد بمائة ألف درهم ، فردها إليه عبد الرحمن ، وأبى أن يأخذ وقال : أبيع ديني بدنياي ، وخرج إلى مكة ، ومات بها

---

(١) الكامل : ٣/٥٠٩ - ٥١١ ، مع اختلاف يسير في اللفظ .

قبـل أن تتم البيعة ليـزيد)[1] إنتهى قلت قـول بعض الشيعة هنـا مات بالسم ، لم ينقله أهل السنة ، فلا معول عليه عندنا والله أعلم .

وإنما أطلت بذكر خبر هـذه البيعة مـع شهرتـه واستفاضتـه ليعلم الأغبيـاء من المقلدين ما ارتكبـه معاويـة لأجلها من الأكـاذيب والحيل والمكر والخداع والكيد والرشـوة من بيت مال المسلمين ، وغش الأمـة والإستخفاف بذوي الفضل والمنزلة من الصحابة ، وتهديـدهم بالقتـل وغير ذلك من الفظائع ، حتى يتيقن أولئك الأغبياء أنهم مغـرورون من مقلديهم ، مغشـوشون بمـا موهـوا بـه عليهم من خـلاف ذلـك ، وأن تقليدهم لا ينفعهم ، ولا يجديهم عندما تنكشف الحقـائق لدى الملك العـدل ، يـوم التغـابن ، حين تنقـطع الأسبـاب التـابـع والمتبـوع إلاّ المتيقن .

لم يول معاوية يزيداً وحده محاباة

ولا يذهب عنك ، أن معاوية لم يول يزيداً وحده على المسلمين محـاباة ، بـل أكثر عمـاله من هـذا القبيل .

توليته المغيرة بن شعبة

فقد ترك ولاية الكوفة وأعمالها للمغيرة بن شعبة ، لكونـه غارس شجرة هذه البيعة الممقوتة ، ومتولي كبرها وهو المشير أيضاً باستلحاق زيـاد ، والسـاعي بينـه وبين معـاويــة بـالصلح والتعـاون على الإثم والعدوان ، وقد ردّ النبي عليه وعلى آله الصـلاة والسلام الغنيمـة التي جاء بها المغيرة ولم يخمسها ، قال : هذا غدر ، والغدر لا خيـر فيه ، وهو الباذل جهده إرضاءً لمعـاوية في سبّ الإمـام علي عليه السـلام ، ولعنه ، وهو الموصي عماله ومستخلفيه بذلك إلى غير ذلك من قبائحه

---

(١) الإستيعاب : ٨٢٥/٢ رقم (٣٩٤) ترجمة عبد الرحمن ابن أبي بكر .

المذكورة في كتب السير والتاريخ ، وقد شهد عليه أبو بكر رضي الله عنه ، وإثنان معه بالزنا عند عمر رضي الله عنه ، وتردد الرابع ، وهو صاحبه زياد، فقال: رأيت أستاً تنبو، ونفساً يعلو، ورجلاها على عاتقه كأذني حمار ، ولا أدري ما وراء ذلك ، ولولا تردد زياد لرجمه عمر ، وفي ذلك يقول حسان بن ثابت رضي الله عنه :

لو أن اللؤم ينسب كان عبداً — قبيح الوجه أعور من ثقيف
تركت الدين والإيمان جهلاً — غداة لقيت صاحبة النصيف
وراجعت الصبا وذكرت لهواً — من الأحشاء والخصر اللطيف(1)

توليته عمرو بن العاص

وولى أيضاً عمرو بن العاص مصر ، وما والاها طمعة ورشوة على ما صنع في أمر التحكيم ، وقبله من الخيانة لله ولرسوله وللمسلمين ، والإيمان الفاجرة التي أقسمها ، ومعاداته الإمام علياً عليه السلام في باقي أيامه .

نقل ابن عبد ربه عن سفيان بن عيينة قال : (أخبرني أبو موسى الأشعري قال : أخبرني الحسن قال : عالم معاوية والله أن لم يبايعه عمرو لم يتم له أمر فقال له : يا عمرو إتبعني قال : لماذا ؟ الآخرة فوالله ما معك آخرة أم للدنيا فوالله لا كان حتى أكون شريكك فيها ، قال : فأنت شريكي فيها ، قال : فاكتب لي مصر وكورها ، فكتب له مصر وكورها ، وكتب في آخر الكتاب : وعلى عمرو السمع والطاعة قال عمرو : واكتب أن السمع والطاعة لا يغيران من شرطه شيئاً ، قال : معاوية لا ينظر إلى هذا قال عمرو حتى يكتب قال : فكتب والله ما يجد بداً من كتابتها ، ودخل عتبة بن أبي سفيان على معاوية

---

(1) راجع : سنن البيهقي ٢٣٥/٨ ، عمدة القارىء : ٣٤٠/٦ ، الطبري : ٢٠٧/٤ المطبعة الحسينية ، الأغاني : ٥٨٦٥/١٦ ـ ٥٨٧٤ ، طبعة دار السقيا .

وهو يكلم عمرواً ويقول له : إنما أبايعك بها ديني ، فقال عتبة أثمن الرجل بدينه فأنه صاحب من أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وكتب عمرو إلى معاوية .

معاوي لا أعطيك ديني ولم أنل ... به منك دنيا فانظرن كيف تصنع
وما الدين والدنيا سواء وإنني ... لآخذ ما تعطي ورأسي مقنع
فإن تعطني مصراً فأربح صفقة ... أخذت بها شيخاً يضر وينفع[1]

إنتهى من العقد الفريد .

قال الله تعالى ﴿ **من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون، أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون** ﴾[2] وقد وبخ الإمام علي عليه السلام عمرواً على متابعته لمعاوية في باطله كما ذكر ذلك في نهج البلاغة قال : ومن كتاب له عليه السلام إلى عمرو بن العاص : (فإنك قد جعلت دينك تبعاً لدنيا امرىء ظاهر غيه ، مهتوك ستره ، يشين الكريم بمجلسه ، ويسفه الحليم بخلطته ، فاتبعت أثره ، وطلبت فضله اتباع الكلب للضرغام ، يلوذ إلى مخالبه ، وينتظر ما يلقى إليه من فضل فريسته ، فأذهبت دنياك وآخرتك ، ولو بالحق أخذت أدركت ما طلبت ، فإن يمكن الله منك ومن ابن أبي سفيان اجزاكما بما قدمتما ، وأن تعجزا وتبقيا ، فما أمامكما شر لكما)[3] إنتهى .

ومن نهج البلاغة أيضاً في موضع آخر في ذكر عمرو أيضاً (عجباً لابن النابغة يزعم لأهل الشام أن فيَّ دعابة ، وإني امرؤ

---

(١) العقد الفريد : ٣٤٥/٤ .

(٢) سورة هود : الآية ١٥ ـ ١٦ .

(٣) نهج البلاغة شرح محمد عبده (٦٤) .

تلعابة ، أعافس وأمارس ، لقد قال باطلاً ، ونطق إثماً ، أما وشرُّ القول الكذب ، أنه ليقول فيكذب ، ويعد فيخلف ، ويسأل فيلحف ، ويُسئل فيبخل ، ويخون العهد ، ويقطع الآل ؛ فإذا كان عند الحرب فأي زاجر وآمر هو ! ما لم تأخذ السيوف مأخذها ؟ فإذا كان ذلك كان أكبر مكيدته أن يمنح القوم سبته .

أما والله أنه ليمنعني من اللعب ذكر الموت ، وأنه ليمنعه من قول الحق نسيان الآخرة ، أنه لم يبايع معاوية حتى شرط له أن يؤتيه آتية ، ويرضخ له على ترك الدين رضيخة)[1] إنتهى . وقد أشار الإمام علي عليه السلام بقوله يمنح القوم سبته إلى مكيدة عمرو بكشف عورته فراراً من القتل ، فقد ذكر المدائني وابن الكلبي وغيرهما من أهل السير : أن علياً كرم الله وجهه حمل على عمرو في بعض أيام صفين ، فلما تصور أنه قاتله ألقى بنفسه عن فرسه ، وكشف سوءته مواجهاً له عليه السلام ، فلما رأى ذلك منه غض بصره عنه ، وانصرف عمرو مكشوف العورة ، ونجا بذلك ، فصار مثلاً لمن يدفع عن نفسه مكروهاً بارتكاب المذلة والعار ، وفيه يقول أبو فراس الفرزدق[2] .

ولا خير في ردّ الردى بمذلةٍ كما ردّها يوماً بسوءته عمرو

وروى مثل ذلك قصة بسر بن أرطأة معه كرم الله وجهه ، فإنه حمل على بسر فسقط بسر على قفاه ، ورفع رجليه ، فانكشفت عورته ، فصرف علي عليه السلام وجهه عنه ، فلما قام سقطت البيضة عن رأسه ، فصاح أصحابه يا أمير المؤمنين أنه بسر بن أرطأة ، فقال : ذروه لعنه الله ، فلقد كان معاوية أولى بذلك منه ، فضحك معاوية ،

(١) شرح المنهج : ٦/٢٨٠ .

(٢) راجع : وقعة صفين ٣٧١، ٤٠٦، ٤٢٤ .

وقال : لا عليك يا بسر ارفع طرفك ولا تستحي فلك بعمرو أسوة ، وقد أراك الله منه ما أراه منك ، فصاح فتى من أهل الشام ، أما تستحون ، لقد علمكم عمرو كشف الأستاه ثم أنشد :

أفي كل يوم فارس ذو كريهة — له عورة وسط العجاجة باديه
يكف لها عنه علي سنانه — ويضحك منها في الخلاء معاوية
بدأت أمس من عمرو فقنع رأسه — وعورة بسر مثلها حذو حاذية
فقولا لعمرو وابن أرطأة أبصرا — سبيلكما لا تلقيا الليث ثانية
ولا تحمدا إلّا الحيا وخصاكما — هما كانتا والله للنفس واقية
ولولاهما لم تنجوا من سنانه — وتلك بما فيها عن العود ناهيه

وكان بسر ممن يضحك من عمرو فصار هو ضحكة أيضاً(١) .

توليته عمرو بن سعيد الأشدق

وولى معاوية أيضاً عمرو بن سعيد بن العاص المتكبر المشهور على مكة المشرفة ، وهو الجبار الذي رعف على منبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم كما ذكره ابن قتيبة وغيره ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : (سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليرعفن على منبري هذا جبار من جبابرة بني أمية فيسيل رعافه فحدثني من رأى عمرو بن سعيد بن العاص رعف على منبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، حتى سال رعافه على درج المنبر)(٢) .

وذكر أبو عبيدة في كتاب المثالب وأبو جعفر في تاريخه أن عبيد الله بن زياد كتب إلى عمرو بن سعيد بن العاص وهو وال على

---

(١) وقعة صفين : (٤٦١ ـ ٤٦٢) والشعر للنفير بن الحارث ، شرح النهج : ٣١٦/٦ ، الإستيعاب : ١٦٥/١ .
(٢) تطهير الجنان واللسان : ٦٣ .

المدينة الشريفة يبشره بقتل الحسين عليه السلام فقرأ كتابه على المنبر وأنشد رجزاً ثم أومأ إلى القبر الشريف وقال : يـا محمد يـوم بيوم بـدر فأنكر عليه قوم من الأنصار . إنتهى[1] .

قلت : وعمـرو هذا هـو الذي يقـال له الأشـدق ، وهو المـدعو بلطيم الشيـطان ، قتله عبـد الملك غـدراً بـدمشق[2] (ومـا ظـالـم إلاّ سيبلى بظالم) .

توليته مروان بن الحكم

وولى معـاوية كـذلك مـروان ابن الحكم وهـو ابن طـريـد النبي ولعينه وهو : الفضض من لعنة الله تعالى كمـا أخبرتـه به عـائشة رضي الله عنها[3] ، وهو المزور على عثمان رضي الله عنه الكتاب الذي كان سببـاً لقتله[4] ، وهو : القـاتل طلحـة بن عبيد الله رضي الله عنـه يـوم الجمل غيلة[5] وهو القائل للحسين بن علي عليهمـا السلام إنكم أهـل بيت ملعـونـون[6] وهـو المشيـر أخيـراً بقتـل الحسين بن علي عليهمـا السلام صبراً ، حين دعاه الوليد بن عتبة بن أبي سفيـان إلى منزلـه وهو إذ ذاك أمير المدينة ، وأخبره بموت معاوية ، وطلب منه أن يبايع ليزيد فـاستمهله ، فقال مـروان للوليد : لا تـدعه يخـرج من هنا حتى يبـايع

---

(١) ن . م . والصفحة .

(٢) الإستيعاب : ١٧٨٩/٣ طبع حيـدر آباد ، أسـد الغابـة ٣٤/٢ ، كنز العمـال ٩٠/٦ ضمن مجمـوعة من الأحـاديث ، مستـدرك الحـاكم ٤٧٩/٤ ، المسعـودي ٣١٣/٢ . الصـواعق المحرقة ١٠٨ .

(٣) مستدرك الحاكم ٤٨١/٤ . الرازي في تفسير ﴿ وما جعلنا الرؤية . . ﴾ .

(٤) المسعودي ٣٥٣/٣ .

(٥) تهذيب التهذيب ٢٢/٥ .

(٦) مجمع الزوائد ٧٢/١٠ ، جمع الجوامع للسيوطي ٩٠/٦ .

ليزيد ، أو تقتله ، فأبى ذلك عليه الوليد ، واستعظمه . ذكره البيهقي في المحاسن والمساوىء ، وأخرجه الحاكم[1] وصححه عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه أنه قال : كان لا يولد لأحد مولود إلّا أتى به النبي صلى الله عليه وسلم فيدعو له ، فأدخل عليه مروان بن الحكم ، فقال : هذا الوزغ بن الوزغ الملعون بن الملعون[2] .

توليته سمرة بن جندب

وولى كذلك سمرة بن جندب محاباة ، وكان قد أعطاه من بيت المال أربعمائة ألف ، على أن يخطب سمرة في أهل الشام بأن قوله تعالى : ﴿ **ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام ، وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد** ﴾[3] أنها نزلت في علي بن أبي طالب كرم الله وجهه[4] فخطب بها فيهم ، وهو آخر الثلاثة موتاً وقد قال لهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم آخركم موتاً في النار[5] وهو أحد العشرة الذين قال لهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم : (ضرس أحدكم في النار مثل أحد) وهو الذي عرض عليه النبي صلى الله عليه وسلم كما في الصحيح بدل نخلاته التي في حائط الأنصاري قيمتها فأبى ، ثم نخلات بدلها فأبى ، ثم من الثواب ما هو كذا وكذا فأبى ، فقال له : (إنما أنت مضار) وأمر بقطع نخلاته بلا ثمن[6] وهو

---

(١) المحاسن والمساوىء ٨١ ، الطبري ٥/٢٤٠ .

(٢) مستدرك الحاكم ٤/٤٧٩ ، حياة الحيوال للدميري ٢/٣١٩ .

(٣) سورة البقرة : الآية ٢٠٤ ـ ٢٠٥ .

(٤) شرح النهج ٤/٧٣ وفيه أن معاوية بذل لسمرة مائة ألف درهم .

(٥) تهذيب التهذيب ٤/٢٣٧ .

(٦) تطهير الجنان واللسان ٦٣ ، مجمع الزوائد ٥/٢٤٣ .

الذي كان يبيع الخمر وقد حرم الله ذلك ، وقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : أن سمرة بن جندب باع خمراً ، قاتل الله سمرة ، ألم يعلم أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: لعن الله اليهود حرمت عليهم الشحوم فحملوها فباعوها ؟ ـ أي أذابوها فباعوها ـ[1] ذكره الزمخشري في الفائق وهو الذي أسرف في القتل على علم من معاوية .

ذكر أبو جعفر الطبري رحمه الله قال : (حدثني عمر قال : حدثني اسحق ابن أدريس قال حدثني محمد بن سليم قال : سألت أنس بن سيرين هل كان سمرة قتل أحداً ؟ قال : هل يحصى من قتل سمرة بن جندب ؟ استخلفه زياد على البصرة ، وأتى الكوفة ، فجاء ، وقد قتل ثمانية آلاف من الناس فقال له : هل تخاف أن تكون قتلت أحداً بريئاً ؟ قال : لو قتلت إليهم مثلهم ما خشيت ، أو كما قال : وحدثني عمر قال : حدثني موسى بن اسمعيل قال : حدثنا نوح بن قيس عن أشعث الحلاني عن أبي سواءٍ العدوي قال : قتل سمرة من قومي في غداة سبعة وأربعين رجلاً كلهم قد جمع القرآن .

وحدثني عمر قال : حدثني علي بن محمد عن جعفر الصدفي عن عون قال : أقبل سمرة من المدينة ، فلما كان عند دور بني أسد خرج رجل من بعض أزقتهم ، ففجأ أوائل الخيل ، فحمل عليه رجل من القوم فأوجره الحربة ، قال : ثم مضت الخيل فأتى عليه سمرة بن جندب ، وهو متشحط في دمه ، فقال ما هذا ؟ قيل أصابته أوائل خيل الأمير، قال: إذا سمعتم بنا قد ركبنا فاتقوا أسنتنا)[2]وقال في موضع آخر قال : (عمر وبلغني عن جعفر بن سليمان الضبعي قال : أقر

---

(١) صحيح مسلم ٣/٣٩٥ ح (١٥٨٢) .
(٢) الطبري ٥/٢٣٦ ـ ٢٣٧ .

معاوية سمرة بعد زياد ستة أشهر ، ثم عزله فقال سمرة لعن الله معاوية ، والله لو أطعت الله كما أطعت معاوية ما عذبني أبداً ، وحدثني عمر قال : حدثني موسى بن اسمعيل ، قال حدثني سلمان بن مسلم العجلي ، قال : سمعت أبي يقول مررت بالمسجد فجاء رجل إلى سمرة فأدى زكاة ماله ، ثم دخل فجعل يصلي في المسجد ، فجاء رجل فضرب عنقه ، فإذا رأسه في المسجد وبدنه ناحية ، فمر أبو بكرة فقال: يقول الله سبحانه﴿**قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى**﴾[1] قال أبي : فشهدت ذلك ، فما مات سمرة حتى أخذه الزمهرير ، فمات شر ميتة قال : وشهدته وأتى بناس كثير ، وأناس بين يديه ، فيقول للرجل ما دينك فيقول أشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وأني بريء من الحرورية فيقدم فيضرب عنقه حتى مر بضعة وعشرون)[2] .

توليته بسر بن أرطأة

وولى كذلك بسر بن أرطأة وهو الحالف على منبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم لولا أنه منع لما ترك بالمدينة محتلماً إلّا قتله، وهو[3] قاتل الصبيين عبد الرحمن وقثم ابني عبيد الله بن العباس في حجر أمهما فجنّت ووسوست[4] ، وهو السابي النساء المسلمات من اليمن ، وبائعهن في السوق والفاعل الأفعال القبيحة[5] .

قال أبو جعفر الطبري في تاريخه : (قال عطاء بن مروان : أخبرني حنظلة بن علي الأسلمي ، قال : وجد بسر قوماً من بني كعب

(١) سورة الأعلى : الآية ١٤ ـ ١٥ .
(٢) ن . م .
(٣) الإستيعاب ١٦٢/١ وفي الطبري (ما تركت مختمراً إلّا قتلته) .
(٤) راجع : الإستيعاب ١٥٩/١،١٦٣ رقم (١٧٤) ، أسد الغابة ١٧٩/١ .
(٦) الإستيعاب ١٦١/٢ .

وغلمانهم على بئرهم فألقاهم في البئر)[1] وقال: (أقام بسر بن أرطأة بالمدينة شهراً يستعرض الناس ليس أحد ممن يقال هذا أعان على عثمان إلّا قتله)[2] .

توليته شرحبيل بن السمط

وولى كذلك شرحبيل بن السمط الكندي على حمص وأعمالها ، وهو ناشر دعوة الطلب بدم عثمان تحت إمرة معاوية .

قال ابن عبد البر : لما قدم جرير على معاوية رسولاً من عند علي رضي الله عنه حبسه شهراً ، يتحير ، ويتردد في أمره ، فقيل لمعاوية : أن جرير قد ردد بصائر أهل الشام في أن علياً قتل عثمان ، ولا بد لك من رجل يناقضه في ذلك ممن له صحبة ومنزلة ، ولا نعلمه إلّا شرحبيل بن السمط ، فاستقدمه معاوية ، فقدم عليه فهيأ له رجالاً ، يشهدون عنده : أن علياً قتل عثمان ، منهم بسر بن أرطأة ويزيد بن أسيد وأبو الأعور السلمي وحابس بن سعد الطائي ومخارق بن الحرث الزبيدي وحمزة بن مالك الهمداني ، وقد واطأهم معاوية على ذلك (أي على شهادة الزور) ، شهدوا عنده : أن علياً قتل عثمان ، فلقى جريراً فناظره ، فأبى أن يرجع ، وقال : قد صح عندي أن علياً قتل عثمان ، ثم خرج إلى مدائن الشام ، يخبر بذلك ، ويندب إلى الطلب بدم عثمان قال : أبو عمر وهو معدود في طبقة بسر بن أرطأة وأبي الأعور السلمي[3] .

توليته زياد بن سمية

وولى أيضاً زياد بن سمية بعد أن استغواه ، واستلحقه ، وهو

---

(١) الطبري ١٧٦/٥ وفي الرواية (بئر لهم) و(بسر) زائدة .

(٢) ن . م . والصفحة .

(٣) الإستيعاب ٧٠٠/٢ رقم (١١٦٨) .

الظالم الناكص على عقبيه كما قال تعالى : ﴿ **واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين** ﴾[1] عمل زياد لمعاوية ، وارتكب القبائح والآثام العظيمة ، بعد أن عمل لعمر ولعلي رضي الله عنهما ، ثم رجع القهقرى ، واسترسل في اقتحام الجرائم ، حتى كتب إلى الحسن بن علي عليهما السلام ، وقد شفع إليه في رجل من شيعته من زياد بن أبي سفيان إلى الحسن بن فاطمة ، أما بعد فقد أتاني كتابك تبدأ فيه بنفسك قبلي ، وأنت طالب حاجة ، وأنا سلطان ، وأنت سوقة ، كتبت إلي في فاسق آويته إقامة منك على سوء الرأي ، ورضي منك بذلك ، وأيم الله لا تسبقني به ، ولو كان بين جلدك ولحمك فأن أحب لحم إلي أن آكل من اللحم الذي أنت منه ، فسلمه بجريرته إلى من هو أولى به منك ، فإن عفوت عنه لم أكن شفعتك فيه ، وإن قتلته أقتله لحبه أباك الفاسق ، والسلام . ولما بلغ موته ابن عمر قال : يا ابن سمية لا الآخرة أدركت ، ولا الدنيا بقيت عليك[2] .

وولى كذلك عبيد الله بن زياد بن سمية ، وظلمه وبغيه وفجوره مشهور ، وسيرته معلومة ، ولم يزل يرتع في المظالم، حتى كلل أعماله القبيحة بقتل الحسين بن علي عليهما السلام .

وقد ذكر ابن جرير في تاريخه والزمخشري في الفائق وغيرهما : أنه دخل عليه زيد بن أرقم وبين يديه رأس الحسين عليه السلام ، وهو ينكث بقضيب معه فغشي عليه ، فلما أفاق قال له : مالك يا شيخ ؟ قال : رأيتك تنكث شفتين طالما رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقبلهما فقال ابن زياد لعنه الله : أخرجوه، فلما قام ليخرج قال: إنّ

---

(١) سورة الأعراف : الآية ١٧٥ .

(٢) تاريخ ابن عساكر/ترجمة أمير المؤمنين ٤١٨/٥ .

محمديكم هذا الدحداح ، وفيه يقول عدو الله يزيد بن معاوية لعنة الله عليهما :

اسقني شربة تروي مشاشي ثم قم واسق مثلها ابن زياد
صاحب الود والأمانة والتسديد مني ومغنمي وجهادي[1]

وإذا تتبعت سيرة معاوية وتأريخه وجدت كثيراً من عماله من هذا القبيل وكما قيل أن عمر رضي الله وحسناته جميعها حسنة واحدة من حسنات أبي بكر رضي الله عنه ، فكذلك أن يزيد وقبائحه وسيئاته كلها سيئة واحدة من سيئات معاوية ، وكل ما فعله بسلطانه ، وتوليته من الظلم والجور ، فهو في عنقه كما جاءت به الأحاديث ، فهؤلاء هم الوزراء والأتباع ، ومعاوية هو الإمام الذي دهورهم في ذلك الشقاء ، وسيعلم متبعوه ذل مقامهم (يوم يدعى كل أناس بإمامهم)[2] ومن هذا حاله وهذه أفعاله كيف لا يستحق اللعن ؟ وتستحقه الواشمة والمستوشمة وكيف لا يجوز لعن من نهب قناطير الذهب والفضة من أموال المسلمين ؟ ويجوز لعن السارق درهماً واحداً لا والله ﴿ **أفمن يهدي إلى الحقّ أحقّ أن يتّبع** ﴾[3] .

من موبقاته استلحاقه لزياد وذكر قصته

ومن موبقاته الشنيعة استلحاقه زياد بن عبيد ، وجعله زياد بن أبي سفيان وهو أول استلحاق جاهلي عمل به في الإسلام علناً ، واستنكره الصحابة وأهل الدين[4] .

---

(١) الطبري ٥/٤٥٦ ، الفائق ١/٣٩٢ .
(٢) سورة الإسراء : الآية ٧١ .
(٣) سورة يونس : الآية ٣٥ .
(٤) قصة الإستلحاق ٥/٢١٤ ـ ٢١٥ ، (الطبري ١ .

أخرج البخاري في صحيحه عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (من ادعى إلى غير أبيه، وهو يعلم أنه من غير أبيه، فالجنة عليه حرام، فذكرته لأبي بكرة فقال : وأنا سمعته أذناي ووعاه قلبي من رسول الله صلى الله عليه وسلم[1] .

وأخرج فيه أيضاً عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم : (قال : لا ترغبوا عن آبائكم فمن رغب عن أبيه فهو كفر)[2] .

وفيه من أثناء حديث طويل لعمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : (ثم إنا كنا نقرأ فيما نقرأ من كتاب الله (أن لا ترغبوا عن آبائكم ، فإنه كفر بربكم أن ترغبوا عن آبائكم) .

وفيه أيضاً حديث واثلة أن من أعظم الفراء : (أن يدعى الرجل إلى غير أبيه)[3] .

وفي الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :(من انتسب إلى غير أبيه أو تولى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً إلى يوم القيامة)[4] .

وأخرج أبو داود وصححه عن أنس رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (من ادعى إلى غير أبيه أو انتهى إلى غير

---

(١) البخاري : ١٥٧٢/٤ ، ح (٤٠٧١، ٤٠٧٢) .
(٢) البخاري : ٤٨٥/٦ ، ح (٦٣٨٦) .
(٣) البخاري : ١٢٩٢/٦ ح (٣٣١٨) .
(٤) مسند أحمد ١٨٦/٤ ، الترغيب والترهيب ٢١/٣ .

مواليه، فعليه لعنة الله المتتابعة إلى يوم القيامة)[1] فانظر إلى هذا الوعيد الشديد الذي لم يبال له معاوية ، ولم يكترث بما يترتب على ذلك الإستلحاق من اختلاط الأنساب ، وهتك الحرم ، سعياً وراء أغراض دنيوية سياسية وقد ذكر المحدثون والمؤرخون أسباب هذا الإستلحاق .

ولنذكر ملخص ما ذكره العلامة ابن الأثير رحمه الله قال : (لما ولي علي الخلافة استعمل زياداً على فارس فضبطها ، وحمى قلاعها ، واتصل الخبر بمعاوية فساءه ذلك ، وكتب إلى زياد يتهدده ويعرض له بولادة أبي سفيان إياه ، فلما قرأ زياد كتابه قام في الناس وقال : العجب كل العجب من ابن آكلة الأكباد ، ورأس النفاق يخوفني بقصده إياي ، وبيني وبينه ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في المهاجرين والأنصار ، أما والله لو أذن لي في لقائه لوجدني أحمر مخشاً ضراباً بالسيف ، وبلغ ذلك علياً فكتب إليه : إني وليتك ما وليتك ، وإني أراك له أهلاً ، وقد كانت من أبي سفيان فلتة من أماني الباطل وكذب النفس لا توجب له ميراثاً ، ولا تحل له نسباً ، وإن معاوية يأتي الإنسان من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ، فأحذر ثم أحذر والسلام)[2] فلما قتل علي عليه السلام ، وكان من أمر زياد ومصالحة معاوية ما كان (رأى معاوية أن يستميل زياداً ، ويستصفي مودته باستلحاقه ، فاتفقا على ذلك ، وأحضر الناس وحضر من يشهد لزياد ، وكان فيمن حضر خمار يقال له أبو مريم السلولي فقال له معاوية : بم تشهد يا أبا مريم ؟ فقال : أنا أشهد أن أبا سفيان حضر عندي ، وطلب مني بغياً ، فقلت له : ليس

---

(١) الترغيب والترهيب ٢٢/٣ عن ابن داود ، البخاري ٢٤٨٢/٦ ح (٦٣٧٤) .
(٢) الكامل ٤٤٤/٣ .

عندي إلا سمية ، فقال : إئتني بها على قذرها ووضرها فأتيته بها ، فخلا معها ، ثم خرجت من عنده ، وأن اسكتيها ليقطران منياً ، فقال له زياد : مهلاً أبا مريم إنما بعثت شاهداً ، ولم تبعث شاتماً فاستلحقه معاوية .

وكان استلحاقه أول ما وردت به أحكام الشريعة علانية ، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قضى بالولد للفراش وللعاهر الحجر)[1] وقضى معاوية بعكس ذلك طبقاً لما كان العمل عليه قبل الإسلام يقول الله تعالى ﴿ **أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون** ﴾[2] .

وكتب زياد إلى عائشة رضي الله عنها من زياد بن أبي سفيان ، وهو يريد أن تكتب له إلى زياد بن أبي سفيان ليحتج بذلك ، فكتبت إليه : من عائشة أم المؤمنين إلى ابنها زياد ، وعظم ذلك على المسلمين عامة ، وعلى بني أمية خاصة .

قال : وجرى بعد ذلك أقاصيص يطول بذكرها الكتاب فأعرضنا عنها ثم قال : قيل أراد زياد أن يحج بعد أن استلحقه معاوية ، فسمع أخوه أبو بكرة وكان مهاجراً له من حين خالفه في الشهادة بالزنا على المغيرة ابن شعبة ، فلما سمع بحجه ، جاء إلى بيته ، وأخذ ابناً له ، وقال : يا بني قل لأبيك أني سمعت أنك تريد الحج ، ولا بد من قدومك إلى المدينة ، ولا شك أنك تطلب الإجتماع بأم حبيبة بنت أبي سفيان زوج النبي صلى الله عليه وسلم فأن أذنت لك فأعظم به خزياً مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وأن منعتك فأعظم به

---

(١) ن . م . والصفحة .

(٢) سورة المائدة : الآية ٥٠ .

فضيحة في الدنيا وتكذيباً لإدعائك ، فترك زياد الحج وقال : جزاك الله خيراً فقد أبلغت في النصح[1] ، إنتهى مع حذف .

وقد لام معاوية على هذه الفعلة الشنيعة أهل الدين والفضل وغيره من أهل الشعر والنقد وكتب أليه ابن مفرغ الحميري :

ألا أبلغ معاوية بن صخر مغلغلة من الرجل اليماني
أتغضب أن يقال أبوك عف وترضى أن يقال أبوك زاني
فاشهد أن رحمك من زياد كرحم الفيل من ولد الأتان[2]

من موبقاته قتله حجر بن عدي وأصحابه

ومن بوائقه الموجبة له غضب الله قتله حجر بن عدي وأصحابه صبراً بمرج عذراء ، وهم من هم ، كأنه لم يقرأ قوله تعالى : ﴿ **ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد لهم عذاباً عظيماً** ﴾[3] .

قتل معاوية حجراً وأصحابه ، وهم : شريك بن شداد الحضرمي وصفي بن فسيل الشيباني وقبيصة بن ضبيعة العبسي ومحرز بن شهاب السعدي التميمي وكدام بن حيان العنزي وعبد الرحمن بن حسان العنزي الذي دفنه زياد حياً[4]. أخرج يعقوب بن سفيان في تاريخه والبيهقي في الدلائل عن عبد الله بن زرير الغافقي ، قال : سمعت علي بن أبي طالب عليه السلام يقول : (يا أهل العراق ، سيقتل منكم سبعة نفر بعذراء ، مثلهم كمثل أصحاب الأخدود ، فقتل حجر

(١) الكامل ٣/٤٤٤ ـ ٤٤٥ .
(٢) الطبري ٥/٣١٨ .
(٣) سورة النساء : الآية ٩٣ .
(٤) الطبري ٥/٢٧٧ .

وأصحابه)[1] .

قال البيهقي : (لا يقول علي مثل هذا إلاّ أن يكـون سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم)[2] .

وأخـرج ابن عسـاكر عن سعيـد بن أبي هلال : أن معـاوية حـج فـدخـل على عـائشـة ، فقـالت : يـا معـاويـة قتلت حجـر بن الأدبـر وأصحابه ، أما والله لقد بلغني أنه سيقتل بعذراء سبعة نفـر يغضب الله لهم ، وأهل السماء[3] . وأخرج يعقوب بن سفيان وابن عساكر أيضاً : أن عـائشـة رضي الله عنهـا بعـد أن أنكـرت على معـاويـة قتله حجـراً وأصحـابه بعـذراء ، قالت : سمعت رسـول الله صلى الله عليـه وسلم يقول سيقتل بعذراء أناس يغضب الله لهم وأهل السماء[4] .

قال العلامة ابن عبد البر في الإستيعاب : كان حجـر من فضلاء الصحابة وصغـر سنه عن كبـارهم وكان على كنـدة يوم صفين ، وعلى الميسـرة يوم النهـروان ، ولما ولى معـاوية زيـاداً العراق ومـا وراءها ، وأظهـر من الغلظة وسوء السيـرة ما أظهـر ، خلعـه حجـر ، ولم يخلع معاوية ، وكتب فيه زياد إلى معاوية ، فأمر أن يبعث به إليه ، فبعثه مع وائل بن حجر الحضرمي في إثني عشر رجلاً كلهم في الحديد ، فقتل معاوية منهم ستة ، واستبقى منهم ستة ، وكان حجر فيمن قتل .

وقـال ابن الأثيـر : (بعث معـاويـة هـدبـة بن فيـاض القضـاعي والحصين بن عبـد الله الكـلابي وأبـا شـريف البـدري إلى حجـر

---

(١) دلائل النبوة للبيهقي ٦/٤٥٦ تحقيق عبد المعطي قلبعي .

(٢) ن . م . والصفحة .

(٣) ابن عساكر ٤/٨٦ ونص الحديث (يا معاوية قتلت حجراً وأصحابه ، أما والله لقـد بلغني أنه سيقتل بعذراء سبعة رجال يغضب الله وأهل السماء لهم) .

(٤) ابن عساكر ٤/٨٦ ، تاريخ ابن كثير ٨/٥٥ .

وأصحابه ، ليقتلوا من أمر بقتله منهم ، فأتوه عند المساء ، فلما رأى الخثعمي أحدهم أعور قال : يقتل نصفنا ويترك نصفنا ، فتركوا ستة ، وقتلوا ثمانية ، وقالوا لهم قبل القتل : إنا قد أمرنا أن نعرض عليكم البراءة من علي ، واللعن له ، فإن أنتم فعلتم تركناكم ، وإن أبيتم قتلناكم ، فقالوا لسنا فاعلي ذلك ، فأمر فحفرت القبور ، وأحضرت الأكفان ، وقام حجر وأصحابه يصلون عامة الليل ، فلما كان الغد قدموهم ليقتلوهم ، فقال لهم حجر بن عدي : اتركوني أتوضأ وأصلي ، فإني ما توضأت ولا صليت ، ولولا أن تظنوا في جزعاً من الموت لاستكثرت منها ، قال : فقتلوه ، وقتلوا ستة ، فقال عبد الرحمن بن حسان العنزي وكريم الخثعمي : إبعثوا بنا إلى أمير المؤمنين فنحن نقول في هذا الرجل مثل مقالته ، فاستأذنوا معاوية فيهما فأذن بإحضارهما ، فما دخلا عليه قال الخثعمي : الله الله يا معاوية ، فإنك منقول من هذه الدار الزائلة إلى الدار الآخرة الدائمة ، ثم مسؤول عما أردت بسفك دمائنا ، فقال له : ما تقول في علي ؟ قال : أقول فيه قولك ، قال) أتبرأ من دين علي الذي يدين الله به ، فسكت ، وقام شمر بن عبد الله من بني قحافة ابن خثعم فاستوهبه فوهبه له على أن لا يدخل الكوفة ، فاختار الموصل ثم قال : لعبد الرحمن بن حسان يا أخا ربيعة ما تقول في علي ؟ قال : دعني ولا تسألني ، فهو خير لك ، قال : والله لا أدعك قال : أشهد أنه كان من الذاكرين الله كثيراً ، الآمرين بالحق والقائمين بالقسط العافين عن الناس، قال : فما قولك في عثمان ؟ قال : هو أول من فتح أبواب الظلم ، وأغلق أبواب الحق ، قال : قتلت نفسك ، قال : بل إياك قتلت ، فرده معاوية إلى زياد ، وأمره أن يقتله شر قتلة ، فدفنه حياً)[1] . إنتهى من الكامل .

---

(١) الكامل ٣/٤٨٥ ـ ٤٨٦ .

وأخرج ابن عبد البر عن ابن سيرين : أن معاوية لما أتى بحجر بن الأدبر ، قال : (السلام عليك يا أمير المؤمنين ، قال أو أمير المؤمنين أنا ؟ أضربوا عنقه قال : فلما قدم للقتل قال : دعوني أصلي ركعتين ، فصلاهما خفيفتين ، ثم قال : لولا أن تظنوا بي غير الذي بي لأطلتهما ، والله لئن كانت صلاتي لم تنفعني فيما مضى ، ما هما بنافعتي ، ثم قال لمن حضر من أهله : لا تطلقوا عني حديداً ، ولا تغسلوا عني دماً ، فإني ملاقٍ معاوية على الجادة[1] وإني مخاصمه ، أخرجه ابن عساكر .

وجاء في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر)[2] (وأفضل الشهداء حمزة بن عبد المطلب ورجل تكلم عند سلطان جائر ، فأمر به فقتل)[3] .

وأخرج ابن أبي شيبة عن نافع قال : (كان ابن عمر في السوق فنعي إليه حجر ، فأطلق حبوته ، وقام وقد غلب عليه النحيب)[4] .

ولما بلغ الربيع بن زياد الحارثي ، وكان فاضلاً جليلاً ، وكان عاملاً لمعاوية على خراسان ، فلما بلغه قتل معاوية حجر بن عدي سخط علي ذلك وقال : لا تزال العرب تقتل صبراً بعده ، ولو نفرت عند قتله لم يقتل واحد منهم صبراً ، ولكنها أقرت فذلت ثم خرج يوم الجمعة ، فقال : أيها الناس إني قد مللت الحياة ، وإني داع ، فآمنوا ، ثم

---

(١) الإستيعاب ١/ ٣٣٠ ـ ٣٣١ ، ابن عساكر ٤/ ٨٦ .

(٢) كنز العمال ٣/ ٦٤ ح (٥٥١١) ، ابن ماجه في الفتن ، باب الأمر والنهي ، ح (٤٠١١)، الترمذي في الفتن ح ٢١٧٥) وقال (هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه) .

(٣) مجمع الزوائد ٩/ ٢٧١ وفيه (سيد الشهداء حمزة . . . فأمره ونهاه . .) وقال : رواه الطبراني في الأوسط .

(٤) الإستيعاب ١/ ٣٣٠ ، رقم (٤٨٧) .

دعا الله عز وجل ، فقال : (أللهم إن كان للربيع عندك خير فاقبضه إليك ، وعجل ، فلم يبرح من مجلسه حتى مات)[1] يرحمه الله .

وقال ابن سيرين : (بلغنا أن معاوية لما حضرته الوفاة ، جعل يقول : يومي منك يا حجر طويل)[2] ، إنتهى .

قال الله تعالى : ﴿ **وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال أني تبت الآن** ﴾[3] .

قال ابن عبد البر : (إن معاوية أول من قتل مسلماً صبرا حجراً وأصحابه)[4] .

قلت : فعليه إثمه وإثم من قتل صبراً من المسلمين إلى يوم القيامة ، لأنه أول من سن ذلك ، ففي صحيح البخاري عن عبد الله بن مرة (لا تقتل نفس إلاّ كان على ابن آدم الأول كفل منها)[5] لأنه أول من سن القتل وأخرجه مسلم والترمذي أيضاً .

وأخرج الترمذي عن عائشة رضي الله عنها ، وصححه ابن عساكر عن ابن عمر رضي الله عنهما (ستة لعنتهم ، ولعنهم الله ، وكل نبي مجاب ، الزائد في كتاب الله ، والمكذب بقدر الله تعالى ، والمتسلط بالجبروت ، فيعز بذلك من أذل الله ، ويذل من أعز الله ، والمستحل لحرم الله ، والمستحل من عترتي ما حرم الله ، والتارك لسنتي)[6] .

---

(١) الكامل ٤٩٥/٣ ، مع اختلاف يسير في اللفظ .
(٢) الطبري ٢٥٧/٥ وفي المصدر (وجعل يغرر بالصوت ويقول . .) .
(٣) سورة النساء : الآية ١٨ .
(٤) الإستيعاب ١٤٢٠/٣ ، رقم (٢٤٣٥) ,
(٥) البخاري ٢٥١٨/٦ ، كتاب الديات ، باب ١١ ح (٦٤٧٢) .
(٦) الترمذي ٤٥٧/٤ ، باب ١٧ ح (٢١٥٤) .

تسميمه الحسن بن علي عليهما السلام

قلت : وليست هـذه الفعلة الشنعاء بـأكبر من بـوائق معاويـة في القتل ، فإنه قد ارتكب قبلها جريمة قتل الحسن بن علي بن أبي طالب عليهمـا السـلام بـالسم ، وهـو خـامس أهـل الكسـاء ، وابن محمـد المصطفى ، وابن علي المرتضى ، وابن فاطمة الزهراء ، وابن شجـرة طـوبى ، وأحد ريحـانتي النبي صلى الله عليـه وآله وسلم من الـدنيا وأحـد سيدي شباب أهل الجنة .

قال أبو الفرج : مات الحسن عليه السلام شهيداً مسموماً (دس معـاوية إليـه وإلى سعد بن أبي وقـاص ، حين أراد أن يعهد إلى يـزيد ابنه بالأمر سماً ، فماتا في أيام متقاربة)[1] إنتهى .

ونقل ابن عبد البر والمسعودي وغيرهما : أن امرأة الحسن جعدة بنت الأشعث بن قيس الكنـدي سقتـه السم ، وقـد كـان معـاويـة دس إليهـا ، أنـك إن احتلت في قتـل الحسن ، وجهت إليـك بمـائـة ألف درهم ، وزوجتك يزيد ، فكان ذلك الذي بعثها على سمه ، فلما مات وفى لها معاوية بالمـال ، وأرسل إليهـا ، إنا نحب حيـاة يزيـد ، ولولا ذلك لوفينا لك بتزويجه[2] .

قال ابن عبد البـر : (وذكر أبـو زيد عمـر بن شيبة وأبـو بكر بن خيثمة قالا حدثنا موسى بن إسمعيل قـال : حدثنـا أبو هـلال عن قتادة قال : دخل الحسين على الحسن رضي الله عنهما فقال : يا أخي إني سقيت السم ثـلاث مـرات ، ولم أسق مثـل هـذه المـرة ، إني لأضـع

---

(١) مقـاتل الـطالبين ص ٦ ، و (مات الحسن شهيـداً مسموماً) غير مـوجـودة في المصـدر . تحقيق السيد أحمد صقر .

(٢) مروج الذهب ٣/٥ .

كبدي ، فقال الحسين من سقاك يا أخي ؟ قال ، ما سؤالك عن هذا ؟ أتريد أن تقاتلهم ؟ أكلهُمْ إلى الله .

فلما مات ، ورد البريد بموته على معاوية ، فقال : يا عجباً من الحسن شرب شربة من العسل بماء رومة فقضى نحبه)[1] .

وحدث محمد بن جرير الطبري عن محمد بن حميد الرازي عن علي ابن مجاهد عن محمد بن اسحق عن الفضل بن العباس بن ربيعة قال : وفد عبد الله بن العباس على معاوية قال : فوالله أني لفي المسجد أذكر بر معاوية في الخضراء ، فكبر أهل الخضراء ، ثم كبر أهل المسجد بتكبير الخضراء ، فخرجت فاختة بنت قرظة بن عمرو بن نوفل بن عبد مناف من خوخة لها ، فقالت سرك الله يا أمير المؤمنين ، ما هذا الذي بلغك ، فسررت به ؟ قال : موت الحسن بن علي ، فقالت إنا لله وإنا إليه راجعون ، ثم بكت ، وقالت مات سيد المسلمين، وابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله سلم فقال معاوية : نعماً والله ما فعلت ، إنه كان كذلك أهل أن يبكى عليه ، ثم بلغ الخبر ابن عباس رضي الله عنهما ، فراح فدخل على معاوية ، قال : علمت يا ابن عباس أن الحسن توفي قال : ألذلك كبرت ؟ قال : نعم ، قال : والله ما موته بالذي يؤخر أجلك ، ولا حفرته بسادَّة حفرتك ، ولئن أصبنا بسيد المرسلين ، وإمام المتقين ، ورسول رب العالمين ، ثم بعد بسيد الأوصياء ، فجبر الله تلك المصيبة ، ورفع تلك العبرة ، فقال : يا ابن عباس ما كلمتك إلاّ وجدتك معداً[2] ، إنتهى .

سبحان الله ! ما أجرأ معاوية على الله ، وعلى هتك محارم

---

(١) الإستيعاب ١/٣٩٠ رقم (٥٥٥) و (رضي الله عنهما) زائدة من المؤلف

(٢) رواه المسعودي عن الطبري ٣/٨ ـ ٩ .

الله ، وما أعظم حلم الله تعـالى عن الجبابـرة من أعدائـه وأعداء نبيـه عليه وآله الصـلاة والسلام ، يقتلون سبط رسـول الله ، ويكبرون فـرحاً بمـوته ، وشمـاتة ، ولم تنـزل عليهم صاعقـة من السماء ، تستـأصـل شـأفتهم ﴿ **لا يسئل عمـا يفعـل** ﴾[1] ﴿ **إنمـا نملي لهم ليـزدادوا إثمـاً ولهم عذاب مهين** ﴾[2] .

أخرج الديلمي عن أبي سعيد رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليـه وآلـه وسلم قـال : (إشتـد غضب الله على من آذاني في عترتي)[3] .

يقـول معاويـة في بعض خطبـه : أن لله جنوداً من عسـل ولقـد صدق فإنه قبل أن يقتل الحسن بن علي عليهما السـلام بالعسـل ، قد قتل به مالك الأشتر رضي الله عنه .

وكان من خبره كما ذكره ابن الأثيـر وغيره : أن الإمـام علياً كـرم الله وجهـه ، أرسل الأشتـر عامـلاً على مصـر ، فخـرج أليهـا ، وأتت معـاوية عيـونه ، فعـظم عليه ذلـك ، وكان قـد طمـع في مصـر فبعث معاوية إلى المقدم على أهل الخراج بالقلزم ، وقال له : إن الأشتر قد ولِّي مصر فإن كفيتنيـه ، لم آخذ منـك خراجـاً ما بقيت وبقيت ، فلمـا انتهى الأشتـر إلى القلزم استقبله ذلك الـرجل ، فعـرض عليه النـزول فنزل عنده ، فأتاه بشربة من عسـل قد جعـل فيه سمـاً ، وكان الأشتـر صـائماً فسقـاه إياه ، فلمـا شربهـا مات ، وأقبـل معاويـة يقـول لأهـل الشام : أن علياً قد وجه الأشتـر إلى مصر ، فـادعوا الله عليـه ، وأقبل الذي سقاه السم إلى معاوية فـأخبره بمسلك الأشتـر ، فقام خـطيباً ثم

---

(١) سورة الأنبياء : الآية ٢٣ .

(٢) سورة آل عمران : الآية ١٧٨ .

(٣) كنز العمال ٩٣/١٢ ح (٣٤١٤٣) وقال أخرجه الديلمي .

قال : أما بعد فأنه كانت لعلي يمينان ، قطعت أحداهما بصفين ، يعني عمار بن ياسر ، وقطعت الأخرى اليوم ، يعني الأشتر[1] . أمر أهل الشام بالدعاء على الأشتر تغريراً لهم ليظنوا أنه إنما مات باستجابة الله دعاءهم .

وبهذه الطريقة نفسها قتل عبد الرحمن بن خالد بن الوليد . .

تسميمه عبد الرحمن بن خالد بن الوليد

قال أبو جعفر الطبري : وكان السبب في ذلك ما حدثني عمر قال : حدثنا علي عن مسلمة بن محارب : أن عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، كان قد عظم شأنه عند أهل الشام ، ومالوا إليه ، لما عندهم من آثار أبيه ، ولعنائه في بلاد الروم ، ولشدة بأسه ، خافه معاوية وخشي منه ، فأمر ابن أثال النصراني أن يحتال في قتله ، وضمن له أن يضع عنه خراجه ما عاش ، وأن يوليه خراج حمص ، فلما قدم عبد الرحمن من الروم دس إليه ابن آثال شربة مسمومة مع بعض مماليكه فشربها فمات ، بحمص ، ووفى له معاوية بما ضمن له[2] ، إنتهى .

قلت : إنما أخد عبد الرحمن بن خالد بما كسبت يداه فأنه كان مؤازراً لمعاوية وناصراً له وصديقاً وخليلاً قال الله تعالى وهو أصدق القائلين ﴿ **الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلّا المتقين** ﴾[3] وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (من أعان ظالماً على ظلمه سلطه الله عليه)[4] ولعل قتله بالسم كفارة بما سبق منه إنشاء الله .

---

(١) الكامل ٣/٣٥٢ ـ ٣٥٣ .

(٢) الطبري ٥/٢٢٧ مع اختلاف يسير في اللفظ .

(٣) سورة الزخرف : الآية ٦٧ .

(٤) كنز العمال ٣/٤٩٩ ح (٧٥٩٣) .

قتل محمد بن أبي بكر (رض) وإحراقه في جوف حمار

وقتل عمرو بن العاص ومعاوية بن خديج محمد بن أبي بكر الصديق بعد فتحهم مصر لمعاوية وكيف قتلوه ؟! منعوه الماء حتى اشتد عطشه ، ثم أدخلوه في جوف حمار ، وأحرقوه بالنار ، ولما بلغ معاوية قتله أظهر الفرح والسرور ، وبلغ علياً عليه السلام قتله وسرور معاوية فقال : (جزعنا عليه على قدر سرورهم ، لا بل أضعافاً)[1] وقال : (ألا إن مصر قد فتحها الفجرة أولو الجور ، والظلمة الذين يصدون عن سبيل الله ، وبغوا الإسلام عوجاً)[2] و (لما بلغ ذلك عائشة رضي الله عنها جزعت عليه جزعاً شديداً ، وقنتت عليه دبر الصلاة تدعو على معاوية وعمرو)[3] (ولم تأكل من ذلك الوقت شواء حتى توفيت)[4] جازاهم الله بما يستحقون **﴿ وما ربك بغافل عما يعملون ﴾[5] ﴿ وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ﴾[6]** .

الآيات والأحاديث في وعيد القاتل

جاء في الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه أنواع من الوعيد الشديد على قتل النفس الواحدة بغير حق كقوله تعالى : **﴿ ومن يقتل مؤمناً ﴾[7]** الآية السابقة وكقوله تعالى : **﴿ أن**

---

(١) الطبري ١٠٣/٥ ـ ١٠٥ ، وفي المصدر (أما أن حزننا عليه قدر سرورهم به) . الكامل ٩٥٩/٣ .
(٢) ن . م . والصفحة .
(٣) ن . م . ص ١٠٥ ، والترضّي من المؤلف .
(٤) الكامل ٣٥٧/٣.
(٥) سورة الأنعام : الآية ١٣٢ .
(٦) سورة الشعراء : الآية ٢٢٧ .
(٧) سورة النساء : الآية ٩٣ .

الـذين يكفـرون بـآيـات الله ويقتلون النبيين بغيـر حق ويقتلون الـذين يأمرون بالقسط من الناس فبشـرهـم بعذاب أليم أولئـك الذين حبـطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين ﴾[1] وكقولـه تعالى : ﴿ من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفساً بغيـر نفس أو فسـاد في الأرض فكأنمـا قتـل النـاس جميعـاً ﴾[2] وكقـولـه تعـالى : ﴿ والذين لا يدعون مع الله إلهـاً آخر ولا يقتلون النفس التي حـرم الله إلّا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق آثاماً، يضعف له العـذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً، إلا من تاب وأمن وعمل عملاً صـالحاً فـأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيماً ﴾[3] إلى غير ذلك .

وورد في الحـديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أخبـار كثيـرة كقوله عليه وعلى آله الصلاة والسلام : (لا يزال المؤمن في فسحة من دينه ما لم يصب دمـاً حرامـاً)[4] وكقولـه صلى الله عليه وآلـه وسلم : (أكبـر الكبائـر الإشراك بـالله وقتل النفس)[5] الحـديث ، وقولـه عليه وعلى آلـه الصلاة والسـلام : (لقتل المؤمن عنـد الله أعـظم من زوال الدنيا)[6] .

وفي البخـاري بسنده عن عبـد الله بن عمر (من ورطـات الأمور التي لا مخـرج لمن أوقـع نفســه فيهـا ، سفــك الـدم الحـرام بغيـر حله) .

---

(١) سورة آل عمران : الآية ٢١ .

(٢) سورة المائدة : الآية ٣٢ .

(٣) سورة الفرقان : الآيات ٦٨ ـ ٦٩ ـ ٧٠ .

(٤) كنز العمال ٤١٣/٣ ح (٧٢٠٣) .

(٥) ن . م . ص ٥٤٠ ح (٧٧٩٨ ـ ٧٧٠٨) مجموعة أحاديث .

(٦) سنن البيهقي ٢٢/٨ والحـديث (لقتل المؤمن أعـظم عند الله . . .) ، الـطبراني الصغيـر ٢١٤ .

وأخرج ابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: (من أعان على قتل مؤمن بشطر كلمة لقي الله تعالى مكتوباً بين عينيه آيس من رحمة الله)[1] إلى غير ذلك من الأحاديث ، وإذا كانت قد دخلت النار إمرأة في هرة حبستها حتى ماتت جوعاً وعطشاً ، فرآها النبي صلى الله عليه وآله وسلم في النار والهرة تخدشها في وجهها وصدرها ، فما بالك بعقوبة من قتل حجراً ؟ وأمثال حجر بغير حق ؟ نعوذ بالله من موجبات غضبه وسخطه .

إشارة إلى بعض من قتلهم معاوية

وهذا كله في حق من قتل مؤمناً واحداً، ولو لم يكن له من الفضل إلاّ النطق بالشهادتين ، كقتيل محلم بن جثامة ، وقد علمت أن الأرض لفظت القاتل حين دفن ، عظة للصحابة ، وإن كانت لتقبل من هو شر منه ، وأن النبي عليه وعلى آله السلام قال حين سأله محلم أن يستغفر له : أللهم لا تغفر لمحلم ثلاثاً ، فكيف إذا كان المقتول الحسن بن علي وحجر بن عدي ومحمد بن أبي بكر وأمثالهم ، من أجلة الصحابة ؟ ثم كيف إذا كانت القتلى آلافاً مؤلفة ومنهم فضلاء المهاجرين وأكابر الأنصار وأجلة الصحابة والتابعين ؟ فإن الخطب جسيم جداً لا يدخل تحت التصور .

لا شك أن قتلى الفريقين في صفين ومصر واليمن والحجاز في الحروب بين الإمام علي عليه السلام وبين معاوية كلها في عنق معاوية يطالب كل فرد منهم بدمه يوم القيامة عند الحكم والعدل ،

---

(١) سنن ابن ماجه ٨٧٤/٢ ح (٢٦٢٠) طبعة دار الفكر تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي . ونقل كلام مجمع الزوائد (في الزوائد : في إسناده يزيد بن ابي زياد ـ بالغوا في تضعيفه ـ حتى قيل : كأن الحديث موضوع) .

أما فريق الإمام عليه السلام ، فإن قاتليهم أتباع معاوية وفئته الباغية ، وهو الأمير عليهم ، والآمر لهم ، وأما الفريق الذي في جانب معاوية ، فإنه هو الذي غرهم ، وأغراهم ، وأغواهم ، وأجرى لهم الباطل في مجرى الحق ، وكذب عليهم ، وأقام لهم شهود الزور حتى ظنوا ـ إلاّ القليل منهم ـ أنهم على حق وهدى ، فبذلوا أرواحهم ، وقتلوا مع علم معاوية ويقينه ـ كما أقرَّ به في كثير من مكاتباته ومحاوراته ـ أنه مبطل طالب للدنيا محارب للدين وأهل الدين ، وإن أنكر ذلك متعصبو أشياعه وأنصاره .

ثم بعد هؤلاء من قتلهم عماله بسلطانه بعد موت الإمام علي عليه السلام كالمغيرة بن شعبة وزياد بن سمية وسمرة بن جندب وعمرو بن العاص ومسلم ابن عقبة وعبد الله بن زياد وغيرهم ، فكم قتل هؤلاء العمال من المسلمين ؟ وكم أسالوا من دماء الموحدين ظلماً وعدواناً ؟ فكانوا يقتلون المسلمين إذا لم يجيبوهم إلى لعن الإمام علي بن أبي طالب وسبه ، وإلى البراءة من الدين الذي يدين الله به ، الذي هو دين الإسلام الحق ، جاء بهذا النقل المتواتر ، الذي لا يبقى معه لذي بصيرة شك في وقوعه من معاوية وعماله .

أن من ينكر هذا ومثله من الوقائع المتواترة هو أحد رجلين ، إما رجل مغفل بل مخلوع منه غريزة العقل لا يصدق بما عرفه العالم والجاهل ، وتناقلته الألوف عن الألوف ، وهذه هي أقصى درجات الغفلة والغباوة ، وأما عاقل مصدق بقلبه ، منكر بلسانه ، خوفاً أن ينسب إلى الرفض ، وينبز بمخالفة أهل السنة ، وهذه هي الداهية الكبرى ، والمصيبة العظمى ، والخلة الممقوتة عند الله تعالى وعند رسوله ، وغالب أنصار معاوية والمدافعين عنه من هذا القبيل ، يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم ، ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم

ونجواهم ؟ وأن الله علام الغيوب أيسوغ لصادق الإيمان بعد أن عرف ما عرف من ارتكاب معاوية وعماله جرائم القتل التي قدمنا ذكرها وأمثالها من الفواقر ، أن يصدق من يقول أنه وعماله مأجورون عليها لأنهم مجتهدون ؟ ﴿ **ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله فأن له نار جهنم خالداً فيها ذلك الخزي العظيم** ﴾[1]

يقول أنصار معاوية أن معاوية وفئته مثابون على قتل عمار الذي يدعوهم إلى الجنة ، ويدعونه إلى النار ، إن هذا لما تقشعر له الجلود ، ويذوب له الجلمود ، كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلّا كذباً ، أللهم إن هؤلاء قوم ضلُّوا عن الحق وأضلُّوا كثيراً ، ﴿ **وتصف ألسنتهم الكذب أن لهم الحسنى ، لا جرم أن لهم النار ، وأنهم مفرطون** ﴾[2] إن النبي عليه وعلى آله أفضل الصلاة والسلام يقول : (من آذى المسلمين في طرقهم وجبت عليه لعنتهم)[3] أخرجه الطبراني في الكبير بأسناد حسن عن حذيفة بن أسيد فإذا وجبت لعنة المسلمين على مؤذيهم في طرقهم كما أخبر الصادق المصدوق ، فكيف لا تجب لعنتهم على من آذاهم بسفك دمائهم بغير حق بل وبانتهاك حرمات أعراض أئمتهم وهداتهم من أهل بيت نبيهم وغيرهم وباستئثاره بأموالهم فضتها وذهبها وفيئها ومغنمها ؟! اللهم الهمهم رشدهم ، وأنزع من صدورهم مودة ومحبة من حادك وعاداك وعادى نبيك وأهل بيت نبيك ، وتب عليهم أنك أنت التواب الرحيم .

من بوائقه عداوته لعلي (ع) وبغضه وسبه

ومن بوائقه الشنيعة المهلكة ، عداوته وبغضه وسبه لأخ

---

(١) سورة التوبة : الآية ٦٣ .

(٢) سورة النحل : الآية ٦٢ .

(٣) كنز العمال : ٩/٣٦٥ ح (٢٦٤٨٦) وقال أخرجه (الطبراني عن حذيفة بن أسيد) .

المصطفى ، وابن عمه ، ووصيه ، وباب مدينة علمه ، وأول أصحابه إسلاماً ، وأولهم وروداً عليه الحوض ، وأشجعهم ، وأعلمهم ، وأزهدهم ، وأحبهم إلى الله ورسوله ، أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه ، رزقنا حبه ، وأتباعه ، غير مكترث ذلك الطاغية ، ولا مبالٍ بما ورد عن الصادق المصدوق ، في خطارة بغضه ، وعداوته وسبه .

تواترت عن معاوية تلك المهلكات ، ونقلها عنه ثقات الرواة ، وامتلأت بما كتب منها بطون الأسفار ، ولزمت معاوية لزوم السواد للغراب ، ولم يكتف ذلك الطاغية بأفعال نفسه وحده ، بل جمح به بغضه المتأصل في فؤاده ، وحقده الدفين في سويداء قلبه ، على أن دعا الناس إلى تلك الموبقات ، وحملهم عليها بالسيف والترغيب بالمال ، ليضم أوزارهم إلى أوزاره ، وذنوبهم إلى ذنوبه ، عاش مباشراً بنفسه تلك الفظائع إلى أن هلك ، وأوصى بها من بعده من خلفائه وأشياعه ، لم تنجع فيه عظات أكابر الصحابة ، ولم يؤثر فيه تخويفهم إياه ، ما ورد من الوعيد الشديد عن الله ، وعلى لسان رسول الله ، ران على قلبه ما ران فاستمر في غوايته ، وجرى على غلوائه حتى يبلغ غايته .

يا ناطح الجبل العالي ليكلمه
إشفق على الرأس لا تشفق على الجبل

ودونك أولاً : نموذجاً مما جاء عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حق من سب أمير المؤمنين علياً عليه السلام ، أو عاداه ، ليعرف العاقل والغافل أي شناعة ارتكبها ذلك الطاغية ، وأي طريق اجتازها إلى أمه الهاوية .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم غدير خم مرجعه من حجة الوداع ، بعد أن جمع الصحابة ، وكرر عليهم (ألست أولى

بكم من أنفسكم) ثلاثاً ، وهـم يجيبون بـالتصديق ، والإعتـراف ، ثم رفـع يـد علي وقـال : (من كنت مـولاه فعلي مـولاه ، أللهم وال من والاه ، وعـاد من عـاداه ، وأحب من أحبـه ، وأبغض من أبغضـه ، وانصر من نصره ، واخذل من خذله ، وأدر الحق معه حيث دار) .

أخـرج هذا الحـديث جماعـة منهم الترمـذي والنسـائي وأحمـد وصححوه(١) .

قال أحمد شهد به لعلي ثلاثون صحابياً(٢) .

قلت : وعده الحافظ السيوطي في الأحاديث المتواترة(٣) .

وأخـرج مسلم في صحيحـه عن علي رضي الله عنـه قـال : (والـذي فلق الحبة وبـرأ النسمـة أنـه لعهـد النبي الأمي أليَّ ، أنـه لا يحبني إلّا مؤمن ، ولا يبغضني إلّا منافق)(٤) .

وأخرج الترمـذي عن أبي سعيد الخـدري رضي الله عنه قـال : (كنا نعرف المنافقين ببغضهم علياً)(٥) .

وأخرج أحمد والحـاكم وصححه عن أم سلمـة رضي الله عنها، قـالت : سمعت رسول الله صلى الله عليـه وآله وسلم ، يقـول : (من سب علياً فقد سبني)(٦) .

---

(١) راجع الترمذي ٢/٢٩٨ ، ابن ماجه ١/٤٣ ، مستدرك الحاكم ٣/١٠٩ ، ١١٦ ، ٣٧١ ، ١١٠ ، ١٢٩ . مسند أحمد ٤/٣٧٢ ، ٣٦٨ ، ٣٦٦ ، ج ١/١١٨ ، ١٥٢ ، ١١٩ ، ٨٤ . ج ٥/٣٠٧ ، ٤١٩ ، ٢٧٠ . ومواضع أخرى .

(٢) مسند أحمد ٤/٢٧٠ ، وهناك نماذج من الشهادات ١/١١٩ ، ٥/٣٠٧ .

(٣) قطف الأزهار المتناثرة في الأخبار المتواترة . تحقيق خليل الميس ص (٢٧٧ ـ ٢٨٠) .

(٤) مسلم ١/١٢٠ باب ٢٣ ح ١٣ ـ (٧٨) .

(٥) الترمذي ٢/٢٩٩ .

(٦) مستدرك الحاكم ٣/١٢١ ، مسند أحمد ٦/٣٢٣ .

وأخرج ابن خالويه في كتاب الآل عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعلي : (حبك إيمان ، وبغضك نفاق ، وأول من يدخل الجنة محبك ، وأول من يدخل النار مبغضك)[1] .

وفيه عن عمار بن ياسر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لعلي : (طوبى لمن أحبك ، وصدق فيك ، وويل لمن أبغضك ، وكذب فيك)[2] .

وفيه عن ابن عباس رضي الله عنهما : (أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم نظر إلى علي ابن أبي طالب ، فقال : أنت سيد في الدنيا ، سيد في الآخرة ، من أحبك فقد أحبني ، ومن أبغضك فقد أبغضني ، وبغيضك بغيض الله ، فالويل كل الويل لمن أبغضك)[3] .

وأخرج أحمد في مسنده من عدة طرق أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : من آذى علياً بعث يوم القيامة يهودياً أو نصرانياً[4] .

وأخرج أبو يعلي والبزار عن سعد بن أبي وقاص قال : (قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من آذى علياً فقد آذاني)[5] .

وأخرج الطبراني بسند حسن عن أم سلمة رضي الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : (من أحب علياً فقد

---

(١) نقله عن كتاب (الآل) الشبلنجي في نور الأبصار ٧٢ .

(٢) ذكره في الزوائد ١٣٤/٤ وقال (رواه الطبراني) .

(٣) أسد الغابة ٢٣/٤ بسنده عن أبي مريم السلولي عن عمار بن ياسر .

(٤) لم أجده . وفي الفردوس للديلمي (من مات وفي قلبه بغض علي بن أبي طالب فليمُت يهودياً أو نصرانياً) ٧٥٣/٤ ح (٥٩٨٩) .

(٥) ذكره مجمع الزوائد وقال (رواه أبو يعلي والبزار . .) ١٣٢/٩ .

أحبني ، ومن أحبني فقد أحب الله ، ومن أبغض علياً فقد أبغضني ، ومن أبغضني فقد أبغض الله)[1] .

وأخرج الخطيب عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : (عنوان صحيفة المؤمن حب علي بن أبي طالب)[2] .

وأخرج البزار وأبو يعلي والحاكم عن علي كرم الله وجهه، قال : (دعاني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : إنّ فيك مثلاً من عيسى أبغضته اليهود ، حتى بهتوا أمه ، وأحبته النصارى ، حتى أنزلوه بالمنزل الذي ليس به . ألا وأنه يهلك في إثنان محب مفرط يقرظني بما ليس في ، ومبغض يحمله شنآني على أن يبهتني)[3] . وقال ابن عبد البر في الإستيعاب روى طائفة من الصحابة رضي الله عنهم: أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لعلي رضي الله عنه : (لا يحبك إلاّ مؤمن ، ولا يبغضك إلاّ منافق)[4] . وأخرجه مسلم في صحيحه .

وأخرج الذهبي في التذكرة عن أبي الزبير سئل جابر عن علي فقال : (ما كنا نعرف منافقينا إلاّ ببغض علي بن أبي طالب) .

وأخرجه ابن النجار عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال :

---

(١) كنز العمال طبع سنة ١٣١٢ ١٥٨/٦ . وقال : أخرجه الطبراني أيضاً عن أم سلمة . وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ١٣٢/٩ وقال (رواه البزار ، وفيه رجال وثقوا على ضعفهم) . وذكره المحب الطبري في الرياض النضرة ١٦٦/٢ .

(٢) تاريخ بغداد ١١٠/٤ مطبعة السعادة سنة ١٣٦٠ . كنوز الدقائق ٩٣ طبع اسلامبول سنة ١٢٨٥ .

(٣) مستدرك الحاكم ١٢٣/٣ مع زيادة . وقال (صحيح الأسناد ولم يخرجه الشيخان) .

(٤) الإستيعاب ٣٧/٣ طبعة سنة ١٣٣٦ وقال (روته طائفة من الأصحاب) .

(سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حجة الوداع وهو على ناقة فضرب على منكب علي ، وهو يقول : (أللهم أشهد أللهم قد بلغت ، هذا أخي وابن عمي وصهري ، وأبو ولدي ، أللهم كب من عاداه في النار)[1] .

وأخرج ابن عساكر في الفردوس (بغض علي سيئة لا تنفع معها حسنة ، وحب علي حسنة لا تضر معها سيئة)[2] .

وأخرج الحاكم في المستدرك عن علي عليه السلام ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (عهد معهود أن الأمة ستغدر بك ، وأنت تعيش على ملتي ، وتقتل على سنتي ، من أحبك أحبني ، ومن أبغضك أبغضني ، وأن هذه ستخضب من هذه يعني لحيته من رأسه)[3] .

وأخرج البخاري في صحيحه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : (يقول الله تبارك وتعالى : من عادى لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة)[4] إنتهى . وعلي سيد الأولياء وأعظم فيكون معاوية أكبر المحاربين لله وأعظم وزراً .

وأخرج الطبراني : أن علياً أتى يوماً بالبصرة بذهب وفضة ، فقال : (أبيضاء وصفراء غري غيري غري أهل الشام غداً إذا ظهروا عليك فشق قوله ذلك على الناس ، فذكروا ذلك له ، فأذن في الناس فدخلوا عليه ، فقال : أن خليلي صلى الله عليه وآله وسلم قال : يا

---

(١) كنز العمال : ج ٣ ص ٦١ .

(٢) الفردوس ٢/٢٢٧ ح (٢٥٤٧) وفيه (حب علي بن أبي طالب حسنة لا يضر معه سيئة ، وبغضه سيئة لا ينفع معها حسنة) . الرياض النضرة ٢/٢١٥ ، كنز الحقائق ٦٢ ، ٦٣ .

(٣) مستدرك الحاكم ٣/١٤٠ ، ورواه الخطيب في تاريخ بغداد ١١/٢١٦ .

(٤) البخاري ٥/٤٣٨٥ ح (٦١٣٧) .

علي إنك ستقدم على الله وشيعتك راضين مرضيين ، ويقدم عليه أعداؤك غضاباً مقمحين ، ثم جمع يده على عنقه يريهم الأقماح)[1] .

وأخرج ابن عساكر عن جابر وحسنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : (علي إمام البررة ، وقاتل الفجرة ، منصور من نصره ، مخذول من خذله)[2] .

وأخرج الدارقطني في الأفراد عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : (علي باب حطة ، من دخل منه كان مؤمناً ، ومن خرج منه كان كافراً)[3] . وفي نهج البلاغة قال علي عليه السلام : (لو ضربت خيشوم المؤمن بسيفي هذا على أن يبغضني ما أبغضني ، ولو صببت الدنيا بجملتها على المنافق على أن يحبني ما أحبني ، وذلك أنه قضي فانقضى على لسان النبي الأمي ، أنه لا يبغضك مؤمن ولا يحبك منافق)[4] .

هذا بعض ما أخبر به النبي صلى الله عليه وآله وسلم في شأن من عادى علياً كرم الله وجهه أو أبغضه أو سبه ، فقد ثبت وحق على مبغض علي ومعاوية بدلالة هذه الأحاديث عداوة الله وعداوة رسوله ، والبغض لهما والنفاق والأذى لله ولرسوله والسب لهما ، وخذلان الله له ، والأكباب في النار ، وأن لا تنفعه حسناته ، وأن يرد على الله غاضباً مقمحاً ، وقد لعن الله ورسوله في مواضع متعددة من قام به

---

(١) كنز العمال ج ١٣ ص ١٥٦ ح (٣٦٤٨٣) . وقال أخرجه (الطبراني في الأوسط) .

(٢) كنز العمال ٦٠٣/١١ وقال رواة الطبراني الأوسط ، مجمع الزوائد ١٣٤/٩ ، مستدرك الحاكم ١٢٩/٣ .

(٣) كنز العمال ٦٠٣/١١ ح (٣٢٩١٠) وقال أخرجه (الدارقطني في الأفراد - عن ابن عباس) .

(٤) شرح النهج ٢٦٤/٤ .

واحد من هذه الأوصاف ، فكيف لا يجوز لعن من قامت به كلها ؟ إن من يقول بعدم الجواز يكاد يكون مكذباً بهذه الأحاديث أو جاهلاً بها أو مشاغباً لا يبالي بما يقول فيدعي باطلاً ، أن لا عداوة ولا بغضاء بين علي عليه السلام وبين معاوية ، وأنه لم يقع من معاوية لعن ولا سب لعلي كرم الله وجهه ، ويدع التواتر والنقل الصحيح وراء ظهره انتصاراً بذلك لمن وجب خذلانه ، وحباً لمن وجب بغضه ، وانقياداً للتعصب المذموم ، وإرضاءً للشيطان المرجوم ﴿ **أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم ، فأعرض عنهم ، وعظهم وقل لهم في أنفسهم قولاً بليغاً** ﴾[1] .

بعض ما ورد فيمن عادى علياً أو أبغضه أو سبه

ولنذكر هنا طرفاً مما صح ونقل عن معاوية واتباعه من هذا القبيل ، قد مر بك أن رسل معاوية إلى حجر بن عدي وأصحابه قالوا لهم قبل القتل : إنا قد أمرنا أن نعرض عليكم البراءة من علي ، واللعن له ، فأن فعلتم تركناكم ، وإن أبيتم قتلناكم ، فقالوا لسنا فاعلي ذلك فقتلوهم .

بعض ما نقل عن معاوية واتباعه من لعن علي وسبه

أخرج مسلم في صحيحه والترمذي والنسائي في الخصائص عن عامر بن سعد بن أبي وقاص قال : أمر معاوية بن أبي سفيان سعداً فقال : ما يمنعك أن تسب أبا تراب ؟ فقال : لا ما ذكرت ثلاثاً قالهن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فلن أسبه ، لِأن تكون لي منهن أحب إلي من حمر النعم ، وذكر قول النبي صلى الله عليه وآله

---

(١) سورة النساء : الآية ٦٣ .

وسلم : أنت مني بمنزلة هـارون من موسى ، الحـديث المشهور وزاد أبو يعلي عن سعد من وجه آخر ، قال : لو وضع المنشار على مفرقي على أن أسب علياً ما سببته أبداً[1] .

ونقل ابن الأثير أن معاوية كـان (إذا قنت سب علياً وابن عبـاس والحسن والحسين والأشتر)[2] .

قال ابن عبد ربه في العقد : (لمـا مات الحسن ابن علي حـج معـاوية ، فـدخل المـدينة ، وأراد أن يلعن عليـاً على منبـر رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فقيل له أن هـا هنا سعـد بن أبي وقاص ، ولا نراه يرضى بهذا فابعث إليه وخذ رأيه ، فأرسـل إليه وذكـر له ذلـك فقال أن فعلت ذلك لأخرجن من المسجد ، ثم لا أعود إليه ، فـأمسك معـاوية عن لعنـه ، حتى مات سعـد ، فلما مـات لعنـه على المنبـر ، وكتب إلى عمـاله أن يلعنـوه على المنابـر ، ففعلوا ، فكتبت أم سلمـة زوج النبي صلى الله عليـه وآلـه وسلم إلى معـاويـة أنكم تلعنـون الله ورسوله على منابركم ، وذلك أنكم تلعنون علي بن أبي طـالب ، ومن أحبه ، وأنا أشهد أن الله أحبه ورسوله فلم يلتفت أحد إلى كلامها)[3] ، مع علمهم بصحة روايتها ، وشرف مقامها . ﴿ صم بكم عمي ﴾[4] ، ﴿ مأواهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيراً ﴾[5] .

ونقـل أبو عثمـان الجاحظ ، في كتـاب الرد على الإمـاميـة (أنْ

---

(١) سنن النسائي ٤٧ بتحقيق المحمودي . البداية والنهاية ٧/٣٤٠ و٣١ . مسلم كتاب فضائل الصحابة باب ٤ ص ٢٣ ح (٣٢) .

(٢) الكامل ٣/٣٣٣ .

(٣) العقد الفريد ٤/٣٦٦ مع اختلاف يسير في اللفظ .

(٤) سورة البقرة : الآية ١٨ .

(٥) سورة الإسراء : الآية ٩٧ .

معاوية كان يقول في آخر خطبته ، أللهم إن أبا تراب ألحد في دينك ، وصد عن سبيلك ، فالعنه لعناً وبيلاً ، وعذبه عذاباً أليماً ، قال وكتب بذلك إلى الآفاق ، فكانت هذه الكلمات يشاد بها على المنابر إلى أيام عمر بن عبد العزيز)[1] .

وروى فيه أيضاً : (أن قوماً من بني أمية قالوا لمعاوية : يا أمير المؤمنين إنك قد بلغت ما أملت ، فلو كففت عن هذا الرجل ؟ فقال : لا والله حتى يربو عليه الصغير ويهرم عليه الكبير ، ولا يذكر له ذاكر فضلاً)[2] .

تتبع معاوية شيعة علي وأسباب وضع الأحاديث

وروى أبو الحسن المدائني في كتاب الأحداث قال : (كتب معاوية نسخة واحدة إلى عماله بعد عام الجماعة : أن برئت الذمة ممن روى شيئاً من فضل أبي تراب ، وأهل بيته ، فقامت الخطباء في كل كورة ، وعلى كل منبر يلعنون علياً ، ويبرءون منه ، ويقعون فيه وفي أهل بيته ، وكان أشد الناس بلاء حينئذ أهل الكوفة لكثرة من بها من شيعة علي عليه السلام ، فاستعمل عليهم زياد بن سمية ، وضم إليه البصرة ، فكان يتتبع الشيعة ، وهو بهم عارف ، لأنه كان منهم أيام علي عليه السلام ، فقتلهم تحت كل حجر ومدر ، وأخافهم وقطع الأيدي والأرجل ، وسمل العيون ، وصلبهم على جذوع النخل ، وطردهم ، وشردهم ، عن العراق ، فلم يبق بها معروف منهم) .

وكتب معاوية إلى عماله في جميع الآفاق : أن لا يجيزوا لأحد من شيعة علي شهادة ، وكتب إليهم : أن انظروا من قبلكم من شيعة

(١ ، ٢) نقله عن الجاحظ ابن أبي حديد في شرحه ج ٤ ص (٥٦ ـ ٥٧) ، تحقيق أبو الفضل إبراهيم .

عثمان ومحبيه وأهل ولايته الذين يروون فضائله ومناقبه ، فادنوا مجالسهم ، وقربوهم ، وأكرموهم ، واكتبوا إلي بكل ما يروي كل رجل منهم ، وإسمه ، وإسم أبيه ، وعشيرته ، ففعلوا ذلك ، حتى أكثروا في فضائل عثمان ومناقبه ، لما كان يبعثه إليهم معاوية من الصّلات والكساء والحباء والقطائع، يفيضه في العرب منهم والموالي، فكثر ذلك في كل مصر ، وتنافسوا في المنازل والدنيا ، فليس يجد امرؤ من الناس عاملاً من عمال معاوية فيروي في عثمان فضيلة أو منقبة ، إلاّ كتب إسمه ، وأقربه ، وشفعه فلبثوا بذلك حيناً .

ثم كتب إلى عماله : أن الحديث في عثمان قد جهر ، وفشا ، في كل مصر وكل وجه وناحية ، فإذا جاءكم كتابي هذا ، فادعوا الناس إلى الرواية في فضائل الصحابة والخلفاء الأولين ، ولا تتركوا خبراً يرويه أحد من المسلمين في أبي تراب إلاّ وإئتوني بمناقض له في الصحابة ، فإن هذا أحب إلي ، وأقر لعيني ، وأدحض لحجة أبي تراب وشيعته ، أشد عليهم من مناقب عثمان وفضله ، فقرأت كتبه على الناس ، فرويت أحاديث كثيرة في مناقب الصحابة مفتعلة ، لا حقيقة لها ، وجد الناس في رواية ما يجري هذا المجرى ، حتى أشادوا بذكر ذلك على المنابر ، وألقي إلى معلمي الكتاب ، فعلموا صبيانهم وغلمانهم من ذلك الكثير الواسع ، حتى رووه ، وتعلموه ، كما يتعلمون القرآن ، وحتى علموه بناتهم ونسائهم وخدمهم وحشمهم ، فلبثوا بذلك ما شاء الله .

ثم كتب إلى عماله نسخة واحدة إلى جميع البلدان ، انظروا من قامت عليه البينة أنه يحب علياً وأهل بيته ، فامحوه من الديوان ، واسقطوا عطاءه ، ورزقه ، وشفع ذلك بنسخة أخرى من اتهمتموه بموالاة هؤلاء القوم فنكلوا به ، واهدموا داره ، فلم يكن البلاء أشد وأكثر منه بالعراق ، ولا سيما بالكوفة ، حتى أن الرجل من شيعة علي

ليأتيه من يثق به ، فيدخل بيته فيلقي إليه سره ، ويخاف من خادمه ومملوكه ، ولا يحدثه ، حتى يأخذ عليه الأيمان الغليظة ليكتمن عليه ، فظهر حديث كثير موضوع ، وبهتان منتشر . ومضى على ذلك الفقهاء والقضاة والولاة ، وكان أعظم الناس في ذلك بلية القراء المراءون ، والمستضعفون الذين يظهرون الخشوع والنسك ، فيفتعلون الأحاديث ، ليحظوا بذلك عند ولادتهم ، ويقربوا في مجالسهم ، ويصيبوا به الأموال والضياع والمنازل ، حتى انتقلت تلك الأخبار والأحاديث إلى أيدي الديانين ، الذين لا يستحلون الكذب والبهتان ، فقبلوها ، ورووها ، وهم يظنون أنها حق ، ولو علموا أنها باطلة لما رووها ، ولا تدينوا بها ، فلم يزل الأمر كذلك ، حتى مات الحسن بن علي عليهما السلام فازداد البلاء والفتنة ، فلم يبق أحد من هذا القبيل ، إلاّ وهو خائف على دمه ، أو طريد على الأرض ثم تفاقم الأمر بعد قتل الحسين عليه السلام ، وولي عبد الملك بن مروان ، فاشتد الأمر على الشيعة ، وولى عليهم الحجاج بن يوسف ، فتقرب إليه أهل النسك والصلاح ببغض علي ، وموالاة أعدائه ، وموالاة من يدعي قوم من الناس أنهم أيضاً رأوه فأكثروا من الرواية في فضلهم وسوابقهم ومناقبهم وأكثروا من الغض من علي كرم الله وجهه وعيبه والطعن فيه والشنآن له حتى أن إنساناً وقف للحجاج ويقال أنه جد الأصمعي عبد الملك بن قريب فصاح به أيها الأمير أن أهلي عقوني فسموني علياً وإني فقير بائس وأنا إلى صلة الأمير محتاج فتضاحك الحجاج وقال للطف ما توسلت به قد وليتك موضع كذا . وقد روى ابن عرفة المعروف بنفطويه ، وهو من أكابر المحدثين وأعلامهم في تاريخه ، ما يناسب هذا الخبر ، وقال : إن أكثر الأحاديث الموضوعة في فضائل الصحابة افتعلت في أيام بني أمية تقرباً إليهم ، بما يظنون أنهم يرغمون به أنوف بني هاشم .

قلت : لا يلزم من هـذا أن يكون علي عليـه السـلام يسـوؤه أن يذكر الصحابة والمتقدمون عليه بالخيـر والفضل ، إلّا أن معـاوية وبني أميـة ، كانـوا يبنون الأمـر من هذا على مـا يظنـونـه في علي كـرم الله وجهه ، من أنه عدو من تقدم عليـه ، ولم يكن الأمر في الحقيقـة كما يظنونه ، ولكن ربما كان يرى أنـه أفضل منهم ، وأنهم استـأثروا عليـه بـالخـلافـة من غير تفسيق منــه لهم ، ولا بـراءة منهم إنتهى[1] كــلام المدائني .

قلت لم يسكت المحـدثـون الـراسخـون في علم الحـديث والعـارفـون بـأسمـاء رجـالـه وحـالاتهم عن تمحيص هـذه الأحـاديث وفحصهـا ، بل امتحنـوها وبينـوا وضعها وأسبابها ، وأن بعض رواتهـا كذابون غير موثوق بهم ، كما بينوا أيضاً كثيراً من الأحاديث الموضوعة في فضـائل علي كـرم الله وجهه ، فجـزاهم الله عن نبيهم وأمتـه خيـر الجزاء .

نعم : إن المحدثين إنما يطعنون فيمن دون طبقة الصحابة ، ولا يتجاسرون على الطعن فيمن هو صحابي على اصطلاحهـم ، وإن كـان غيـر مستقيم ، وسيأتي في بيـان الشبه مـا تعلم به سبب امتنـاعهم عن ذلك والله أعلم .

وصية معاوية للمغيرة بن شبعة أن لا يترك شتم علي وسبه

ولما استعمل معاوية المغيرة بن شعبة على الكـوفة دعـاه ، وقال لـه : أما بعـد ، (فإن لـذي الحلم قبل اليـوم مـا تُقـرع العصـا ، ولا يجزيء عنك الحليم بغير التعليم ، وقد أردت إيصاءك بأشيـاء كثيرة ، أنا تاركها اعتماداً على بصرك ، ولست تاركاً إيصاءك بخصلة واحـدة ،

---

(١) شرح النهج ١٢/٤٤ ـ ٤٥ ، بروايته عن المدائني . تحقيق أبو الفضل إبراهيم .

لا تترك شتم علي وذمه والترحم على عثمان والإستغفار له والعيب لأصحاب علي والإقصاء لهم والإطراء لشيعة عثمان والإدناء لهم . فقال له المغيرة : جرَّبت وجُرِّبت ، وعملتُ قبلك لغيرك ، فلم يذمني ، وستبلو فتحمد ، أو تذم . فقال : بل نحمد إن شاء الله .

فأقام المغيرة عاملاً على الكوفة ، وهو أحسن شيء سيرة ، غير أنه لا يدع شتم علي والوقوع فيه والدعاء لعثمان والإستغفار له ، فإذا سمع ذلك حجر بن عدي ، قال : بل إياكم ذم الله ولعن)[1] إنتهى من الكامل .

قلت لم يزل المغيرة باقي أيامه عاملاً بوصية طاغيته موصيها بها غير فقد قال لصعصعة بن صوحان وهو من أصحاب علي عليه السلام لما بلغه أنه يذكر علياً ويفضله : (إياك أن يبلغني عنك أنك تعيب عثمان ، وإياك أن يبلغني أنك تظهر شيئاً من فضل علي ، فإنّا أعلم بذلك منك ، ولكن هذا السلطان قد ظهر ، وقد أخذنا بإظهار عيبه للناس ، فنحن ندع شيئاً كثيراً مما أمرنا به ، ونذكر الشيء الذي لا نجد منه بداً ندفع به هؤلاء القوم عن أنفسنا ، فإن كنت ذاكراً فضله ، فاذكره بينك وبين أصحابك في منازلكم سراً ، وأما علانية في المسجد ، فإن هذا لا يحتمله الخليفة لنا)[2] إنتهى من الكامل أيضاً .

وأمر يوماً حجر بن عدي (أن يقوم في الناس فيلعن علياً فأبى ذلك ، فتوعده ، فقام فقال : أيها الناس أن أميركم أمرني أن ألعن علي بن أبي طالب فالعنوه ، فقال أهل الكوفة : لعنه الله)[3] يعنون :

---

(١) الكامل ٣/٤٧٢ - ٤٧٣ . وفي المصدر : (وقد لا يجزيء) و(الحكيم) بدل (الحليم) ، (واحده) زائدة .

(٢) ن . م . ص ٤٣ . وفي المصدر (فأنا أعلم بذلك) .

(٣) شرح النهج ٤/٥٨ .

الأمير . قالوا : وكان المغيرة صاحب دنيا يبيع دينه بالنزر القليل منها ، يرضى به معاوية، حتى أنه قال يوماً في مجلس معاوية : إن علياً لم ينكحه رسول الله صلى الله عليه وسلم حباً له ، ولكن أراد أن يكافيء بذلك إحسان أبي طالب[1] .

شتم مروان لعلي وابنه الحسن (ع)

واستعمل معاوية على المدينة مروان بن الحكم ، وكان عاملاً بأوامر معاوية ، فكان لا يدع سب علي عليه السلام على المنبر كل جمعة تنفيذاً لأوامر أميره .

قال ابن حجر المكي : جاء بسند رواته ثقات : أن مروان لما ولي المدينة ، كان يسب علياً على المنبر كل جمعة ثم ولي بعده سعيد بن العاص فكان لا يسب ، ثم أعيد مروان ، فعاد للسب ، وكان الحسن يعلم ذلك فسكت ، ولا يدخل المسجد إلّا عند الإقامة ، فلم يرض بذلك مروان ، حتى أرسل للحسن في بيته بالسب البليغ لأبيه وله ، ومنه : ما وجدت مثلك إلّا مثل البغلة ، يقال لها : من أبوك ؟ فتقول أمي الفرس[2] إلخ .

وفي صحيح البخاري من أثناء حديث لأبي سعيد رضي الله عنه قال أبو سعيد : خرجت مع مروان وهو أمير المدينة في أضحى أو فطر ، فلما أتينا المصلّى إذا منبر بناه كثير بن الصلت ، فإذا مروان يريد أن يرتقيه قبل أن يصلي ، فجذبته بثوبه فجذبني فارتفع فخطب قبل الصلاة ، فقلت له : غيرتم والله فقال : يا أبا سعيد ذهب ما تعلم فقلت : ما أعلم والله خير مما لا أعلم فقال : إن الناس لم يكونوا

(١) مسند أحمد ١/١٨٨ ، مستدرك الحاكم ١/٣٨٥ شرح النهج ٤/٧٠ .

(٢) تطهير الجنان واللسان ٦٣ .

يجلسون لنا بعد الصلاة ، فجعلتها قبل الصلاة[1] .

قال الحافظ ابن حجر في الفتح عن ابن المنذر : أما مروان فراعى مصلحتهم في أسماعهم الخطبة ، لكن قيل أنهم كانوا في زمن مروان يتعمدون ترك سماع خطبته ، لما فيها من سب من لا يستحق السب (يعني علياً) والإفراط في مدح بعض الناس (يعني عثمان) فعلى هذا إنما راعى مصلحة نفسه إنتهى ، وقد ذكر العلامة الحفظي[2] في أرجوزته هذا الحديث فقال :

وفي البخاري عن أبي سعيد ... خطبة مروان بيوم العيد
قبل الصلاة حين كان الناس ... بعد الصلاة ينفر الجلاس
لأنه كما حكاه المنذري ... يذكر فيها المرتضى ويجتري
سحقاً له من وزغ ملعون ... وكل من في صلبه يكون

قلت إلّا الصالحين منهم وقليل ما هم .

مرور ابن عباس بقوم يشتمون علياً

ومر ابن عباس رضي الله عنهما بقوم ينالون من علي ، ويسبونه ، فقال لقائده : أدنني منهم ، فأدناه فقال أيكم الساب لله ؟ قالوا : نعوذ بالله أن نسب الله . فقال : أيكم الساب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالوا : نعوذ بالله أن نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : أيكم الساب علي بن أبي طالب ؟ قالوا : أما هذه فنعم ، قال : أشهد لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول من سبني فقد سب الله ، ومن سب علي بن أبي طالب فقد سبني .

---

(١) البخاري ١/٣٢٦ كتاب العيدين باب ١٦ ح ٩١٣ .

(٢) هو : أحمد بن عبد الخالق الزمزمي العجلي الحشظي ، أديب جاني شافعي ، له شعر من نظمه (تصدير البردة وتعجيزها) نظمها سنة ١٢٩٢ . ـ الأعلام للزركلي ١/١٤٥ .

فأطرقوا فلما ولى قال لقائده ، كيف رأيتهم ؟ فقال :

نـظروا إليـك بـأعين محمـرة   نـظر التيـوس إلى شفـار الجـازر

قال زدني فداك أبي وأمي فقال :

خـزر العيـون نـواكس أبصـارهـم   نـظر الذليـل إلى العزيـز القـاهـر

فقـال زدني فداك أبي وأمي قـال ما عنـدي مـزيـد . قـال ولكن عندي :

أحيـاؤهم عـار على أمـواتهـم   والميتـون مسبّـة للغـابـر[1]

إنتهى من مروج الذهب .

وولّى معاوية بسر بن أرطأة البصرة فكان يشتم علياً عليه السلام على المنبر .

قال أبو جعفر الطبـري في تاريخـه : حدثنـا عمر قـال : حدثنـا علي بن محمد قال : خطب بسر على منبـر البصرة ، فشتم عليـاً عليه السلام ثم قال : نـاشدت الله رجـلاً علم أني صادق إلاّ صـدقني ، أو كاذب إلاّ كذبني قال : فقال أبـو بكرة : أللهـم إنـا لا نعلمك إلاّ كـاذباً قـال : فأمـر به فخنق قـال : فقام أبـو لؤلؤة الضبي فرمى بنفسـه عليـه فمنعه[2] إنتهى .

تتبع زياد لشيعة علي وسبه علياً وبعض أخباره في ذلك

واستعمل معاوية زياداً فكـان من أشد العمـال حرصـاً ودعوة إلى لعن علي عليه السلام وسبه .

---

(١) مروج الذهب ١٠٢/٣ .

(٢) الطبري ١٦٨/٥ .

قـال ابن الأثير : بعث زيـاد بـن أبيه في طلب صيفي بن فسيـل الشيباني فأتي بـه ، فقال لـه : (يا عـدو الله ما تقـول في أبي تراب ؟ فقـال : لا أعرفـه فقال مـا أعرفـك به ! أتعـرف علي بن أبي طـالب ؟ قـال : نعم ، قال : فـذاك أبـو تـراب . قـال : كـلّا ذاك أبـو الحسن والحسين . فقـال له صـاحب الشرطـة : يقول الأميـر : هو أبـو تـراب وتقول لا ، قال : فإن كذب الأمير أكذب أنـا وأشهد على بـاطل كمـا شهد ؟ فقال له زياد : وهذا أيضاً ! علي بالعصا ، فأتي بها . فقـال : ما تقول في علي ؟ قال : أحسن قول ، قـال : اضربـوه فضربـوه حتى لصق بالأرض ، ثم قال : أقلعوا عنه ، ما قولك في علي ؟ قال : والله لو شرّحتني بالمواسي ما قلت فيه إلّا ما سمعت مني . قال : لتلعننه ، أو لأضربن عنقك ، قـال : لا أفعل فـأوثقوه حـديداً وحبسـوه)[1] قال الحـافظ الذهبي في التـذكرة قتـل زياد رشيـداً الهجري لتشيعـه (فقطّ لسانه وصلبه)[2] إنتهى .

قلت وكان من قصته ما رواه أهل الأخبار قالـوا روي عن الشعبي عن زيـاد ابن نصر الحـارثي قال : كنت عنـد زياد ، وقـد أتي برشيـد الهجري ، وكان من خواص أصحاب علي عليه السلام ، فقال له زياد مـا قال خليلك لـك ، أنا فـاعلون بك قـال : تقـطعـون يـدي ورجلي وتصلبونني ، فقال زياد : أما والله لأكذبن حديثـه ، خلوا سبيله ، فلما أراد أن يخرج قال : ردوه لا نجد شيئاً أصلح مما قال لك صاحبـك ، إنـك لن تـزال تبغي لنـا سـوءاً إن بقيت ، إقـطعـوا يـديـه ورجليــه ، فقطعوها ، وهو يتكلم ، فقال : اصلبوه خنقاً في عنقه ، فقـال رشيد : قـد بقي لي عنـدكم شيء مـا أراكم فعلتمـوه ، فقـال زيـاد : اقـطعـوا

---

(١) الكامل ٣/٤٧٧ .

(٢) تذكرة الحفاظ ١/٨٤ في ترجمة الشعبي ٧٦ ١١/٣ع .

لسانه ، فلما أخرجوا لسانه ليقطع قال : نفسوا عني أتكلم كلمة واحدة ، فنفسوا عنه ، فقال : هذا والله تصديق خبر أمير المؤمنين أخبرني بقطع لساني فقطعوا لسانه وصلبوه(١) .

وقال المسعودي في المروج والبيهقي في المحاسن والمساوىء : (قد كان زياد جمع الناس بالكوفة بباب قصره ، يحرضهم على لعن علي عليه السلام ، فمن أبى ذلك عرضه على السيف ، فذكر عبد الرحمن بن السائب قال : حضرت فصرت على الرحبة ، ومعي جماعة من الأنصار ، فرأيت شيئاً في منامي ، وأنا جالس في الجماعة ، وقد خفت ، وهو أني رأيت شيئاً طويلاً قد أقبل فقلت : ما هذا ؟ فقال : أنا النقاد ذو الرقبة ، بعثت إلى صاحب هذا القصر ، فانتبهت فزعاً ، فما كان إلّا مقدار ساعة حتى خرج خارج من القصر ، فقال : انصرفوا فإن الأمير عنكم مشغول ، وإذا به قد أصابه ما ذكرنا من البلاء [يعني أنها خرجت في كفه بثرة ، ثم حكها ، ثم سرت واسودت ، فصار آكلة سوداء فهلك بذلك] وفي ذلك يقول عبد الله بن السائب من أبيات :

ما كان منتهياً عما أراد بنا ... حتى تأتي له النقاد ذو الرقبه
فأسقط الشق منه ضربة ثبتت ... لما تناول ظلماً صاحب الرحبه

يعني بصاحب الرحبة علي بن أبي طالب كرم الله وجهه)(٢) .

سب أمراء بني أمية وعمالهم لعلي (ع) على المنابر

قلت إنما ذكرنا هنا طرفاً من بعض أفعل عمال معاوية وأكثر

---

(١) سفينة البحار ١/٥٢٢ .

(٢) مروج الذهب ٣/٣٥ ـ ٣٦ . المحاسن والمساوىء ٧٧ وفي المروج بدل (كرم الله وجهه) ، (رضي الله عنه) .

عماله من هذا القبيل ، والتواريخ والسير مشحونة بذكر ما يرتكبه أولئك الطغاة من سب علي عليه السلام ولعنه على المنابر ، وفي المحافل تمادي معاوية في نشر تلك البدعة الشنيعة القبيحة التي أخبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنها علامة النفاق وسب لله ولرسوله ، وحمل الناس عليها بالسيف ، وألزم شرار العمال النداء بها على المنبر في سائر أقطار الإسلام ، حتى في المدينة النبوية تجاه القبر الشريف ، على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، غير مراع في ذلك خوف الله تعالى ، ولا حرمة رسوله عليه وآله الصلاة والسلام ، ثم جعلها سنة باقية ، لأتباعه وخلفائه ملوك الضلالة وأئمة الجور والظلم ، فنهج أولئك الجبابرة منهجه ، واقتفوا سبيله ، وأعلنوا سب علي عليه السلام ولعنه نحواً من ستين سنة .

ذكر الحافظ السيوطي رحمه الله ، أنه كان في أيام بني أمية أكثر من سبعين ألف منبر يلعن عليها علي بن أبي طالب عليه السلام ، بما سنه لهم معاوية من ذلك ، وفي ذلك يقول العلامة أحمد الحفظي الشافعي في أرجوزته .

وقد حكى الشيخ السيوطي أنه ... قد كان فيما جعلوه سنه
سبعون ألف منبر وعشره ... من فوقهن يلعنون حيدره
وهذه في جنبها العظائم ... تصغر بل توجه اللوائم
فهل ترى من سنها يعادي ... أم لا وهل يستر أم يهادي
أو عالم يقول عنه نسكت ... أجب فأني للجواب منصت
وليت شعري هل يقال اجتهدا ... كقولهم في بغيه أم الحدا
أليس ذا يؤذيه أم لا فاسمعن ... إن الذي يؤذيه يؤذي من ومن
بل جاء في حديث أم سلمة ... هل فيكم الله يسب مه لمه
عاون أخا العرفان بالجواب ... وعاد من عادى أبا تراب

ومن عجيب ما يحكى من ذلك : أن الوليد بن عبد الملك كان لحاناً ، وأنه خطب في خلافته،وذكر علياً ، فقال : أنه كان لص ابن لص بالجر ، فعجب الناس من لحنه فيما لا يلحن فيه أحد ، ومن نسبته علياً إلى اللصوصية ، وقالوا : ما ندري أيهما أعجب[1] .

وأعجب من هذا ما ذكره المبرد في الكامل قال : أن خالد بن عبد الله القسري ، لما كان أمير العراق ، كان يلعن علياً عليه السلام على المنبر ، فيقول أللهم العن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابنته وأبا الحسن والحسين ، ثم يقبل على الناس ويقول : هل كنيت ؟ .

وأغرب من الكل ما ذكره ابن الكلبي في غرائبه عن عبد الرحمن بن السائب قال : (قال الحجاج يوماً لعبد الله بن هانيء وهو رجل من بني أود حي من قحطان ، وكان شريفاً في قومه ، قد شهد مع الحجاج مشاهدة كلها وكان من أنصاره وشيعته ، والله ما كافأتك بعد ، ثم أرسل إلى أسماء بن خارجة سيد بني فزارة ، أن زوج عبد الله بن هاني بأبنتك ، فقال : لا والله ، ولا كرامة ، فدعا له بالسياط ، فلما رأى الشر قال : نعم زوجه ، ثم بعث إلى سعيد بن قيس الهمداني رئيس اليمانية أن زوج إبنتك من عبد الله بن هاني الأودي ، قال : من أود ، لا والله ، لا أزوجه ، ولا كرامة فقال : عليَّ بالسيف ، فقال : دعني حتى أشاور أهلي ، فشاورهم فقالوا : زوجه ولا تعرض نفسك لهذا الفاسق ، فزوجه . فقال الحجاج لعبد الله : قد

---

(١) شرح النهج ٤/٥٨ والنص (وروى أهل السير أن الوليد بن عبد الملك في خلافته ذكر علياً عليه السلام ، فقال : « لعنه الله - بالجر - كان لص بن لص » فتعجب الناس من لحنه ، فيما لا يلحن فيه أحد ومن نسبة علي عليه السلام إلى اللصوصية ، وقالوا : ما ندري أيهما أعجب ، وكان الوليد لحاناً) .

زوجتك بنت سيد فزارة وبنت سيد همدان وعظيم كهلان ، وما أود هناك فقال : لا تقل ذلك ، أصلح الله الأمير ، فإن لنا مناقب ليست لأحد من العرب ، قال : وما هي ؟ قال : ما سب أمير المؤمنين عبد الملك في ناد لنا قط ، قال : وشهد منا صفين مع أمير المؤمنين معاوية سبعون رجلاً ، وما شهد منا مع أبي تراب إلاّ رجل واحد ، وكان والله ما علمته أمرأ سوء قال : منقبة والله ، قال : ومنا نسوة نذرن إن قتل الحسين بن علي أن تنحر كل واحدة عشر قلائص ففعلن ، قال ، منقبة والله قال : وما منا رجل عرض عليه شتم أبي تراب ولعنه إلاّ فعل ، وزاد ابنيه حسناً وحسيناً ، وأمهما فاطمة ، قال : منقبة والله قال : وما أحد من العرب له من الصباحة والملاحة ما لنا . فضحك الحجاج ، وقال : أما هذه يا أبا هاني فدعها ، وكان عبد الله دميماً شديد الأدمة ، مجدوراً في رأسه ، عجر مائل الشدق ، أحول ، قبيح الوجه ، شديد الحول) إنتهى(١) .

وقال أبو عثمان الجاحظ : خطب الحجاج بالكوفة فذكر الذين يزورون قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدنية ، فقال : (تباً لهم ، إنما يطوفون بأعواد ورمة بالية ، هلا طافوا بقصر أمير المؤمنين عبد الملك ؟ ألا يعلمون أن خليفة المرء خير من رسوله ؟!) إنتهى(٢) .

تأمل أيها المؤمن الصادق أفعال هذه الفئة الضالة المضلة ، كيف ينافح عنهم كثير من أصحابنا أهل السنة ؟! ويتورعون عن الإنتقاد عليهم ويحتالون لبراءتهم مما ارتكبوه ، بأي تأويل وجدوه ؟!

---

(١) شرح النهج ٤/٦١ .
(٢) ن . م . ١٥/٢٤٢ .

وهم في الحقيقة أشر فعالاً ، وأسوأ حالا من الخوارج الذين هم شر الأمة .

ذكر العلامة ياقوت الحموي في معجم البلدان في ذكر سجستان بعد أن ذكر من بها من الخوارج وكثرتهم وتعصبهم في مذهبهم قال : (قال محمد بن بحر الرهني : وأجل من هذا كله أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه لعن على منابر الشرق والغرب ، ولم يلعن علي على منبرها (يعني سجستان) الإمرة ، وامتنعوا على بني أمية ، حتى زادوا في عهدهم ، وأن لا يلعن على منبرهم أحد ، ولا يصطادوا في بلدهم قنفذ[1] ولا سلحفاة قال : وأي شرف أعظم من امتناعهم من لعن أخي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على منبرهم؟ وهو يلعن على منابر الحرمين مكة والمدينة)[2] إنتهى .

إبطال عمر بن عبد العزيز تلك السنة السيئة

ولم تزل هذه السنة السيئة معمولاً بها في أيام بني أمية في جميع الأقطار والأمصار والقرى ، حيث نفذت أوامرهم ، وأنّى بلغ ملكهم يوصون بها عمالهم ويجبرون عليها رعاياهم ، حتى أبطلها إمام الهدى عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ، وأبدل مكانها من الخطبة قول الله تعالى ﴿ **أن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي** ﴾[3] الآية ، وفي ذلك يقول كثير بن عبد الرحمن يمدح عمر ويذكر قطعه السب .

---

(١) إنما منعوا صيد القنفذ لأن بلادهم كثيرة الأفاعي والقنافذ تأكل الأفاعي فما من بيت إلاّ وفيه قنفذ .

(٢) معجم البلدان ١٩١/٣ دار التراث العربي .

(٣) سورة النحل : الآية ٩٠ .

وليت فلم تشتم علياً ولم تخف بـرياً ولم تقبـل إسـاءة مجـرم[1]

وقـال الشريف أبـو الحسن الرضي رحمـه الله يرثي عمـر رحمـه الله :

ديـر سمعان لا عـدتك الغـوادي خيـر ميت من آل مـروان ميتـك
ديــر سمعـان فيـك مـأوى أبي حفص فـودي لـو أنني آويتـك
يـابن عبـد العـزيـز لـو بكت العين فتى من أميـة لبكيتـك
غيـر أني أقـول أنـك قـد طبت وإن لم يـطب ولم يـزك بيتـك
أنت نـزهتنـا عن السب واللعن فـلو أمكـن الجـزاء جـزيتـك
وعـجيـب أني قـليت بـني مـر وان طـراً وأنـني مـا قـليتـك
ولـو أنـي رأيـت قـبـرك لاستحييت من أن أرى وما حييتك
ولـو أني ملكت دفعـاً لمـا نـا لك من طارق الردى لفديتـك[2]

فانظر رحمك الله إلى جرأة هؤلاء الظلمة العتاة على الله تعالى ، وما قدموه لأنفسهم من الكبائـر والعظائم ، ومـا تعرضـوا له من الـوعيد الشديد من المنتقم الجبار الشديد العقاب ، على أن كـل ما فعلوه من السب والشتم واللعن ، وأن عم وطم وانتشـر وتتابـع منهم ، لا ينقص من مقام الإمام علي عليه السلام مثقال ذرة ، ولا تلحقه بذلك غضاضة ولا معرة ، فإن مقداره عند الله وجلالته في قلوب الصالحين من عبـاده أعظم وأجل من أن يهتك حرمتها هذر معـاوية واتبـاعه ، كمـا أن ضعة رتب معاوية وأتباعه وحقـارة شأنهم عنـد الله وسوء مـواقعهم في قلوب المؤمنين المتقين أقل وأحقر ، من أن يرفعها أو يؤثر فيها تعـظيم هؤلاء المتعصبين لهم وتسويدهم قدر أنملة ، جف القلم بما هـو كائن وكـل ميسر لما خلق له .

---

(1) شرح النهج ٤/٥٩ .

(2) الديوان ١/٢١٥ طبع دار صادر في بيروت ، شرح النهج ٤/٦٠ .

ربما قيل : إن لهؤلاء القوم صلواتٍ وزكواتٍ وشيئاً من العبادات أو ما تراها مغنية عنهم شيئاً يوم القيامة .

قلت: لا إخال أنه ينفعهم شيء من ذلك، ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: من أثناء حديث أخرجه الحاكم وصححه(فلو أن رجلاً صفن بين الركن والمقام ، فصلى وصام ، ثم لقى الله وهو مبغض لأهل بيت محمد دخل النار)[1] . وصحّ أيضاً أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال : (والذي نفسي بيده لا يبغضنا أهل البيت أحد إلّا أدخله الله النار)[2] . وورد أيضاً من أثناء حديث صحيح قوله عليه الصلاة والسلام : (من آذاني في عترتي ، فقد آذى الله ، أن الله حرم الجنة من ظلم أهل بيتي ، أو قاتلهم ، أو أعان عليهم أو سبهم)[3] .

وأخرج ابن عساكر في الفردوس (بغض علي سيئة ، لا تنفع معها حسنة)[4] إلى غير ذلك من الأحاديث الكثيرة ، فبغض علي وعترته وعداوتهم من موجبات الضلال وحبطات الأعمال ، وما أحسن ما قاله الناصر العباسي في هذا المعنى اقتباساً من تلك الأحاديث شعراً :

قسماً بمكة والحطيم وزمزم ... والراقصات وسعيهن إلى منى
بغض الوصي علامة مكتوبة ... كتبت على جبهات أولاد الزنا
من لم يوال من البرية حيدرا ... سيان عند الله صلى أو زنى

وله أيضاً :

---

(١) مستدرك الحاكم ١٤٩/٣ ، الصراعق المحرقة ١٤٠ ، كنز العمال ٢٠٣/٦ .

(٢) مستدرك الحاكم ١٤٩/٣ . الصواعق المحرقة ١٤٣ ، الدر المنثور في تفسير آية المودة من سورة التوبة وقال : أخرجه أحمد وابن حبان والحاكم عن أبي سعيد .

(٣) الصواعق المحرقة ١٤٣ .

(٤) نقله صاحب كنز الحقائق ، المناوي ، ص ٥٣ ، وقال : أخرجه الديلمي .

لو أن عبداً أتى بالصالحات غداً ... وود كل نبي مرسل وولي
وعاش ما عاش آلافاً مؤلفة ... خلواً من الذنب معصوماً من الزلل
وقام ما قام قواماً بلا كسل ... وصام ما صام صواماً بلا ملل
وطار في الجو لا يأوي إلى قلل ... وغاص في البحر لا يخشى من البلل
فليس ذلك يوم البعث ينفعه ... إلّا بحب أمير المؤمنين علي

إرث معاوية عداوة بني هاشم عن أبيه

ثم إنا نقول بعد هذا : كما أن الله جل شأنه شديد العقاب فهو واسع المغفرة لمن تاب ، ومغفرته لمن لم يتب جائزة عند أهل السنة من باب خرق العوائد ، فليس لأحد أن يتألى عليه إن شاء تجاوز عنهم **﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾**(1) .

وها هنا أقول : ليس ما اشتملت عليه جوانح معاوية من الحقد والحسد والبغضاء لجميع بني هاشم والعداوة لهم - بل لله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم ولِأهل بيته - بغريب، ولا مستنكر ، فإن هذه العداوة قد ورثها من أمه وأبيه كما ورثها بعده بنيه وذويه ، وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم : (الود يورث والعداوة تورث)(2) .

كان أبو سفيان في الجاهلية أشد قريش عداوة للنبي صلى الله عليه وسلم وأعظمهم حرصاً على إطفاء نور الله ، وهو ممن أنزل الله فيهم قوله تعالى : **﴿ قاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم ﴾**(3،4) ،

---

(1) سورة النساء : الآية ٤٨ .

(2) كنز العمال ١١٦/١٦ ح (٤٤١١٦) .

(3،4) سورة التوبة : الآية ١٢ . قال الفخر الرازي في تفسير قوله تعالى ﴿ إن الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً ﴾ بعد كلام في من يعني بالذين كفروا فقال وقيل هم مشركوا قريش عامة وقيل بل هم أبو سفيان ورهطه خاصة وجهوه بما نقل من إنفاق المال الكثير على المشركين يوم بدر ويوم أحد .

ولم يـزل دأبه وديـدنه إلى أن أرغم الله أنفـه بفتـح مكـة ، ودخـل في الإسـلام مكرهـاً ، هو وبنـوه وزوجتـه ، ثم حضـر مـع المؤلفـة غـزوة حنين ، وكـان الأزلام في كنايتـه ، ولما انهـزم المسلمـون قـال : (لا تنتهي هزيمتهم دون البحر ، والله قد غلبت هوزان فقـال له صفـوان : بفيك الكثكث)[1] أي الحجارة والتراب .

قال ابن عبد البر في الإستيعاب : أُختلف في حسن إسلامه .

فـطائفة تـرى أنه لمـا أسلم حسن إسـلامـه ، قـال : ونقـل عن سعيد بن المسيب .

وطـائفة تـرى أنـه كـان كهفـاً للمنـافقين منـذ أسلم ، وكـان في الجاهلية زنديقاً .

ثم قـال : وفي خبر ابن الـزبيـر : أنـه رآه يـوم اليـرمـوك قـال : فكـانت الـروم إذا ظهـرت قـال أبـو سفيـان : إيـه بني الأصفـر ، وإذا كشفهم المسلمون قال أبو سفيان :

وبنـو الأصفـر الملوك ملوك الـر وم لـم يـبـق مـنـهـم مـذكـور

فحـدث به ابن الـزبير أبـاه لما فتـح الله على المسلمين ، فقال الزبير : قاتله الله ، يأبى إلاّ نفاقاً أولسنا خيراً له من بني الأصفر .

وذكر ابن المبارك عن مـالك بن مغـول عن أبي أبجر قـال : لما بويع لأبي بكر الصديق رضي الله عنه ، جاء أبو سفيان إلى علي رضي الله عنـه ، فقال : أغلبكم على هـذا الأمر أقـل بيت في قـريش ، أمـا والله لأمـلأنهـا خيـلاً ورجـالاً إن شئت ، فقـال علي : مـا زلت عـدواً للإسلام وأهله ، فما ضر ذلك الإسلام وأهله شيئـاً ، إنا رأينـا أبا بكـر لها أهلاً .

---

(١) الطبري : ٣/٧٣ مع حذف .

وروي عن الحسن البصري : أن أبا سفيان دخل على عثمان حين صارت الخلافة إليه ، فقال : قد صارت إليك بعد تيم وعدي ، فأدرها كالكرة ، وأجعل أوتادها بني أمية ، فإنما هو الملك ، ولا أدري ماجنة ، ولا نار ، فصاح به عثمان : قم عني فعل الله بك وفعل .

قال : وله أخبار نحو هذا ردية ذكرها لم أذكرها وفي بعضها ما يدل على أنه لم يكن إسلامه سالماً ولكن حديث سعيد بن المسيب يدل على صحة إسلامه والله أعلم)[1] إنتهى .

وذكر أيضاً في ترجمة سهيل بنعمرو: أنه(لما ماج أهل مكة عند وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وارتد من ارتد من العرب، قام سهيل بن عمرو خطيباً . فقال : والله أني لا أعلم أن هذا الدين سيمتد امتداد الشمس في طلوعها إلى غروبها ، فلا يغرنكم هذا من أنفسكم ، يعني أبا سفيان ، فإنه ليعلم من هذا الأمر ما أعلم ، ولكنه قد ختم على قلبه حسد بني هاشم)[2] ، إنتهى . ومن هنا تعلم أن أعمال أبي سفيان كلها ناشئة عن ضغائن جاهلية وأحقاد أموية وأوتار شركية ، ولقد صدق من قال في هذا المعنى :

آل حرب أوقدتموه نار حرب ليس يخبو لها الزمان وقود
فابن حرب للمصطفى وابن هند لعلي وللحسين يزيد

ألا ترى أن هذه العداوة الموروثة ، هي التي ألجأت معاوية نفسه إلى أن استأذن عثمان أن يقتل علي بن أبي طالب والزبير وطلحة رضي الله عنهم فقد نقل المحدث ابن قتيبة رحمه الله في كتاب الإمامة أن عثمان رضي الله عنه حين أنكر عليه الناس ما أنكروا قال

---

(١) الإستيعاب ٤/١٦٧٨ رقم (٣٠٠٥) .
(٢) ن . م ٢/٦٧٠ رقم (١١٠٦) .

لمعاوية : ما ترى ؟ فإن هؤلاء المهاجرين قد استعجلوا القدر ، ولا بد لهم مما في أنفسهم فقال معاوية : الرأي أن تأذن لي فأضرب أعناق هؤلاء القوم ، فقال : من ؟ قال : علي وطلحة والزبير . قال عثمان : سبحان الله أقتل أصحاب رسول الله بلا حدث أحدثوه ، ولا ذنب ارتكبوه ؟ قال معاوية : فإن لم تقتلهم فإنهم سيقتلونك ، قال عثمان : لا أكون أول من خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمته بإهراق الدماء . قال معاوية : فثانية . قال : وما هي ؟ قال : فرقهم عنك ، فلا يجتمع منهم إثنان في مصر واحد ، واضرب عليهم البعوث والندب ، حتى يكون دبر كل بعير كل واحد منهم أهم عليه من صلاته ، قال عثمان : سبحان الله شيوخ المهاجرين وكبار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وبقية الشورى أخرجهم من ديارهم ، وأفرق بينهم وبين أهليهم وأبنائهم ، لا أفعل هذا)[1] إنتهى . ولقد صدق الإمام عليه السلام حيث قال في صفين : (والله يود معاوية ، أنه ما بقي من بني هاشم نافخ ضرمة ، إلّا طعن في بطنه إطفاء لنور الله ، ﴿ **ويأبى الله إلّا أن يتم نوره ولو كره الكافرون** ﴾[2])[3] .

إرثه عداوتهم عن أمه

وكما ورث معاوية عداوة بني هاشم عن أبيه فقد ورث النصيب الآخر عن أمه هند بنت عتبة بن ربيعة فقد كانت شديدة العداوة للنبي صلى الله عليه وسلم بمكة ، ولما تجهز مشركو قريش لغزوة أحد ، خرجت معهم تحرض المشركين على القتال ، ولما مروا بالأبواء حيث قُبِرَت أمُّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم آمنة بنت وهب رضي الله عنها،

---

(١) الإمامة والسياسة ١/٣٢ مع حذف . تحقيق د : طه محمد الزيني .

(٢) سورة الصف : الآية ٨ .

(٣) عيون الأخبار ج ١ ص ١٨٠ .

أشارت على المشركين بنبش قبرها ، وقالت : لو نجثتم قبر أم محمد - وفي رواية بحثتم - فإن أسر منكم أحد فديتم كل إنسان بأرب من آرابها أي جزء من أجزائها ، فقال بعض قريش : لا يفتح هذا الباب أبداً[1] ، ولما التقى الناس بأحد قامت هند والنسوة اللاتي معها ، وأخذن الدفوف يضربن بها خلف الرجال ويقلن :

ويها بني عبد الدار ويها حماة الأديار ضرباً بكل بتار[2]

قال أبو دجانة الأنصاري : (سمعت إنساناً يخمشُ الناس خَمشاً شديداً يوم أحد ، فعمدت إليه ، فلما حملت عليه بالسيف ولول ، فعلمت فإذا إمرأة فأكرمت سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أضرب به إمرأة)[3] .

ولما انتهت الواقعة في أحد بقرت هند بطن سيدنا حمزة رضي الله عنه ، وأخرجت كبده (فلاكتها فلم تستطع أن تسيغها فلفظتها)[4] ولما بلغ الخبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنها أخرجت كبد حمزة ، قال : هل أكلت منها شيئاً ؟ قالوا : لا ، قال : إن الله قد حرم على النار أن تذوق من لحم حمزة شيئاً أبداً .

وكان حسان بن ثابت رضي الله عنه يهجوها وزوجها على مسمع من النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومشهد من أصحابه رضي الله عنهم ، ويقذفهابما اتهمت به من الزنا ، ولم ينكر عليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم شيئاً مما هجاهما به ، فمن ذلك قوله شعراً يذكر فيه خروجها إلى أحد قال :

---

(١) السيرة الحلبية ٢/٤٩٠ .
(٢) سيرة ابن هشام ٣/٧٢ . الكامل ٢/١٥٩ .
(٣) ن . م . ص ٧٣ .
(٤) ن . م . ص ٩٧ .

أشــرت لكــاع وكــان عــادتهــا　　لــؤم إذا أشــرت مــع الـكــفــر
لـعــن الإلــه وزوجــهــا مـعــهــا　　هــنــد الهــنــود طــويلة الـبــظر
أقــبــلــت ثــائــرة مــبــادرة　　بــأبيـك وابنـك يـوم ذي بـدر
وبـعــمــك الـمـسـلـوب بــزتــه　　وأخيــك منعفــرين في الـجفــر
ونـسـيـت فــاحشــة أتيت بــهــا　　يــا هند ويحـك سبة الــدهــر
فــرجــعـت صــاغــرة بــلا تــرة　　مــمــا ظــفــرت بــه ولا وتــر
زعــم الــولائــد أنــهــا ولــدت　　إبنــاً صغيــراً كــان من عهــر[١]

وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقتلها يوم الفتح، لما فعلت بحمزة[٢] ولما كانت تؤذي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بمكة فجاءت إليه مع النساء متخفية وأسلمت[٣].

علم معاوية وعمرو بفضل علي

نعم أقول إن معاوية وعمرواً وزياداً ومروان وأمثالهم من السابين اللاعنين لعلي عليه السلام على المنابر يعلمون، ويعتقدون، أن علياً أفضل أهل زمانه، وأحبهم إلى الله، وأحقهم بالأمر والخلافة، ولكنهم يخالفون ذلك فعلاً حرصاً على الرياسة، ورفعاً لراية البغي والفساد في الأرض، على أنهم قد يقرون بذلك في مطاوي كلامهم واحتجاج بعضهم على بعض، ألا ترى أن عمرواً كيف أنشأ تلك الأبيات في فضل علي وشأنه في حضرة معاوية، ليأخذ عليها بدرة من المال، فقد ذكر الهمداني رحمه الله في كتاب الإكليل المشهور قال: (روي أن معاوية بن أبي سفيان قال يوماً لجلسائه: من قال في علي

---

(١) الديوان ١/٣٨٤ ـ ٣٨٥.
(٢) الطبري ٣/٦١ ـ ٦٢.
(٣) ن. م. والصفحة.

ما فيه فله البدرة فقال كل منهم كلاما غير موافق من شتم أمير المؤمنين عليه السلام إلّا عمرو بن العاص فأنه قال أبياتاً اعتقدها وخالفها بفعاله :

بآل محمد عرف الصواب ... وفي أبياتهم نزل الكتاب
وهم حجج الإله على البرايا ... بهم وبجدهم لا يستراب
ولا سيما أبو حسن علي ... له في المجد مرتبة تهاب
إذا طلبت صوارمه نفوساً ... فليس لها سوى نعم جواب
طعام حسامه مهج الأعادي ... وفيض دم الرقاب لها شراب
وضربته كبيعته بخم ... معاقدها من الناس الرقاب
إذا لم تبر من أعدا علي ... فما لك في محبته ثواب
هو البكاء في المحراب ليلاً ... هو الضحاك إن آن الضراب
هو النبأ العظيم وفلك نوح ... وباب الله وانقطع الجواب[1]

فأعطاه معاوية البدرة وحرم الآخرين .

قلت هذا كلام عمرو والفضل ما شهدت به الأعداء .

وقد أخرج الدارقطني عن مروان بن الحكم أنه قال : (ما كان أحد أدفع عن عثمان من علي ، فقيل له : ما لكم تسبونه على المنابر ؟! قال : إنه لا يستقيم لنا الأمر إلّا بذلك)[2] إنتهى . وسنرى في مواضع متفرقة من هذه الرسالة مما مر بك ، وما يأتي كثيراً من فلتات ألسنتهم من الثناء على علي عليه السلام ، والإعتراف بفضله ، ولكن أبت عليهم أطماعهم وأغراضهم إلّا تمادياً في الغي وتوغلاً في الضلال .

---

(١) القصيدة ليست لعمرو بن العاص ، وإنما للشاعر الشيعي [علي بن عبد الله بن وصيف الناشىء] كان ينشدها في مسجد الكوفة ٣٠٥ هـ راجع معجم الأدباء ج ١٣ ص ٢٩٠ .

(٢) أنساب الأشراف ١٨٤ ، الصواعق المحرقة ٥٥ ، ابن عساكر في ترجمة أمير المؤمنين ج ٣ ص ١٢٧ ، نهج البلاغة ح ١٣ ص ٢٢٠ طبع مصر .

دعوى بعض أنصار معاوية محبة أهل البيت

وإني والله لا أعجب من معاوية وأشياعه في تعنتهم وتوغلهم في المهالك بسبهم علياً وأهل بيتهم ، لأنهم فئة غلف القلوب ، قد حق عليهم ما حق ، وغلب عليهم حب المال والجاه للذين لا ينالونهما إلاّ باقتراف تلك المآثم ، وتنفير الناس عن أهل البيت الطاهر عليهم السلام ، فباعوا دينهم بدنيا واسعة وجاه عريض ، وفرحوا بالحياة الدنيا **﴿وما الحياة في الآخرة إلا متاع الغرور﴾**(١) ولكني أعجب من قوم لا يزالون إلى الآن يتولونهم ، وينصرونهم ، ويعتذرون عن قبائحهم ومساوئهم بالمعاذير المردودة ، وينكرون وقوع ما لم يقدروا على الإعتذار عنه من منكراتهم ، ولم يبق لهم من ذلك المال العريض نقير ولا فتيل ، ومع ذلك يعدون ، وينتحلون ، ويتظاهرون بحب النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته ، وربما اعتقدوا أنهم من أخص الناس بهم ، وأكثرهم اتباعاً لهم ، وسلوكاً لطريقتهم . هذه والله هي التجارة البائرة والصفقة الخاسرة .

تود عدوي ثم تزعم أنني صديقك ليس النوك عنك بعازب

ومن الحكم المأثورة عن الإمام علي عليه السلام : (أصدقاؤك ثلاثة ، وأعداؤك ثلاثة ، فأصدقاؤك : صديقك وصديق صديقك وعدو عدوك ، وأعداؤك : عدوك وعدو صديقك وصديق عدوك)(٢) .

ونقل عنه كرم الله وجهه أنه قال : (لا يجتمع حبي وحب معاوية في قلب مؤمن أبداً) .

وأخرج ابن ماجة عن أبي أمامة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : (من أشر الناس منزلة عند الله يوم

---

(١) سورة الحديد : الآية ٢٠ .

(٢) نهج البلاغة ٦٢٦ . خطبة ٢٩٥ طبع دار الأندلس .

القيامة عبد أذهب آخرته بدنيا غيره)[٣] .

وسئل أبو حازم رحمه الله أي المؤمنين أخسر قال : رجل أخطأ في هوى غيره فباع آخرته بدنيا غيره .

فهل للمغرورين المقلدين أن يرجعوا إلى الحق وينصروه ؟! فإنه خير لهم من الإصرار على الباطل ، وأولى بهم من المكابرة ، ﴿ فإن تولّوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم ﴾[٢] .

حمل معاوية المسلمين على سب علي وهو يعلم مشروعية الإستغفار له

قلت أن مما يفضي بالمؤمن إلى العجب ، ويذهب بالحكيم إلى الإستغراب ، هو محاولة معاوية وتطلبه من المؤمنين عامة أن يلعنوا ، ويسبوا علياً عليه السلام ، وبلوغه الجهد الجهيد في ذلك ، على علمه أن الله سبحانه وتعالى إنما شرع له الإستغفار والحب من المؤمنين عامة ، حيث يقول جل وعلا : ﴿ والذين جاؤوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ﴾[٣] ، وعلي عليه السلام أول السابقين إلى الإيمان ، فالإستغفار له من عموم المؤمنين هو اللاّزم كما في القرآن ، لا السب واللعن كما يرغب ابن أبي سفيان .

على أنه قد ضل بهذه البدعة الشنيعة التي أنبتها معاوية بل أنبت بها النفاق في القلوب خلق كثير ، وأصيب بدائها جم غفير ، فصارت منكراً مألوفاً وعادة معتادة ، حتى أن عمر بن عبد العزيز رحمه الله نودي من جوانب المسجد يوم تركها من الخطبة السنّة سنّة يا أمير

---

(١) كنز العمال ح ٦ ص ٨٢ ح (١٤٩٣٧) وقال أخرجه ابن ماجه عن أبي أمامة .

(٢) سورة المائدة : الآية ٤٩ .

(٣) سورة الحشر : الآية ١٠ .

المؤمنين ! تركت السنة ، وحتى أجمع أهل حمص في زمن ما على أن الجمعة لا تصح بغير لعن أبي تراب عليه السلام ، ولم يكن هذا الدعاء العضال والمنكر المألوف والسنة السيئة الذي أسسه ذلك الطاغية ، واتبعه فيه فراعنة بني أمية مقصوراً على ذوي الشوكة وعامة الناس فقط ، بل سرى سمه إلى كثير ممن يترسم بالعلم والدين ، وجرهم إلى الإنحراف عن علي وأهل بيته عليهم السلام ، ومن تظاهر بشيء من ذلك الإنحراف قيل فيه : أنه صاحب سنة ، ومن أعل حديثاً من أحاديث فضلهم أو راوياً من رواته أو دعى ولو بلا بينة ضعف الحديث أو وضعه قيل : أنه من أنصر الناس للسنة .

لقد رابني من عامر أن عامراً
بعين الرضى يرنو إلى من جفانيا

توثيق المحدثين مروان بن الحكم وعمران بن حطان وحريز بن عثمان

وربما عكس ذلك فيمن أدته قوة إيمانه إلى التصريح ببعض ما علمه مما جاء في فضائل أهل البيت الطاهر عليهم السلام أو مثالب أعدائهم ، فقد عوقب كثير منهم على ذلك العمل المحمود ، وجرح كثير من رواة الحديث بتشيعه فقط ، مع الإقرار بما له من باقي الفضائل . ألا ترى أن من رواة الصحيح غير الذي عدوهم من الصحابة ، واصطلحوا على تعديلهم ، مروان بن الحكم القائل للحسن بن علي (إنكم أهل بيت ملعونون)[1] ، وعمران بن حطان الخارجي ، القائل الأبيات المشهورة ، يثني بها على أشقى الآخرين ابن ملجم ، ويثلب الإمام علي بن أبي طالب[2] ، وحريز بن عثمان

---

(١) مجمع الزوائد ٢٤٣/٥ ، وفي رواية (مهينون) ، تطهير الجنان ص ٢٦ .

(٢) راجع : نور الأبصار ٩٨ ، الإستيعاب ٤٧١/٢ .

الـرحبي الذي نقـل عنه صـاحب التهذيب أنـه كان ينتقص عليـاً وينال منه ، وقال اسمعيـل بن عياش عـادلت حريـز بن عثمان من مصـر إلى مكة فجعل يسب علياً ويلعنه ، وقـال : أيضاً سمعت حـريز بن عثمـان يقول : هذا الـذي يرويـه الناس عن النبي صـلى الله عليه وآلـه وسلم أنه قال لعلي : أنت مني بمنزلة هارون من موسى حق ، ولكن أخطأ السامع .

قلت : فمـا هو ؟ قـال : إنما هـو أنت مني بمنـزلـة قـارون من موسى[1] ، وذكر الأزدي أن حـريز بن عثمـان روى أن النبي صلى الله عليـه وآله وسلم لمـا أراد أن يركب جـاء عـلي بن أبي طـالب فحـل حـزام البغلة ليقع النبي صلى الله عليه وآله وسلم[2] ، وقيل ليحيى بن صالح : لم لا تكتب عن حريز ؟ فقـال : كيف أكتب عن رجل صليت معـه الفجر سبـع سنين فكـان لا يخرج من المسجـد حتى يلعن عليـاً سبعـين مـرة[3]، وقال ابن حبان : كـان يلعن علياً بـالغداة سبعين مـرة وبالعشي سبعين مرة فقيل له في ذلك ، فقال هو القاطع رؤوس آبائي[4] ، وأمثال هؤلاء الـرواة كثيرون ، ولكن هؤلاء الثـلاثة مـروان وعمران وحـريز عنـوان ، ومثال ، لأنهم من رواة صحيح البخـاري الذي قـالوا عنـه : أنه أصـح كتب الحـديث ، وقال الـذهبي في ترجمـة المصعبي : إنه أنصـر أهل زمانه للسنـة[5] ، وأنه وأنـه ، ثم قال : ولكنـه (يضع الحـديث)[6] ، وقال في ترجمة الجوزجـاني أنه من الحفـاظ الثقات ، وكـان يتحامـل على علي وفيه انحراف عنه[9] .

---

(١) تهذيب التهذيب ٢/٢٣٨ - ٢٣٩ رقم (٤٣٦) .

(٢) ن . م . ص ٢٤٠ .

(٣) ن . م . والصفحة .

(٤) نقله عن ابن حبان تهذيب التهذيب ٢/ ٢٤٠ .

(٥) تذكرة الحفاظ ٣/٨٠٣ وفي المصدر (أنه من أصلب أهل زمانه في السنة) .

(٦) ن . م . والصفحة .

(٧) تذكرة الحفاظ ٢/٥٤٩ ، رقم (٥٦٨) مع اختلاف يسير في اللفظ .

أفهؤلاء من الثقات الذين يحتج بهم في دين الله ؟؟!! لا والله ثم لا والله .

جرحهم روايات من تشيع لعلي

ثم انظر ضد هذا مع من يميل إلى علي عليه السلام وأهل بيته ، فأنهم مع ما لهم من الفضل نبزوا بالتشيع ، كجنه كبيرة من الكبائر ، وأوذوا بذلك ، وجرحت عدالتهم ، فقد علمت ما جرى للإمام النسائي رحمه الله حيث جمع خصائص الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، فأنه طولب في جامع دمشق أن يكتب مثلها في معاوية ، فقال لا أعرف فيه إلّا قول النبي صلى الله عليه وسلم : (لا أشبع الله بطنه)[1] فضرب بالنعال ، وعصرت خصيتاه ، ثم مات شهيداً رحمه الله[2] .

وقال الذهبي في ترجمة السقا الواسطي : (بارك الله في سنه وعلمه ، واتفق أنه أملى حديث الطير ، لم تحتمله عقولهم فوثبوا به ، وأقاموه ، وغسلوا موضعه ، فمضى ولزم بيته ولم يحدث أحداً من الواسطيين)[3] .

وذكر أيضاً في ترجمة الحافظ ابن عقدة أنه (مقت لتشيعه)[4] .

وقال : ضرب الحجاج ابن أبي ليلى ليسب علياً[5] .

وقال في ترجمة يحيى بن كثير : أنه (امتحن وضرب وحلق لأنه

---

(١) تهذيب التهذيب ١/ ٣٧ ـ ٣٨ رقم (٦٦) .

(٢) تذكرة الحفاظ ٢/ ٧٠٠ ، رقم (٧١٩) .

(٣) ن . م ، ٣/٩٦٦ رقم (٩٠٦) .

(٤) ن . م ، ٣/٨٣٨ رقم (٨١٨) .

(٥) ن . م ، ١/٥٨ رقم (٤٢) .

كان ينتقص بني أمية)[1] .

وذكر أبو الفرج في خبر خنذف ابن بدر الإسدي أنه وقف بالموسم فقال ـ كما روى عمر بن شبة عنه في خبره ـ (أيها الناس إنكم على غير حق ، قد تركتم أهل بيت نبيكم ، والحق لهم ، وهم الأئمة ، ولم يقل أنه سب أحداً ، فوثب عليه الناس فضربوه ورموه حتى قتلوه)[2] إنتهى .

وقال الذهبي أن عباد بن العوام كان يتشيع فحبسه الرشيد زماناً[3] ولقد صدق الشاعر حيث قال :

إن اليهود بحبها لنبيها   أمنت معرة دهرها الخوان
وذوو الصليب بحب عيسى أصبحوا   يمشون زهواً في قرى نجران
والمؤمنون بحب آل محمد   يرمون في الآفاق بالنيران

جرح بعضهم الإمام الصادق (ع)

وأكبر من هذا كله جرح بعضهم الإمام جعفر الصادق على آبائه وعليه أفضل الصلاة والسلام ، وتسورهم على سمي مقامه[4] .

وإليك بعض ما ذكروا عنه .

قال في تهذيب التهذيب : قال ابن المديني سئل يحيى بن سعيد القطان عن جعفر الصادق فقال : في نفسي منه شيء ، ومجالد

---

(١) ن . م ، ١/١٢٨ رقم (١١٥) وفي المصدر (لكونه انتقص بني أمية) وهو يحيى بن أبي كثير .

(٢) الأغاني ١٢/٤٣٤٠ ترجمة خنذف ، طبعة دار الشعب ونقل ذلك تهذيب التهذيب ٢/١٠٤ .

(٣) تذكرة الحفاظ ١/٢٦٢ رقم (٢٤٨) عن ابن سعد .

(٤) تهذيب التهذيب ٢/١٠٣ رقم (١٥٦) .

أحب إليه منه ! قال سعيد بن أبي مريم : قيل لأبي بكر بن عياش مالك لم تسمع من جعفر وقد أدركته ، قال : سألته عما يحدث به من الأحاديث أشيء سمعته ؟ قال : لا ولكنها رواية رويناها عن آبائنا .

وقال ابن سعد : كان جعفر كثير الحديث ، ولا يحتج به ، ويستضعف ، سئل مرة : هل سمعت هذه الأحاديث عن أبيك ؟ قال : نعم ، وسئل مرة ، فقال : إنما وجدتها في كتبه .

قال الحافظ بن حجر يحتمل أن يكون السؤالان وقعا عن أحاديث مختلفة ، فذكر فيما سمعه أنه سمعه ، وفيما لم يسمعه ، أنه وجده وهذا يدل على تثبته[1] إنتهى .

قلت أحتج الستة في صحاحهم بجعفر الصادق إلّا البخاري ، فكأنه اغتر بما بلغه عن ابن سعد وابن عياش وابن القطان في حقه ، على أنه احتج بمن قدمنا ذكرهم ، وهنا يتحير العاقل ، ولا يدري بماذا يعتذر البخاري رحمه الله ، وقد قيل في هذا المعنى شعراً :

قضية أشبه بالمرزئة	هذا البخاري إمام الفئة
بالصادق الصديق ما أحج في	صحيحه واحتج بالمرجئة
ومثل عمران ابن حطان أو	مروان وابن المرأة المخطئة
مشكلة ذات عوار إلى	حيرة أرباب النهى ملجئة
وحق بيت يممته الورى	مغذة في السير أو مبطئة
إن الإمام الصادق المجتبى	بفضله الآي أتت منبئه
أجل من في عصره رتبة	لم يقترف في عمره سيئة
قلامة من ظفر إبهامه	تعدل من مثل البخاري مئة

وقد انجرَّ بنا الكلام ، وطال ، ولكنه يعلم منه ما أصاب أهل

(١) تهذيب التهذيب ٢/١٠٣ ـ ١٠٤ ، رقم (١٥٦) .

البيت النبوي وشيعتهم ، بما أساسه وأصله معاوية الطاغية ، وما بثه ونشره وأيده بقوة السيف من سب علي وأهل بيته وانتقاصهم ووبال ذلك كله عائد عليه في الآخرة ﴿ **يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أبداً بعيداً** ﴾[1] .

جاء في صحيح مسلم من حديث جرير بن عبد الله : (من سن في الإسلام سنة حسنة كان أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة)[2] .

وأخرج ابن ماجة عن أنس وصححه : (إيما داع دعا إلى ضلالة فاتبع فإن عليه مثل أوزار من تبعه ، ولا ينقص من أوزارهم شيئاً ، وأيما داع دعا إلى الهدى فاتبع فإن له مثل أجور من اتبعه ولا ينقص من أجورهم شيئاً)[3] .

استخفافه بمقام النبي (ص)

ومن بوائقه العظيمة استخفافه بمقام النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبأحكامه وبوصاياه بأهل بيته وأنصاره ، وسنذكر لك طرفاً من محدثاته ، يدلك على أنه غير مبال بأحكام الله ولا بشريعته ، وإن كانت كل أحواله دالة على ذلك ، ولولا وجود من ينكر ذلك لاستهتر فيه وخلع العذار .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في كتاب الصارم المسلول في كفر شاتم الرسول : (روى ابن وهب قال : أخبرني سفيان بن عيينة عن

(١) سورة آل عمران : الآية ٣٠ .
(٢) مسلم ٢٢٨/٥ باب (من سنّ سنة . .) ح ١٠١٧ .
(٣) سنن ابن ماجه ٧٥/١ ح (٢٠٥) ، باب (من سنّ سنة . .) .

عمر بن سعيد أخي سفيان بن سعيد الثوري عن أبيه عن عباية ، قال : ذكر قتل ابن الأشرف عند معاوية فقال : بنيامين النضري كان قتله غدراً ، فقال محمد بن مسلمة الأنصاري : أيغدر عندك يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ثم لا تنكروا والله لا يظلني وإياك سقف بيت أبداً ، ولا يخلو لي دم هذا إلاّ قتلته)[1] إنتهى .

معارضته السنة النبوية برأيه

وروى مالك رحمه الله في الموطأ عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار : (أن معاوية ابن أبي سفيان باع سقاية من ذهب أو ورق بأكثر من وزنها ، فقال له أبو الدرداء : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ينهى عن مثل هذا إلاّ مثلاً بمثل ، فقال معاوية : ما أرى بمثل هذا بأساً فقال أبو الدرداء : من يعذرني من معاوية ؟ أنا أخبره عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ويخبرني عن رأيه لا أساكنك بأرض أنت بها ، ثم قدم أبو الدرداء على عمر بن الخطاب فذكر له ذلك ، فكتب عمر بن الخطاب إلى معاوية أن لا يبيع مثل ذلك إلاّ مثلاً بمثل ووزناً بوزن)[2] .

قال الملا علي القاري في شرح الموطأ رواية الإمام محمد عند قوله ما نرى به بأساً ، هو ما صدر عنه عن تكبر وعناد أو عن اجتهاد ، وقد أخطأ فيه ، لكن كان يجب عليه حينئذ أن يرجع بعد سماع الحديث ، ولا سيما وهو موثوق به بلا خلاف . إنتهى .

قلت كيف يسوغ الإجتهاد بعد سماع النص الصريح الصحيح ؟

---

(١) الصارم المسلول ٩٠ تحقيق محي الدين عبد الحميد ، نشر مكتبة تاج بطنطا .

(٢) الموطأ ص ٤٧٦ ح (١٣٣٧) تحقيق سعيد محمد اللحام ، طبع دار إحياء العلوم . سنن النسائي ٢٩٧/٧ ، سنن البيهقي ٢٨٠/٥ .

فلم يكن قوله ذلك إلاّ عناداً وتكبراً وإعجاباً برأيه[1] والله أعلم . وذكر ابن عبد البر في قول أبي الدرداء لا أساكنك بأرض أنت بها (كان ذلك منه أنفة أن يرد عليه سنة علمها من سنن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم برأيه وصدور العلماء تضيق عند مشاهدة مثل ذلك، وهو عندهم عظيم) .

قلت قد ذكر أهل الحديث ، أن هذه القصة محفوظة لمعاوية مع عبادة بن الصامت رضي الله عنه[2] قال الزرقاني (والإسناد صحيح وأن لم يروا من وجه آخر فهو من الأفراد الصحيحة .

قال أبو عمر الطرق متواترة بذلك عنهما ، وقد رواهما النسائي قال : والجمع ممكن ، بأنه عرض له ذلك مع عبادة وأبي الدرداء)[3] .

قلت : وسياق الحديثين يدل على التعدد ، فإنهم قالوا في حديث عبادة بن الصامت أنه غزا مع معاوية أرض الروم ، فنظر إلى الناس ، وهم يتبايعون كسر الذهب بالدنانير وكسر الفضة بالدراهم ، فقال يا أيها الناس أنكم تأكلون الربا ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : لا تبتاعوا الذهب بالذهب ، إلاّ مثلاً بمثل ، لا زيادة بينهما ، ولا نظرة فقال له معاوية : يا أبا الوليد ، لا أرى الربا في هذا ، إلاّ ما كان عن نظرة ، فقال عبادة : أحدثك عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتحدثني عن رأيك ،! لئني أخرجني الله سبحانه لا أساكنك بأرض ، لك فيها إمرة . فلما قفل لحق بالمدينة ، فقال له عمر بن الخطاب رضي الله عنه : ما أقدمك يا أبا الوليد ؟ فقص عليه القصة ، وما قال من مساكنته ، فقال : إرجع يا أبا الوليد

(١) سنن البيهقي ٥/٢٧٧ .

(٢،٣) شرح الأرقاني ٣/٢٧٩ (الحاشية) طبع المكتبة التجارية سنة ١٣٧٩ .

إلى أرضك ، فقبح الله أرضاً ليس فيها أمثالك ، وكتب إلى معاوية لا إمرة لك عليه ، وأحلل الناس على ما قال فإنه هو الأمين)[١] .

ومن معارضاته السنة برأيه قوله في زكاة الفطر إني أرى أن مدين من سمراء الشام يعدل صاعاً من تمر . أنكر ذلك عليه أبو سعيد الخدري وقال : تلك قيمة معاوية لا أقبلها .

روى الستة عن أبي سعيد : (كنا نخرج إذ كان فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطرة عن كل صغير وكبير ، حرٍّ أو مملوكٍ ، صاعاً من طعام أو صاعاً من إقط أو صاعاً من شعير أو صاعاً من تمر أو صاعاً من زبيب ، فلم نزل نخرجه حتى قدم علينا معاوية بن أبي سفيان حاجاً أو معتمراً فكلم الناس على المنبر ، فكان فيما كلم به الناس أن قال : أني أرى مُدَّين من سمراء الشام ، تعدل صاعاً من تمر)[٢] الحديث . وفيه قال أبو سعيد : (أما أنا فإني لا أزال أخرجه ابداً ما عشت)[٣] ، ولما بلغ ابن الزبير رأي معاوية قال : (بئس الإسم الفسوق بعد الإيمان ، صدقة الفطر صاع صاع) .

ومنها : تقبيله لليمانيين ، وقد أنكر ذلك عليه ابن عباس لخلافة السنة[٤] .

ومنها منعه الناس جبراً عن أن يأتوا بمتعة الحج ، وهو مذهب

---

(١) سنن ابن ماجه ١/٨ ح (١٨) ، أسد الغابة ٣/٢١٠٦ ،تاريخ ابن عساكر ٧/٢١٢ ، سنن النسائي ٧/٢٧٧ ، سنن البيهقي ٥/٢٧٨ .

(٢) صحيح مسلم ٢/٦٧٨ ح ١٨ - (٩٨٥) اباب : زكاة الفطر عن المسلمين من التمر والشعير ، سنن أبو داود ٢/٢٦٧ ح (١٦١٦) .

(٣) صحيح مسلم ٢/٦٧٨ وفيه (فأما أنا فلا أزال أخرجه كما كنت أخرجه أبداً ما عشت) وفي لفظ آخر (أما أنا فلا أزال أخرجه كذلك) .

(٤) البخاري ٢/٥٨٢ باب ٥٨ (من لم يستلم إلاّ الركنين اليمانيين) . المغنى لإبن قدامة ٣/٣٨٠ والبدعة : إستلام الركنين وليس تقبيلهما كما جاء في الأصل .

ـبي وأكابر الصحابة[1] .

روى الترمذي في جامعه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : (تمتع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأبو بكر وعمر وعثمان وأول من نهى عنه معاوية)[2] ، إنتهى .

وأخرج أبو داود وأحمد والنسائي وابن عساكر عن خالد بن معدان قال : وفد المقدام ابن معدي كرب وعمر بن الأسود ورجل من بني أسد من أهل قنسرين إلى معاوية ، فقال معاوية للمقدام : أعلمت أن الحسن بن علي توفي ، فرجع المقدام، فقال له : يا فلان أتعدّها مصيبة ؟ فقال : لم لا أراها مصيبة وقد وضعه رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجره ، فقال : هذا مني وحسين من علي ، فقال الأسدي : جمرة أطفأها الله ، فقال المقدام : أما أنا فلا أبرح اليوم حتى أغيظك ، فأسمعك ما تكره ، ثم قال يا معاوية : إن أنا صدقت فصدقني ، وإن أنا كذبت فكذبني ، قال أفعل ، قال : أنشدك الله ، هل سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ينهي عن لبس الحرير ؟ قال : نعم ، قال : فأنشدك الله هل سمعت أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نهى عن لبس جلود السباع والركوب عليها ؟ قال : نعم ، قال : فوالله لقد رأيت هذا كله في بيتك يا معاوية . فقال معاوية : قد علمت أني لن أنجو منك يا مقدام[3] .

وأخرج ابن عساكر والحسن بن سفيان وابن مندة عن محمد بن

---

(١) الترمذي ٣/١٨٥ ح (٨٢٤) .

(٢) ن . م . والصفحة ح (٨٢٢) وأخرجه النسائي ، كتاب ٢٤ باب ٥٠ .

(٣) سنن أبي داود ٤/٣٧٢ ح (٤١٣١) باب (في جلود النمور) أعداد عزت عبيد الله عياش طبع دار الحديث . النسائي ـ مختصراً ـ ح (٤٢٥٩) باب (النهي عن الإنتفاع بجلود السباع) .

كعب القرظي قال : (غزا عبد الرحمن بن سهل الأنصاري في زمن عثمان ومعاوية أمير على الشام فمرت به روايا خمر ـ لمن هي ؟ لمعاوية كما يدل عليه السياق وصرح به البعض ـ تحمل ، فقام إليها عبد الرحمن برمحه فبقر كل راوية منها ، فناوشه غلمانه حتى بلغ شأنه معاوية ، فقال : دعوه فإنه شيخ قد ذهب عقله ، فقال : كذب والله ، ما ذهب عقلي ، ولكن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نهانا أن ندخله بطوننا ، واسفيتنا ، وأحلف بالله لئن بقيت حتى أرى في معاوية ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأبقرن بطنه أو لأموتن دونه)[1] .

ومن أعظم ما يدل على استخفافه بالنبي عليه وآله الصلاة والسلام ما جاء في مسلم : أن النبي دعاه أولاً وثانياً وهو يأكل ولم يجب ، حتى صلى الله عليه وآله وسلم دعا عليه بقوله لا أشبع الله بطنه[2] .

شهادة المغيرة على معاوية بالكفر

وأخرج الزبير بن بكار في الموفقيات عن المطرف بن المغيرة بن شعبة قال : دخلت مع أبي على معاوية ، فكان أبي يأتيه فيتحدث معه ، ثم ينصرف إلي ، ويذكر معاوية وعقله ويعجب بما يرى منه ، إذ جاء ذات ليلة فأمسك عن العشاء ، ورأيته مغتماً فانتظرته ساعة ، وظننت أنه لأمر حدث فينا ، فقلت : ما لي أراك مغتماً منذ الليلة ؟ فقال : يا بني جئت من عند أكفر الناس وأخبثهم ، قلت : وما ذاك ؟

---

(١) الإستيعاب ٨٣٦/٣ رقم (١٤٢٤) ، أسد الغابة ٢٩٨/٣ إلى (وأسقيتنا) ، الإصابة ٤٠١/١ .

(٢) صحيح مسلم ١٧٢/٥ ح (٢٦٠٤) ،مسند أبي الداود الطيالسي ٣٥٩/١١ .

قال : قلت له وقد خلوت به أنك قد بلغت سناً يا أمير المؤمنين ، فلو أظهرت عدلاً ، وبسطت خيراً ، فقد كبرت ، ولو نظرت إلى أخوتك من بني هاشم فوصلت أرحامهم ، فوالله ما عندهم اليوم شيء تخافه ، وأن ذلك مما يبقى لك ذكره وثوابه ، فقال : هيهات هيهات ! أي ذكر أرجو بقاءه ملك أخوتيم ،فعدل وفعل ما فعل ، فما عدا أن هلك ، حتى هلك ذكره ، إلاّ أن يقول قائل أبو بكر . ثم ملك أخو عدي ، فاجتهد وشمر عشر سنين ، فما عدا أن هلك حتى هلك ذكره ، إلاّ أن يقول قائل عمر وأن ابن أبي كبشة ليصاح به كل يوم خمس مرات أشهد أن محمداً رسول الله ، فأي عمل يبقى ؟ وأي ذكر يدوم بعد هذا ؟ لا أبا لك لا والله إلاّ دفنا دفناً[1] إنتهى .

قلت : الزبير بن بكار هذا هو قاضي مكة ، وهو مشهور في المحدثين ومن رواة الصحيح ، وهو غير متهم على معاوية لعدالته وفضله ، مع أن في الزبير بين كما علمت بعض انحراف عن علي كرم الله وجهه ، لما عرف من الأسباب ، ألا ترى أن عبد الله ابن الزبير على نسكه وعبادته ، كان منحرفاً عن علي وأهل بيته ، فقد روى عمر بن شبة وابن الكلبي والواقدي وغيرهم من رواة السير أنه مكث أيام ادعائه الخلافة أربعين جمعة ، لا يصلي فيهما على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وقال : لا يمنعني من ذكره ، إلاّ أن تشمخ رجال بآنافها إنتهى[2] .

---

(١) أخبار الموقعيات ، ص ٥٧٦/٥٧٧ . تحقيق سامي مكي المعاني ، مطبعة المعاني - بغداد .

(٢) ن . م .

التسليم على معاوية بالرسالة وسكوته عن ذلك

ومما يدل على استخفاف معاوية بمقام النبوة ما نقله أبو جعفر الطبري بسنده قال : (حدثني عبد الله بن أحمد قال : حدثني أبي قال : حدثني سليمان قال : قرأت على عبد الله عن فليح قال أخبرت أن عمرو بن العاص وفد إلى معاوية ومعه أهل مصر ، فقال لهم عمرو : وانظروا إذا دخلتم على ابن هند ، فلا تسلموا عليه بالخلافة ، فإنه أعظم لكم في عينه ، وصغروه ما استطعتم ، فلما قدموا عليه قال معاوية لحجابه : كأني أعرف ابن النابغة ، وقد صغر أمري عند القوم ، فانظروا إذا أدخل الوفد فتعتعوهم أشد تعتعة تقدرون عليها ، فلا يبلغني رجل منهم إلاّ وقد همت نفسه بالتلف ، فكان أول من دخل عليه رجل من أهل مصر يقال له ابن الخياط ، وقد تعتع ، فقال : السلام عليك يا رسول الله ، وتتابع القوم على ذلك ، فلما خرجوا ، قال لهم عمرو : لعنكم الله ، نهيتكم أن تسلموا عليه بالإمارة ، فسلمتم عليه بالنبوة)(١) إنتهى .

فانظر كيف لم ينكر عليهم معاوية تسليمهم عليه بالرسالة ، وأقرهم على هذا الفعل الفظيع حباً في التعاظم ، واستخفافاً بالرسول ومقامه ، ومنه تعلم : أن معاوية وعمرواً لا دين لهما ، كما أخبر الصادق الخبير علي عليه السلام ، وأن كلا منهما غادر ، كما جاء عن الصادق المصدق صلى الله عليه وآله وسلم ، فقد أخرج الطبراني في الكبير وابن عساكر عن شداد بن أوس رضي الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : (إذا رأيتم معاوية وعمرو بن العاص جميعاً ففرقوا بينهما ، فوالله ما اجتمعا إلاّ على غدر(٢) إنتهى .

---

(١) الطبري ٥/٣٣٠ ـ ٣٣١ .

(٢) مجمع الزوائد ٤٧/٧ وقال : (أخرجه الطبراني) ، كنز العمال ٨٨/٦ الطبعة حيدر آباد وقال : (أخرجا ابن عساكر) .

وأخرج الإمام أحمد في مسنده وأبو يعلى كلاهما عن أبي برزة رضي الله عنه قال : (كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم فسمع صوت غناء ، فقال : أنظروا ما هذا ؟ فصعدت فإذا معاوية وعمرو بن العاص يتغنيان فجئت فأخبرت النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: أللهم اركسهما في الفتنة ركساً ودعهما في النار دعا)[١] وأخرجه الطبراني في الكبير عن ابن عباس رضي الله عنهما بمثل هذا[٢] .

استخفاف معاوية بالأنصار

وروى ابن عبد البر (أن معاوية لما قدم المدينة لقيه أبو قتادة الأنصاري ، فقال له معاوية : تلقاني الناس كلهم غيركم يا معشر الأنصار (والأنصار يقولون عند الطمع) فما منعكم ؟ قال : لم تكن عندنا دواب ، قال : معاوية فأين النواضح ؟ (يعرض معاوية بالأنصار أنهم أكارون تحقيراً لهم) قال أبو قتادة : عقرناها يوم بدر ، قال : نعم يا أبا قتادة ، قال أبو قتادة : إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لنا : إنكم سترون بعدي أثرة ، قال معاوية : فما أمركم بعد ذلك ؟ قال : أمرنا بالصبر قال : فاصبروا حتى تلقوه)[٣] إنتهى .

قال في الكشاف للزمخشري وفي الإسعاف وغيرهما ، أن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت قال : في ذلك أبياتاً منها :

ألا أبلغ معاوية بن حرب	أمير الظالمين نثا كلامي
معاوية بن هند وابن صخر	لحاك الله من مرء حرامي
تجشمنا بأمرتك المنايا	وقد درج الكرام بنو الكرام

---

(١) ميزان الإعتدال : ج ٣ ص ٣١١ .

(٢) مجمع الزوائد ١٢١/٨ وقال : (رواه الطبراني) .

(٣) الإستيعاب على هامش الإصابة ٤٠١/٣ .

أمير المؤمنين أبو حسين مفلق رأس جدك بالحسام
وإنا صابرون ومنتظروكم إلى يوم التغابن والخصام[1]

قلت: يشم من لم يصبه زكام التعصب من كلام معاوية تهكمه بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم، واستخفافه بوصاياه بالأنصار، نعوذ بالله من الخذلان ، وبغض معاوية للأنصار ، ومعاكسته لمصالحهم أمر مشهور ، تشهد به كتب السير والتأريخ ، لا يحتاج إلى تجشم الإستدلال عليه ، وقد قال عليه وآله الصلاة والسلام استوصوا بالأنصار خيراً ، وقال أيضاً : حب الأنصار إيمان ، ويغضهم نفاق ، وفي صحيح البخاري لا يحبهم إلاّ مؤمن ، ولا يبغضهم إلاّ منافق .

وفي كتاب المعمرين لأبي حاتم السجستاني من أثناء محاورة ذكرها لمعاوية مع المعمر أمد بن أبد الحضرمي قال : (قال معاوية : أرأيت هاشماً ؟ قال : نعم والله طوالاً حسن الوجه ، يقال : أن بين عينيه بركة ، قال : فهل رأيت أمية ؟ قال : نعم ، رأيته رجلاً قصيراً أعمى ، يقال : إن في وجهه لشراً أو شؤماً قال : أفرأيت محمداً ؟ قال : ومن محمد ؟ قال : رسول الله قال : أفلا فخمته كما فخمه الله فقلت رسول الله)[2] إنتهى .

تطيب معاوية أيام الحج

وكان معاوية يتطيب وهو محرم ، لا يبالي بنهي الله ورسوله عن ذلك ، فقد روى ابن المبارك بسند قوي من أثر طويل : أن معاوية قدم على عمر بن الخطاب مع جماعة فخرج معه إلى الحج ، ثم لما

---

(١) التفسير ٥٢٦/٤ ، قسم تنزيل الآيات على الشواهد من الأبيات ، محب الدين أفندي .
(٢) المعمرون والوصايا ص (١٠٩) تحقيق عبد المنعم عامر ، طبع عيسى البحاري .

وصلا إلى ذي طوى ، أخرج معاوية حلة ، ريحها طيب ، فنقم عليه عمر ، وقال : يخرج أحدكم حاجاً نقلاً ، حتى إذا جاء أعظم بلدان الله حرمة ، أخرج ثوبيه كأنهما كانا في الطيب ، فلبسهما ، فقال له معاوية : إنما لبستهما لأدخل بهما على عشيرتي[1] .

وقال في الفائق : (كان عمر رضي الله عنه بمكة ، فوجد طيب ريح ، فقال من قشبنا ؟ فقال معاوية : يا أمير المؤمنين دخلت على أم حبيبة ، فطيبتني ، وكستني هذه الحلة ، فقال عمر : إن أخا الحاج الأشعث الأدفر الأشعر)[2] إنتهى . ثم قال : (القشب الإصابة بما يكره ، ويستقذر) ، (والذي استخبث به عمر تلك الرائحة الموجودة من معاوية بن أبي سفيان ، حتى سمى إصابتها قشباً ، مخالفته السنة وتطيبه وهو محرم)[3] إنتهى .

ثم أن لمعاوية محدثات في الإسلام ومبتدعات في الدين ومخالفات للشرع كثيرة .

فمن أولياته التي لم يسبق إليها ثم صارت بعده سنناً متبعة : أنه أول من جعل إبنه ولي عهده .

ومنها أنه أول من عهد وهو صحيح بالخلافة بعده ، وهو أول من اتخذ المقاصير في الجوامع ، وأول من قتل مسلماً صبراً ، وأول من أقام على رأسه حرساً ، وأول الملوك ، وأول شرارمم ، وأول من اتخذ الخصيان لخاص خدمته ، وأول من قيدت بين يديه الجنائب ، وأول من أسقط الحد عمن يستحق إقامة الحد عليه[4] .

---

(١) تطهير الجنان واللسان ١٧ .

(٢) الفائق ٣٤٩/٢ .

(٣) ن . م . والصفحة .

(٤) الوسائل إلى معرفة الأوائل للسيوطي ١٠٢ .

قال الشعبي : (أول من خطب الناس قاعداً معاوية ، وذلك حين كثر شحمه وعظم بطنه)[1] .

قال الزهري : (أول من أحدث الخطبة قبل الصلاة في العيد معاوية)[2] .

وقال سعيد بن المسيب : (أول من أحدث الأذان في العيد معاوية)[3] .

وهو أول من ترك الجهر بالتسمية في الصلاة بالمدينة حتى أنكر عليه المهاجرون والأنصار ، وقالوا : أسرقت التسمية يا معاوية ؟ .

ومن فعلاته المنكرة : إهانته لأبي ذر الغفاري ، وجبهه ، وشتمه، وإشخاصه إلى المدينة على قتب يابس بغير وطاء، وطاف معه خمسة من الصقالبة ، يطيرون به ، حتى أتوا به المدينة قد أنهكه التعب ، وأتعبته مواصلة الطرد قد تسلخت بواطن أفخاذه ، وكاد أن يتلفت ، فقيل له : إنك تموت من ذلك فقال : هيهات لن أموت حتى أنفى .

ومن جرائره :

لبسه الحرير ، واستعماله آنية الذهب والفضة ، وقوله بعد سماع النهي في ذلك : ما أرى بهذا بأساً ، وضربه من لا حدّ عليه من المسلمين وحكمه برأيه في الرعية وفي دين الله ، وتطريقه لبني أمية الوثوب على مقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعلى خلافته فاجراً بعد فاجر، حتى أفضت إلى يزيد ابن عبد الملك صاحب سلامة

(١) ن . م . والصفحة .

(٢) ن . م . والصفحة وفيه (قال الزهري : أول من بدأ الخطابة قبل الصلاة معاوية) .

(٣) ن . م . ٢٥ وفيه (والعيدين) .

وحبابه ، وإلى الوليد بن يزيد الزنديق رامي المصحف بالسهام والقائل في شعره :

إذا ما جئت ربك يوم حشر فقل يا رب مزقني الوليد
فقل لله يمنعني شرابي وقل لله يمنعني طعامي[1]

إلى غير ذلك من أقواله المكفرة والعياذ بالله تعالى .

وبالجملة : فبدع معاوية ومحدثاته ومخالفاته كثيرة ، لا سبيل إلى استقصائها ، وقد ذكر أهل السير والتأريخ منها شيئاً كثيراً قال عليه وعلى آله الصلاة والسلام : (شر الأمور محدثاتها ، وكل محدث بدعة ، وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار)[2] .

من بوائقه استئثاره بأموال المسلمين

ومن بوائقه المهلكة استئثاره بأموال المسلمين ، وأكلها بالباطل ، وصرفها كما يشاء لا كما يجب عليه ، ومنعها مستحقيها من المسلمين ، وإيثاره بها أعوانه وقراباته الذين لا استحقاق لهم ، ولا سابقة في الدين ، وقد قال تعالى ﴿ **ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام** ﴾[3] .

وأخرج الطبراني وحسنه عن عمرو بن شغوي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (سبعة لعنتهم ، وكل نبي مجاب)[4] عد منهم المستأثر بالفيء والمتجبر بسلطانه ليعز من أذل

(١) مروج الذهب : ج ٣ / ٢٤٩ .
(٢) سنن ابن ماجة ١٦/١ ح (٤٣) .
(٣) سورة البقرة : الآية ١٨٨ .
(٤) كنز العمال ٩٠/١٦ ح (٤٤٠٣٨) وقال أخرجه (الطبراني عن عمرو بن شعيب) .

الله ويذل من أعز الله (١) .

وأخرج الديلمي في مسند الفردوس عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من لم يبال من أين اكتسب المال لم يبال الله به من أين أدخله النار)(٢) .

وأخرج أبو داود من رواية القاسم بن مخيمرة مرسلاً قال : (قال عليه وآله الصلاة والسلام : من أصاب مالاً من مأثم ووصل به رحماً أو تصدق به أو أنفقه في سبيل الله ، جمع الله ذلك جميعاً ثم قذف به في النار)(٣) .

قلت : هذا الوعيد الشديد وكثير غيره ، وارد على من أكل أو استأثر من مال المسلمين بشيء من غير استحلال ، أما معاوية فمع أكله الأموال ، فقد استحلها وما أدراك ما عقوبة مستحل ما حرم الله ، إنه والله سيندم أشد الندامة ﴿ ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة ﴾(٤) .

قال المسعودي رحمه الله : حدثنا أبو الهيثم قال : (حدثني أبو البشر محمد بن بشر الفزاري عن إبراهيم بن عقيل البصري ، قال : قال معاوية يوماً وعنده صعصعة بن صوحان ، وكان قدم عليه بكتاب من علي عليه السلام ، وعنده وجوه الناس : الأرض لله ، وأنا خليفة الله ، فما أخذت من مال الله فهو لي ، وما تركته كان جائزاً لي ، فقال له صعصعة :

---

(١) نفس المصدر والصفحة .

(٢) كنز العمال ٤/١٦ ح (٩٢٧١) وقال أخرجه (الديلمي عن ابن عمر) .

(٣) كنز العمال ٤/١٥ ح (٩٢٦٥) وقال أخرجه (ابن المبارك وابن عساكر عن القاسم بن مخيمرة رسلاً) .

(٤) سورة آل عمران : الآية ١٦١ .

ك نفسك ما لا يكون جهلاً معاوي لا تأثم[1]

وذكر ابن حجر : (أنه جاء بسندٍ رجاله ثقات ، أن معاوية خطب يوم جمعة فقال : إنما المال مالنا ، والفيء فيئنا ، فمن شئنا أعطيناه ، ومن شئنا منعناه ، في كلام طويل)[2] .

وأخرج ابن عبد البر في الإستيعاب قال : (حدثنا أحمد بن أبي عبد الله ، حدثنا بقى (كذا) ، حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، حدثنا ابن علية عن هشام عن الحسن البصري ، قال : كتب زياد إلى الحكم بن عمرو الغفاري ، وهو على خراسان ، إن أمير المؤمنين كتب إلي ، أن تصفى له البيضاء والصفراء ، فلا تقسم بين الناس ذهباً ولا فضة .

فكتب إليه الحكم : بلغني أن أمير المؤمنين كتب أن تصفى له البيضاء والصفراء ، وأني وجدت كتاب الله قبل كتاب أمير المؤمنين ، وأنه والله لو أن السموات والأرض كانتا رتقاً على عبد ، ثم اتقى الله ، جعل له مخرجاً ، والسلام عليكم .

ثم قال للناس : اغدوا على مالكم فقسمه بينهم ، وقال الحكم : أللهم إن كان عندك لي خير فاقبضني إليك ، فمات بخراسان بمرو ، واستخلف لما حضرته الوفاة أنس بن أبي أناس)[3] .

قال : (وروى يزيد بن هارون قال : حدثنا هشام بن حسان عن الحسن قال : بعث زياد الحكم بن عمرو الغفاري على خراسان ،

---

(١) مروج الذهب ٣/٥٢ .

(٢) تطهير الجنان واللسان ٢٧ .

(٣) الإستيعاب ١/٣٥٧ رقم (٥٢٥) وفي المصدر يُصطفى) بدل (تصفّى) .

فأصاب مغنماً ، فكتب إليه زياد : إن أمير المؤمنين معاوية كتب إلي ، وأمرني أن أصفي له كل بيضاء وصفراء ، فإذا أتاك كتابي هذا ، فأنظر ما كان من ذهب وفضة ، فلا تقسمه ، واقسم ما سوى ذلك ! فكتب إليه الحكم : كتبت إلي ، تذكر أن أمير المؤمنين كتب إليك ، يأمرك أن تصطفي له كل بيضاء وصفراء ، وأني وجدت كتاب الله)[1] فذكر الحديث إلى أخوه سواء انتهى .

وإذا كان خادم النبي عليه وآله الصلاة والسلام خاصة ومولاه وصاحبه استحق الجر إلى النار بسبب عباءة غلها من الغنيمة كما في صحيح البخاري وغيره[2] ، امتنع النبي عليه وآله الصلاة والسلام من الصلاة على أحد المجاهدين معه ، لأخذه خرزاً من خرز يهود لا يساوي درهمين كما رواه مالك والنسائي وأحمد وأبو داود وابن ماجة[3] ، وكانت الشملة التي غلها من المغنم أحد عبيده عليه السلام تلتهب عليه ناراً كما في البخاري[4] ، وقال : للذي أخذ شراكاً أو شراكين من خيبر شراك أو شراكان من نار كما في الصحيحين[5] ، بل أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه بنطع من الغنيمة ليستظل به من الشمس ، فقال : اتحبون أن يستظل نبيكم بظل من نار يوم القيامة ؟ كما رواه الطبراني في الأوسط فما بالك بعقوبة من استأثر بذهب المغنم وفضته . واصطفاه لنفسه ؟! غير مبال ولا متهيب ، فليتأول ذلك لمعاوية وأنصاره بما شاءوا ، وليحلوا له كثير ما حرم

---

(١) الإستيعاب ١/٣٨٥ ، رقم (٥٢٥) ، وفي المصدر : (اصطفىٰ) بدل (أصفي) و(كل صفراء وبيضاء) بدل (كل بيضاء وصفراء) . الطبري ٥/٢٥١ ـ ٢٥٢ ـ مختصراً ـ .

(٢) البخاري ٣/١١١٩ ح (٢٩٠٩) .

(٣) موطأ مالك ٣٤٢ ح (٩٩٥) ، ابن ماجه ٢/٩٥٠ ، ح (٢٨٤٨) ، النسائي ٩/١٠١ .

(٤) البخاري ٤/١٥٤٧ ح (٣٩٩٣) .

(٥) البخاري ٦/٢٤٦٦ ح (٦٣٢٩) ، مسلم ١/١٤٨ ح ١٨٣ ـ (١١٥) .

الله ، قليله على رسوله وأصحابه ومواليه ، بما يوحي به إليهم شيطان التعصب والهوى ، أجارنا الله تعالى وأعاذنا مما ابتلاهم به آمين .

وسأذكر هنا واقعة لشعبة بن غريض بن عاديا رضي الله عنه مع معاوية شافهه فيها بتساهله في تبذيره الأموال لأصحابه ، خاصة ، ولم ينكر ذلك معاوية بل صدقه .

قال أبو الفرج الأصبهاني في كتاب الأغاني أخبرني (أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال : حدثني عمر بن شبة قال : حدثني أحمد بن معاوية عن الهيثم بن عدي قال : حج معاوية حجتين في خلافته ، وكانت له ثلاثون بغلة يحج عليها نساؤه وجواريه قال : فحج في إحديهما فرأى شخصاً يصلي في المسجد الحرام عليه ثوبان أبيضان ، فقال : من هذا ؟ قالوا : شعبة بن غريض ، وكان من اليهود ، فأرسل إليه يدعوه فأتاه رسوله ، فقال : أجب أمير المؤمنين ، قال : أوليس قد مات أمير المؤمنين ؟ قيل : فأجب معاوية ، فأتاه فلم يسلم عليه بالخلافة ، فقال له معاوية : ما فعلت أرضك التي بتيماء ؟ قال : يكسى منها العاري ، ويرد فضلها على الجار ، قال : أفتبيعها ؟ قال : نعم ، قال : بكم ؟ قال : بستين ألف دينار ، ولولا خلة أصابت الحي ، لم أبعها ، قال : لقد أغليت ! قال : أما لو كانت لبعض أصحابها لأخذتها بستماية ألف دينار ، قال : أجل ، وإذا بخلت بأرضك فأنشدني شعر أبيك يرثي نفسه ، فقال قال أبي :

يا ليت شعري حين أندب هالكا	ماذا تؤبنني به أنواحي
أيقلن لا يبعد فرب كريهة	فرجتها ببشارة وسماح
ولقد ضربت بفضل مالي حقه	عند الشتاء وهبة الأرواح
ولقد أخذت الحق غير مخاصم	ولقد رددت الحق غير ملاحي
وإذا دعيت لصعبة سهلتها	ادعى بأفلح مرة ونجاح

فقال أنا كنت بهذا الشعر أولى من أبيك ، قال : كذبت ولؤمت ، قال : أما كذبت فنعم ، وأما لؤمت فلِمَ ؟ قال : لأنك كنت ميت الحق في الجاهلية وميته في الإسلام ، أما في الجاهلية ، فقاتلت النبي صلى الله عليه وآله وسلم والوحي ، حتى جعل الله كيدك المردود ، وأما في الإسلام فمنعت ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم الخلافة ، وما أنت وهي ؟! وأنت طليق بن طليق ، فقال معاوية : قد خرف الشيخ ، فأقيموه ، فأخذ بيده فأقيم)[1] .

وفي ربيع الأبرار قال : (خطب معاوية ، فقال : إن الله تعالى يقول : ﴿ وإن من شيء إلاّ عندنا خزائنه وما ننزله إلاّ بقدر معلوم ﴾[2] فعلى مَ تلومونني إذا قصرت في إعطائكم ؟ فقال الأحنف : إنا والله ما نلومك على ما في خزائن الله ، ولكن على ما أنزله لنا من خزائنه ، فجعلته أنت في خزائنك ، وحلت بيننا وبينه) ، إنتهى .

فانظر أيها المنصف رحمك الله ، كيف قاتل الصديق الناس على الشاة والبعير ؟ يمنعها الرجل من مال المسلمين ، واستحل دماءهم بذلك ، وهذا ابن أبي سفيان اغتصب الكل ، واستأثر به ظلماً وبغياً ، ثم قيل مع ذلك : أنه إمام حق ، وخليفة صدق ، تناقلوا هذا ، وتهافتوا عليه ، وأظهر كل ما عنده ، وبذل كل منهم جده في ذلك وجهده ﴿ **ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودّة أليس في جهنّم مثوىً للمتكبرين** ﴾[3] ﴿ **ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم** ﴾[4] .

---

(١) مختار الأغاني ٦/١٢٩ ـ ١٣٠ . والشاعر هو : شعية بن الغريض اليهودي وليس شعبة كما في الأصل .

(٢) سورة الحجر : الآية ٢١ .

(٣) سورة الزمر : الآية ٦٠ .

(٤) سورة النور : الآية ١٦ .

وهنا نقبض القلم عن تعداد ما بقي من بوائقه وفظائعه ، إذ لا طمع في استقصائها ، فإن المجال في ذلك فسيح جداً ، ومن ذا الذي يقدر على جمع بوائق جبار ، لبث بضعاً وأربعين سنة في الإسلام ، وهو يتمرغ في حمئة الجور والبغي والفساد والمحاداة لله ورسوله؛ على أن الرواة قد سكتوا عن أكثرها خوف الفتنة ، ثم جاء بعدهم علماء من أنصاره فطمسوا كثيراً مما نقله الرواة منها ، وليتهم اقتنعوا بما صنعوا ، لا بل أكثروا اللوم ، وشددوا النكير على من نقل شيئاً من قبائحه ، ولم يتأوله له أو يطعن في سنده ، وإن كان بمنتهى مراتب الصحة ، وزعموا أن في ذلك فساداً عظيماً ، لما فيه من الحط في مقدار كبار الصحابة الذين هم حملة الدين ونقلة القرآن ، حتى لام بعضهم العلامة المحدث ابن قتيبة على ذكره طرفاً من ذلك في كتاب الإمامة والسياسة وغيره ، وفي هذا الكلام مشاغبة ومغالطة يكررها أنصار معاوية ، ويلوذون عند العجز بها ، ليستروا قبائحه ، ويكتموا فضائحه ، ويوهموا بذلك الأغبياء ، إنه من كبار الصحابة وحملة الدين .

أما صحبته ، فستعلم مما يأتي ، أنها صحبة سوء ، وأنها عليه لا له ، وأما دعوى حمله الدين ، فيا لله العجب ! أي دين حمله معاوية إلى الأمة ؟، ومن الذي يجيز قبول ما جاء به ؟، وأي شخص - ولو عامياً - يخطر في باله أن معاوية من حملة الدين ؟! . أين معاوية من الدين وحملته ؟، ومعاوية هو الهادم أركان الدين .

أن الأحاديث القليلة التي نقلت عنه عرضاً ، مطعون فيها بفسقه ، لا يجوز الإحتجاج بها في دين الله ، أتقبل أحاديث من ارتكب الموبقات ؟ وسن البغي والظلم والغدر والجور والكذب ونقض العهود ؟! فهذا هو الدين الذي حمله معاوية وأعوانه ، وبئس ما حمله ، ربِّ بما أنعمت علي فلن أكون ظهيراً للمجرمين .

إننا سننقل بوائقه ونعلنها على رؤوس الأشهاد ، وننشرها للعام والخاص ، لتحذير الكل منه ، ومن الإغترار به ، لا نخاف في الحق لومة لائم ، وتعرف أنه لا يلحق بكبار أصحاب محمد ، صلى الله عليه وآله وسلم ، ولا حملة دينه أدنى نقص بذلك ﴿ فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتّبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون ﴾[1] ﴿ فأما من طغى ، واثر الحياة الدنيا ، فإن الجحيم هي المأوى ﴾[2] .

يقول أقوام : إن الخوض في هذا المقام يوجب التفريق بين أهل القبلة ، ويورث العداوة والبغضاء بينهم .

وأقول : أن التمويه والمغالطة بوضع الباطل موضع الحق ، هو الموجب للتفريق ، والإنصاف والإذعان للحق بأدلته الواضحة هو من موجبات التوفيق ، فإن كل مؤمن بل وكل عاقل يجب أن يكون ضالته الحق ، حيث كان ، إنا لم نكتب ما كتبناه عن حالات معاوية وأشياعه وأتباعه في هذه العجالة ، إلّا بياناً للحق ، وتذرعاً إلى التوفيق بين الفرق المتضاغنة من الأمة المحمدية ، المختلفة في المشرب والمذاهب ، بكل منها تعصبه لفرقته في البعد عن الأخرى شوطاً بعيداً ، فإذا تقهقر أصحابنا أهل السنة عن ما توغلوا فيه ، حتى تجاوزوا الحد من تعظيم من ليس حقه التعظيم ، وتبرئة من برآءته من الفسق ، تكاد تكون كذباً صراحاً ، وافتياتاً على الله ، وإظهارُ مودةِ من حادَّ الله ورسوله من المسيئين صحبة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، والمحدثين الأحداث القبيحة بعده، إلى الإعتراف بأنهم ظالمون فساق بغاة قاسطون ، كما ذكر الله ، يستحقون ما يستحقه الفسقة من

---

(١) سورة الأعراف : الآية ١٥٧ .

(٢) سورة النازعات : الآيات ٣٧ ـ ٣٨ ـ ٣٩ .

الـرفض والبغض والمقت ، وتقهقر غـلاة الشيعة عن تـوغلهم وغلوهم في الـطرف الآخـر من ذم وسب من لا يستحق إلاّ المـدح والإجـلال والتـوقير والتعـظيم من كبار أصحـاب نبيهم صلى الله عليه وآلـه وسلم واعترفوا بسوابقهم الحسنة، وفضائلهم، لاتّفقنا نحن وإياهم في نقطة، هي والله مـركز الحق ومـداره ، ونـزع من الـطائفتين وغـر القلوب ، وغـل الصدور، وذهبت نزغـات الشيطان من بينهم ، وتحققت فيهم بـأكمـل معـانيهـا أخـوة الإيمـان ، ولكن الآفـة والمصيبـة كـل المصيبـة ، هـو التعصب المذهبي ، والتقليد الصرف ، فأنـه هو الـذي يعمي البصائـر عن الإستضاءة بأنوار الأدلة الـواضحة ، ويصم الآذان عن استمـاعها ، فتجد الشخص المتعصب عندما تورد عليه دليلاً مخالفاً لمذهبه ومغائراً لمعتقـده كـالحـائـر المتخبط ، منتفـخ الـودجين ، محمـر الأنف من الغضب ، يتطلب ما يجرح به ذلك الدليل أو يعارضـه ، فإذا لم يجـد لجأ إلى تفسيره أو تأويله ، بما يوافق هواه من التـأويلات البعيـدة ، أو تمسـك في نقضه ، بمـا يشـاكـل نسج العنكبـوت في الضعف فتـراه يقول : قال فلان : كذا وأفتى فلان : بكذا في مقـابلة قول الله تعـالى ورسوله عليه وآله الصلاة والسلام ، حباً في نصرة مذهبه ، وطمعـاً في أن يكون الحق تبعاً لهواه ، مقتنعاً بتزيين النفس الأمارة له ذلك العمـل السيء الذي هو إهـدار قول الله تعـالى أو قول رسـوله صلى الله عليـه وآله وسلم، بتحكيم آراء الرجال وأقوالهم وتخييلهـا له بـأنه قـائم بعمل عظيم ، ينصر بـه السنة ، ويعـزز به الـدين ، وأنه ملتـزم حسن الأدب والتـواضع مـع العلماء ، إذ لم يقـدر على رد شيء من أقـوالهم ، ولم يتهم أحداً منهم بخطأ في اجتهاد ، ولا هفوة في فتوى ، ولم يدر ذلك المسكين أنها أجرت له الباطل في مجرى الحق ، وخدعته في دينـه ، لأن عمله هـذا هو المـرضي للشيطان ، المغضب للرحمن ، والضعف

لقوام الدين والمباين لعمل العلماء المتقين[1] .

وليت شعري ، أي عالم وأي مجتهد يسره أن يتأدب له أتباعه ويتركوا قول الله تعالى وقول رسوله عليه وآله السلام لقوله ؟ كيلا يردونه عليه ، لا والله لا يوجد أحد من المجتهدين بهذه الصفة ، إلاّ أن يكون معاوية كما قد دلت على ذلك سيرته وأفعاله إنما كان قول المؤمنين ﴿ **إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون** ﴾[2] .

---

(١) شافهني يوماً أحد المترسمين برسوم العلم وقد جرى في المجلس ذكر الخوارج وضلالهم فقال : إن الرسالة التي سمعت إنك جمعتها في التحذير من تولي معاوية لأشد من ضلال الخوارج فقلت : هل رأيتها ، قال : لا ، قلت : فها هي عفا الله عنك بين يديك فقل في مسألة واحدة منها أنها ضلال كي تتدبر البحث فيها حتى يظهر الحق من أي الطرفين فيعود كلانا إليه فإنه ضالة المؤمن فقال سبحان الله فأرشدني إليه أرشدك الله ولو في موضوع واحد من مواضيع الرسالة وأنا كفيل باتّباعك إذا هديتني إليه فقال : إن الجدال معك لا يجوز فقلت إذا لم ترضى النظر في هذه الرسالة فلنبحث في آية من كتاب الله تعالى أو حديث من أحاديث رسوله عليه الصلاة والسلام مما تضمنته هذه الرسالة فقال : إن العلماء منعوا من الخوض في هذه المسائل ولو كان في آية قرآنية أو حديث نبوي ، ثم قام من المجلس وذهب مغاضباً فانظر أيّها المؤمن بما جاء عن الله ورسوله كيف ذهب بهؤلاء تعصبهم وتقليدهم لعلمائهم حتى إلى رفض كتاب الله تعالى وحديث نبيّه عليه الصلاة والسلام فلا حول ولا قوة إلا بالله ، وقال لي آخر ما كتبته وجمعته في هذه الرسالة حق ولكنك أخطأت من جهة مخالفتك لمن تقدمك فإنهم ذكروا ما ذكروا مفرقاً ولم يعلقوا عليه شيئاً وأنت جمعت المتفرق ورتبت مقدماته واطلعت نتائجه واثبت براهينه فأعلنت بصنيعك ما أسرّوه وجمعت ما شتتوه وأظهرت ما أخفوه فقلت له رحمك الله أترى إعلان الحق وإقامة البرهان هنا من الخطأ وكتمه من الصواب ، قال نعم حيث لم يكن لك سلف في ذلك فقلت : لعل من سكت من السلف معذورون في سكوتهم بخوف الفتنة من أمرائهم أو نحو ذلك وقد زال المانع اليوم وأن القرآن كان متفرقاً فجمع والحديث كذلك فقال : إن آخر كلمة أقولها لك أنه يجب عليك أن لا تفعل في هذا الباب إلا ما فعلوا فإن كان حقاً فقد أصبته وإن كان خطأ فالخطأ معهم أولى لك من الإصابة وحدك ثم قام عني .

وقال لي ثالث إن الحق ما قلته في هذه المسائل أصدقه بقلبي ولا أقرّ به بلساني تحرجاً من مخالفة من لم يقل من علمائنا بما قلته . إنتهى جامعه .

(٢) سورة النور : الآية ٥١ .

قال موسى بن عمران : أي رب ! أيُّ عبادك أسعد ؟ قال : من آثر هواي على هواه ، وغضب لي غضب النمر لنفسه إنتهى .

من ربيع الأبرار (أللهم أرنا الحق حقاً ، وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلاً ، وارزقنا اجتنابه ، ولا تجعله مشتبهاً علينا ، فنتبع الهوى ، وأجعل اللّهم هوانا تبعاً لما جاء به حبيبك ، ونبيك محمد صلى الله عليه وآله وسلم) .

تكميــل

القول بأن الخوض في مساوىء معاوية يوجب التفريق بين الأمة والرد عليهم

حيث ذكرنا من بوائق معاوية ما ذكرنا ، فلنذكر هنا طرفاً من الأحاديث الدالة على سوء أحوال عشيرته وعداوتهم لله ولرسوله ، وأنهم شركاؤه في تبديل أمر الأمة ، وتغيير دين الله إلاّ من شاء الله منهم ، وقليل ما هم ، وها نحن نسردها سرداً ، لا نتكلم على شيء من تفاصيل مقتضياتها خوفاً من الإطالة بذلك ، واتكالاً على ما في شروح الحديث والتواريخ من بيان ذلك وتحقيقه وتفصيله .

أخرج ابن عساكر عن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (إذا بلغت بنو أمية أربعين رجلاً اتخذوا عباد الله خولاً ، ومال الله دخلاً ، وكتاب الله دغلاً[1] .

وأخرج ابن مندة وأبو نعيم عن عمران بن جابر اليماني وابن قانع عن سالم الحضرمي قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ويل لبني أمية ، ويل لبني أمية ويل لبني أمية)[2] .

---

(1) كنز العمال ١٦٥/١١ ح (٣١٠٥٨) وقال أخرجه : (ابن عساكر عن أبي ذر) .

(2) ن . م ، ١٦٥/١١ ح (٣١٠٥٩) وقال أخرجه : (ابن منده وأبو نعيم عن حمران بن جابر =

وأخرج ابن مردويه عن علي كرم الله وجهه قال : نزلت سورة محمد آية فينا ، وآية في بني أمية (اقرأ السورة من أولها إلى آخرها) .

وقال النيسابوري في تفسير سورة القدر : قال ذكر القاسم بن فضل عن عيسى بن مازن قال : قلت للحسن بن علي رضي الله عنه : يا مسود وجوه المؤمنين عمدت إلى هذا الرجل فبايعته (يعني معاوية) فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رأى في منامه بني أمية يطأون منبره واحداً بعد واحد ، وفي رواية ينزون على منبره نزو القردة ، فشق ذلك عليه ، فأنزل الله تعالى : ﴿ **إنا أنزلناه** ﴾ إلى قوله ﴿ **خير من ألف شهر** ﴾ (يعني ملك بني أمية) قال القاسم : فحسبنا ملك بني أمية ، فإذا هو ألف شهر لا يزيد ولا ينقص إنتهى[1] .

وروى بسند حسن أنه صلى الله عليه وآله قال : (شر قبائل العرب بنو أمية ، وبنو حنيفة ، وثقيف)[2] .

وأخرج نعيم بن حماد في الفتن عن بجالة قال : (قلت لعمران بن حصين رضي الله تعالى عنه حدثني من أبغض الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : تكتم علي حتى أموت قلت : نعم ، قال : بنو أمية وثقيف وبنو حنيفة)[3] .

وأخرج نعيم بن حماد في الفتن عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : (أن لكل دين آفة ، وآفة هذا الدين بنو أمية)[4] .

= اليمامي ، ابن قانع ، سالم الحضرمي) . ابن الأثير في أسد الغابة ٢/ ٥٠ ، الإصابة ٢/ ٢٨٤ رقم (١٠٩٦) .

(١) مستدرك الصحيحين ٣/ ١٧٠ ـ ١٧١ مع اختلاف في اللفظ. وقال : (هذا إسناد صحيح) ، والقائل للحسن بن علي هذا القول هو : سفيان بن الليل صاحب أبيه .

(٢) كنز العمال ١٤/ ١٩٩ ح (٣٨٣٧٤) عن الزهري .

(٣) ١١/ ٢٧٤ ح (٣١٥٠٠) وقال أخرجه (نعيم بن حماد في الفتن) .

(٤) كنز العمال ١٤/ ٨٧ ح (٣٨٠١٣) وقال أخرجه (ابن حماد في الفتن) .

وأخرج ابو نعيم عن علي عليه السلام أنه قال : (لكل أمة آفة ، وآفة هذه الأمة بنو أمية)[1] .

وأخرج أيضاً عنه عليه السلام أنه قال : (ألا إن أخوف الفتن عندي فتنة بني أمية ، أنها فتنة عمياء مظلمة)[2] .

وأخرج نعيم بن حماد والحاكم في المستدرك عن أبي سعيد رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : (إن أهل بيتي سيلقون بعدي من أمتي قتلاً وتشريداً ، وإن أشد قومنا لنا بغضاً بنو أمية ، وبنو مخزوم)[3] .

وأخرج الحاكم وصححه على شرط الشيخين عن أبي برزة : (إن أبغض الأحياء أو الناس إلى رسول الله بنو أمية)[4] .

وأخرج الخطيب عن المسعد بن مخرمة قال : (قال عمر بن الخطاب لعبد الرحمٰن بن عوف رضي الله عنهما ألم يكن فيما نقرأ « قاتلوا في الله » في آخر مرة كما قاتلتم أول مرة ؟ قال : متى ذلك ؟ قال : إذا كانت بنو أمية الأمراء وبنو مخزوم الوزراء)[5] .

وأخرج الطبراني في الكبير عن ابن مسعود وأحمد في المسند وأبو داود الطيالسي وأبو يعلى وابن حبان وعيد بن منصورة والحاكم في المستدرك عن جرير عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : (المهاجرون والأنصار : بعضهم أولياء بعض في الدنيا والآخرة ،

---

(١) كنز العمال ١١/٣٦٤ ح (٣١٧٥٥) وقال أخرجه (نعيم) .
(٢) ن . م ، ١١/٣٦٥ ح (٣١٧٥٩) وقال أخرجه (نعيم بن حماد في الفتن) .
(٣) مستدرك الحاكم (الصحيحين) ٤/٤٨٧ وقال : (هذا حديث صحيح الإسناد) .
(٤) مستدرك الحاكم ٤/٤٨٠ وقال : (هذا حديث صحيح على شرط الشيخين) ، مجمع الزوائد ١٠/٧١ وقال : (رواه أبو يعلى) .
(٥) مرّ مصدره .

والطلقاء من قريش ، والعتقاء من ثقيف ، بعضهم أولياء بعض في الدنيا والآخرة)[1] .

وأخرج أبو يعلى عن أبي عبيدة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (لا يزال أمر أمتي قائماً بالقسط ، حتى يكون أول من يثلمه رجل من بني أمية)[2] .

وأخرج الترمذي والنسائي وأبو داود وابن ماجة عن أبي ذر عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : (أول من يبدل سنتي رجل من بني أمية)[3] .

وأخرج الطبراني في الأوسط عن عمر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : (أكثر ما أتخوف على أمتي من بعدي رجل يتأول القرآن ، يضعه على غير مواضعه ، ورجل يدعي أنه أحق بهذا الأمر من غيره)[4] .

قلت : أول من ينطبق عليه هذا الوصف معاوية .

وأخرج الديلمي عن عبد الله بن شبل قال : (قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أللهم العن فلاناً واجعل قلبه قلب سوء واملأ جوفه من رضف[5] جهنم)[6] .

وأخرج الطبراني عن أبي برزة عن رسول الله صلى الله عليه

---

(١) مستدرك الحاكم ٤/٨٠ وقال : (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه) ، مسند أحمد ٣٦٣/٤ .

(٢) مسند أبي يعلى ١٧٦/٢ ح (١) ، مجمع الزوائد ٤١/٥ ، خصائص السيوطي ٢٣٦/٢ .

(٣) خصائص السيوطي ٢٣٦/٢ وقال أخرجه (ابن أبي شيبة وأبو يعلي والبيهقي عن أبي ذر) .

(٤) كنز العمال ١٨٧/١٠ ح (٩٩٧٨) وقال أخرجه (الطبراني في الأوسط) .

(٥) الرضف : الحجارة التي حميت بالشمس او النار .

(٦) ن . م : ٨٣/٨ح (١٩٩٤) وقال أخرجه (الديلمي) .

وآلـه وسلم أنه قـال: (إن بعدي أئمـة إن اطعتمـوهم أكفـروكم، وإن عصيتموهم قتلوكم ، أئمة الكفر ورؤوس الضلالة)[1] .

وأخرج الترمذي وحسَّنه عن ثوبان قال : (قال رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم إنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين)[2] .

وأخـرج الطبـراني في الكبير عن سـويد بن غفلة رضي الله عنـه قال : (سمعت أبا مـوسى الأشعري يقـول : قال رسـول الله صلى الله عليه وسلم سيكون في هذه الأمة حكمان ضالان ، ضال من اتبعهما ، فقلت : يا أبا موسى : أنظر لا تكـن أحدهما قال فـوالله ما مـات حتى رأيته أحدهما قال : وفي رواته مجهول)[3] .

وأخرج أبو داود الطيالسي وابن أبي شيبـة وأحمد والـدارمي وأبو يعلي والـطبراني والبيهقي في دلائله بسنـد حسن عن أبي عبيدة ومعـاذ معاً رفعاه : (هذا الأمر بدأ نبوة ورحمـة ، ثم يكون خـلافة ورحمـة ، ثم ملكـاً عضوضـاً ، ثم كـائناً جبـريـة ، وعتـواً وفسـاداً في الأرض ، يستحلون الحرير والفروج والخمور ، ويرزقون على ذلـك ، وينصرون حتى يلقوا الله)[4] .

الأحاديث الدالة على سوء أحوال بني أمية

وأخرج الطبـراني عن عبادة بن الصـامت قال : (قـال رسول الله صلى الله عليه وسلم : سيكون عليكم أمراء من بعدي ، يأمرونكم بما

---

(١) مجمع الزوائد ٢٤٠/٥ وقال (رواه الطبراني في الأوسط) .

(٢) سنن الترمذي ٥٠١/٤ ح (٢٢٢٩) ، مجمع الزوائـد ٢٤٢/٥ وقال (رواه أحمـد ورجالـه ثقات) .

(٣) كنز العمال ٧٩٤/٥ ح (١٤٤٠٧) وقال أخرجه (الطبراني في الكبير) .

(٤) مسند أبي يعلي ١٧٧/٢ ح ٤ - (٨٧٣) .

لا تعرفون ، ويعملون بما تنكرون ، فليس أولئك عليكم بأئمة . حديث حسن)[1] .

وأخرج أيضاً عن كعب بن عجرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (أنها ستكون عليكم أمراء بعدي ، يعظون بالحكمة على المنابر ، فإذا نزلوا اختلست من قلوبهم أنتن من الجيف ، فمن صدقهم بكذبهم ، وأعانهم على ظلمهم ، فليس مني ، ولست منه ، ولا يرد علي الحوض ، ومن لم يصدقهم بكذبهم ، ولم يعنهم على ظلمهم ، فهو مني ، وأنا منه وسيرد علي الحوض)[2] .

وأخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في الدلائل وابن عساكر عن سعيد بن المسيب قال : (رأى النبي صلى الله عليه وسلم بني أمية على منابرهم فساءه ذلك ، فأوحى الله إليه : إنما هي دنيا أعطوها ، فقرت عينه ، وهو قوله تعالى ﴿ **وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلاّ فتنة للناس** ﴾[3])[4] .

قال فخر الدين الرازي في تفسيره : وهذا هو قول ابن عباس عن عطاء ثم قال أيضاً : (قال ابن عباس : الشجرة الملعونة في القرآن بنو أمية ، يعني الحكم بن أبي العاص قال : ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام أن ولد مروان يتداولون منبره ، فقص رؤياه على أبي بكر وعمر ، وقد خلا في بيته معهما ، فلما تفرقوا سمع

(١) كنز العمال ٦٨/٦ ح (١٤٨٨٣) وقال أخرجه (الطبراني عن عبادة بن الصامت) .
(٢) الطبراني الصغير ١٥٤/١ ، مجمع الزوائد ٢٤١/٥ وقال : (رواه الطبراني ورجاله ثقات) .
(٣) سورة الإسراء : الآية ٦٠ .
(٤) دلائل النبوة ٥٠٩/٦ ، الدر المنثور في تفسير ﴿ وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلاّ فتنة .. ﴾ كنز العمال ٤٢/٧ طبع حيدر آباد سنة ١٣١٢ ، مستدرك الحاكم ٤٢٢/٤ .

رسول الله صلى الله عليه وسلم الحكم يخبر برؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاشتد عليه ، واتهم عمر في إفشاء سره ، ثم ظهر أن الحكم كان يتسمع إليهم ، فنفاه رسول الله صلى الله عليه وسلم)[1] . وقد ذكر الشيخ بن حجر الهيثمي جملة أحاديث في هذا المعنى في كتابه تطهير الجنان منها ما قال : (جاء بسند رجاله رجال الصحيح ، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه ، أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال : ليدخلن الساعة عليكم رجل لعين ، فوالله ما زلت أتشوف داخلاً وخارجاً حتى دخل فلان ، يعني الحكم ، كما صرحت به رواية أحمد)[2] .

وبسندٍ قال الحافظ الهيثمي : (فيه من لم أعرفه ؛ أن الحكم مر على النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالحجر فقال : ويل لأمتي مما في صلب هذا)[3] ، وبسندٍ فيه رجل قال الحافظ الهيثمي : لا أعرفه ؛ إنه صلى الله عليه وآله وسلم قال : يكون خليفة هو وذريته من أهل النار . وبسندٍ فيه ضعف : أنه صلى الله عليه وآله وسلم سأل علياً ، ثم رفع رأسه كالفزع ، فقال : (قرع الخبيث الباب بسيفه ، فقال : إنطلق يا أبا الحسن فقده كما تقاد الشاة إلى حالبها ، فذهب إليه ، وأخذ بإذنه ولهازمه جميعاً ، حتى وقف بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم فلعنه نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم ثلاثاً ، ثم قال لعلي أجلسه ناحية ، حتى راح إلى النبي صلى الله عليه وسلم ناس من المهاجرين والأنصار ، ثم دعا به صلى الله عليه وآله وسلم فقال : أن هذا يخالف كتاب الله وسنة نبيه ، ويخرج من صلبه من يبلغ دخانه

---

(١) التفسير الكبير (الرازي) في تفسير قوله تعالى : ﴿ وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلاّ فتنة . . ﴾ .

(٢) تطهير الجنان واللسان ٦٣ ، مجمع الزوائد ١/١١٧ .

(٣) مجمع الزوائد ٥/٢٤٤ .

في الفتنة ، حتى توارت فقال رجل من المسلمين : صدق الله ورسوله ، هو أقل من أن يكون منه ذلك قال : بلى وبعضكم يومئذ ممن يتبعه)[1] .

وبسندٍ فيه مستور وبقية رجاله ثقات ، أن الحكم استأذن على النبي صلى الله عليه وسلم فعرفه فقال : (إئذنوا له فعليه لعنة الله ، والملائكة ، والناس أجمعين . وما يخرج من صلبه يشرفون في الدنيا ، ويترذلون في الآخرة ذوو مكر وخديعة إلاّ الصالحين منهم وقليل ما هم)[2] .

وصح أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال : لكعب بن عجرة أعاذك الله من إمارة السفهاء قال أمراء يكونون بعدي لا يهتدون بهديي ولا يستنون بسنتي الحديث .

وصح بلفظ : هلاك أمتي على يد أغلمة من سفهاء قريش . وفي خبر : رواته ثقات ألا لا يمنعن أحدكم هيبة الناس أن يقول الحق إذا رآه وشهده فإنه لا يقرب من أجل ولا يبعد من رزق قال أبو سعيد . فحملني ذلك على أن ركبت إلى معاوية فملأت أذنيه ثم رجعت[3] والأحاديث في هذا المعنى كثيرة وفيما أوردناه منها ما يعرف به حال القوم وعتوهم على الله وهدم أركان دينه ولكل امرىء منهم ما اكتسب من الإثم وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون وما أصدق في هذا المقام قول أبي عطاء السندي رحمه الله .

إن الخيار من البرية هاشم وبنو أمية أفجر الأشرار[4]

---

(١) كنز العمال ١١/٣٥٩ ح (٣١٧٤٠) .

(٢) مجمع الزوائد ٥/٢٤٥ .

(٣) البخاري ٦/٢٨٥٩ ح (٦٦٤٩) .

(٤) كنز العمال ٣/٧٥ ح (٥٥٦٧) .

وبنـو أميـة عـودهم من خـروع ولهـاشم في المجـد عـود نضـار
أمـا الدعـاة إلى الجنـان فهـاشم وبـنـو أميـة مـن دعـاة النـار
وبهـاشم زكت البـلاد وأعشبت وبنـو أميـة كـالسـراب الجـاري

هذه أدلة جواز لعنه كما مرت بك واضحة متظافرة ، لا يبقى عند المؤمن المنصف أدنى ارتياب بعد سماعها ، وأما من غلب عليه التعصب ، والتحمل ، وتقليد من لا يجديه تقليده ، فيما خالف الحق شيئاً ، وتقديم قول فلان وفلان على قول الله ورسول ، وكثير من أكابر الصحابة ، فلا كلام معه ، لأن داءه داء عضال ، قل أن ينجو منه من ابتلى به ، نسأل الله العافية والسلامة .

أدلة منع تسويد معاوية والترضي عنه

أما أدلة منع تسويده والترضي عنه تعظيماً ، وإجلالاً له ، فكثيرة ، ولكنا نورد منها طرفاً ، يرجع إليه طالب الحق ، ويطمئن إليه من دينه ، وديدنه الإنصاف ، ولم يعم بصيرته التقليد والتعصب .

أخرج البيهقي في شعب الإيمان وابن أبي الدنيا وأبو يعلي عن أنس وابن عدي عن بريدة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : (إذا مدح الفاسق غضب الرب فاهتز لذلك العرش)[1] حديث صحيح .

وروى أبو نصر السبخري في الإبانة من حديث ابن عمر وابن عباس رضي الله عنهم مرفوعاً (من وقر صاحب بدعة فقد أعان على هدم الإيمان)[2] وأخرجه ابن عدي عن عائشة .

---

(١) كنز العمال ٣/٥٧٥ ح (٧٩٦٤) وقال أخرجه (ابن أبي الدنيا في ذم الغيبة وأبو يعلي والبيهقي عن أنس عن ابن عدي) .
(٢) كنز العمال ١/٢١٩ ح (١١٠٢) .

وأخرج أبو نعيم في الحلية والهروي في ذم الكلام من حديث ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (من نظر إلى صاحب بدعة بغضاً له في الله ، ملأ الله قلبه أمناً وإيماناً ، ومن انتهر صاحب بدعة آمنه الله يوم الفزع الأكبر . ومن ألان له أو أكرمه أو لقيه ببشر فقد استخف بما أنزل على محمد) .

وأخرج ابن أبي الدنيا في كتاب الصمت ، وأبو نعيم في الحلية ، وأورده الزمخشري في سورة هود من قول الحسن : (من دعا لظالم بالبقاء ، فقد أحب أن يعصى الله في أرضه)[1] .

قال الغزالي : (فإن جاوز الدعاء إلى الثناء عليه فذكر ما ليس فيه كان كاذباً ومنافقاً ومكرماً للظالم)[2] ، وذكره في الإحياء عن النبي صلى الله عليه وسلم .

وأخرج الحاكم في المستدرك والبيهقي وأحمد في المسند وأبو داود والنسائي عن بريدة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (لا تقولوا للمنافق سيدنا فإنه إن يكن سيدكم فقد أسخطتم ربكم)[3] .

وأخرج الحاكم في المستدرك والبيهقي في شعب الإيمان عن بريدة أيضاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : (إذا قال الرجل للمنافق يا سيدي فقد أغضب ربه)[4] .

وجاء عنه عليه وآله الصلاة والسلام : (من مدح سلطاناً جائراً

---

(١) الكشاف ٢٩٦/٣ طبع مصطفى الحبابي .
(٢) الإحياء ١٦٠/٣ .
(٣) مسند أحمد ٣٤٦/٥ .
(٤) ن . م . والصفحة .

واحتفى به وتواضع له طمعاً فيه كان قرينه في النار)[1] .

قال الله تعالى : ﴿ ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار)[2] .

وحيث علمت ما ذكر تعلم أن تسويد معاوية والترضي عنه تعظيماً له مغضب للرب كما في حديث أنس وحديث بريدة ، واستخفاف بما أنزل الله على محمد كما في حديث ابن عمر ، وأعانة على هدم الإسلام كما في حديث ابن عباس ، ومسخط للرب كما في حديث بريدة ، ومحبة لعصيان الله كما جاء عن الحسن ، وكذب ونفاق وإكرام للظالم كما زاده الغزالي . والأحاديث في النهي عن توقير أرباب الظلم والنفاق والفسق كثيرة . والآثار كذلك والإطالة بذكرها إسهاب وفيما ذكرناه أقوى زاجر لمزدجر .

فإن قلت : إن الوعيد الوارد في الأحاديث السابقة إنما هو في مدح الفاسق ، وتوقير المبتدع وإكرامه ، والدعاء للظالم وتسويد المنافق ، فمن أين لك قيام هذه الأوصاف بمعاوية حتى يكون توقيره وتسويده منهياً عنه ؟ .

قلت : أما فسقه فظاهر ، لأن الفاسق من ارتكب كبيرة أو أصر على صغيرة . ومعاوية قد ارتكب كبائر الكبائر ، وجاهر بها وأصر عليها ، وقد مر بك نقل كثير منها مما لا ينكره أحد .

وأما بدعته ، فكذلك ، فإن المبتدع من أحدث في الإسلام حدثاً كما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، كل محدث بدعة ومعاوية رئيس المحدثين وكبير المبتدعين .

---

(١) مكارم الأخلاق ص ٤٢٨ طبع دار الأعلمي .

(٢) سورة هود : الآية ١١٣ .

ومن العجب : أن الجم الغفير من الناس بل ومن العلماء المقلدين ، يرون أن من يمسح رجليه بدلاً عن الغسل في الوضوء مبتدعاً ، وكذلك من يقول : إن الحسنة من الله والسيئة من نفسك ، ومن يدخل في الآذان حي على خير العمل ، ومن يقول أن علياً أفضل من أبي بكر ، ومن لا يجوز التكليف بالمحال ، ومن يقول بما جاء في القرآن لله جل وعلا وجهاً ويداً وعيناً مع تنزيهه تعالى عن الجسمية والمشابهة ، ومن يقول أن النار محرقة بقوة خلقها الله فيها ، وأن السيف قاطع بقوة خلقها الله فيه ، ومن يقول : بانتفاء الجواهر الفردة ، ومن يؤلف مثل هذا الكتاب . هؤلاء كلهم مبتدعون ضالون عن الأكثر من علمائنا أهل السنة .

وأما من يقتل المسلمين صبراً ، ويسب علياً جهراً ، ويعيث في الأرض فساداً ، ويحارب الله ورسوله عناداً ، ويصطفي البيضاء والصفراء من بيت أموال المسلمين ، ويتهكم بأوامر سيد المرسلين . فذلك عندهم عدل ثقة ، وصاحب سنة ، خليفة حق ، وإمام صدق : ﴿ **ذلك مبلغهم من العلم أن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى** ﴾(١) .

وأما اتصافه بالنفاق : فستعلمه مما يأتي ، إن لم تك قد علمته مما قد سبق ذكره ، ولتعلم أولاً : أن النفاق لغة مخالفة الظاهر للباطن ، فإن كان في اعتقاد الإيمان ، فهو نفاق الكفر ، وإلاّ فهو نفاق العلم . ومراتبه متفاوتة ، وشعبه كثيرة . كما أن الإيمان كذلك ، ولا طريق لنا ألى معرفة النفاق بنوعيه من الأشخاص ، إلاّ بوحي إلٰهي ، إذ أمر الباطن لا يطلع عليه غير الله جل وعلا ، ولكن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، أخبرنا عن بعض علاماته وإماراته في المتصفين

---

(١) سورة النجم : الآية ٣٠ .

بـه ، فـإذا تحققنـا وجـود واحـدة من تلك العـلامــات في شخص من الأشخاص علمنا نفاقه .

ثم لا ندري من أي النوعين نفاقه والنهي عن التعظيم للمنافق ، وعن تسويدة وارد بـ (الـ) الجنسية الشاملة لأنواعه كلهـا ، إذ لم يأتِ مـا يعين نفاقـاً دون نفاق ، والعـلامات الـواردة في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم هي الكذب في الحديث ، والخيانة في الأمانة ، والخلف في الوعد ، والغدر في المعاهدة ، والفجور في الخصـومة ، وهـو الميل عن الحق ، والإحتيـال لرده ـ كمـا قالـه شـراح الحـديث ـ وبغض علي ابن أبي طـالب . ومعاداتـه وبغض الأنصار . وغيـر ذلـك وكل هذه الصفات موجـودة في معاويـة ، فإن أكـاذيبه قـد امتلأت بهـا الأسفار ، لاسيما ما كان منها في محاولتـه بيعة يـزيد وقـد مر بـك فلا نطيل بأعادته .

وأما خيانتـه للأمـانة : فـأشهر من نـار على علم ، فهل [illegible] أنصاره في دماء المسلمين ؟ وقد قتل منهم العدد الكثير بغيـر حق ، أم في أمـوالهم ؟ وقد استـأثـر بهـا ، واصـطفى بيضـاءهم وصفـراءهم ، وصـرفها في أغـراضه الفـاسـدة ، وزخـارفـه ومـلاذه وشهـواتـه أم في أعراضهم ؟ وقد سب أكابرهم على المنابر وفي المحافل .

وأما خلفه بالوعد وغدره في معاهداتـه : فغير مجهـول ، ولو لم يكن منهـا إلاّ غدره بـالحسن عليه السـلام ، حيث عاهـده أن لا يبغي للحسن ، ولا لأخيه الحسين ، ولا لأحد من شيعة علي غائلة سـراً ولا جهراً ، وأن يجعل الأمر بعده شورى بين المسلمين لكفى ، فأنـه غدر بالحسن ، فقطع عطاءه ثم سمه ، وعهد بالأمر بعده ليزيد ، قتل حجراً وأصحابه بعد تلك العهود والمواثيق .

وأما فجوره في خصوماته واحتياله في رد الحق : فأشهـر من أن

يذكر ، إذ جل خصوماته إذا لم نقل كلها من هذا القبيل ، ولا داعي إلى أن نثبت معاداته ، وبغضه لعلي بن أبي طالب عليه السلام ، إذ لا ينكرهما أحد ، وكتب السير طافحة بذلك ، وبغضه للأنصار ، قد قدمنا ما يدل عليه في ذكر البوائق فأرجع إليه .

أفبعد صدور هذه الكبائر من معاوية ، وثبوتها عنه بالتواتر والنقل الصحيح ، وسماع ما جاء من الآيات ، والأحاديث في حق مرتكبها ، يسوغ لطالب الحق الإغضاء والتغافل والتصامم عنها ؟! ثم مجاوزة الحد إلى إهدار تلك الأدلة بإطرائه ، والترضي عنه ، وتسويده ، إعتماداً على ما تداولته ألسنة سابقيه ، من أن معاوية مجتهد متأوّل مأجور ﴿ الله يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ﴾[1] . كم طمست بهذه الكلمات أعلام من الحق ؟! وكم جحدت بها حقائق ؟! وكم رفعت بها ألوية من الباطل وشيدت بها أبراج من المغالطة ؟! كلمات ربما كان أول مَنْ قَالَها ، قالها لقصدٍ خاصٍ ، فاتخذت بعد ذلك حجة لدى القوم ، يعارضون بها كل دليل ، ويردون بها النص الصريح ، وينسخون بها ما جاء عن الله ورسوله ، كأنه نزل بها كتاب من الله أو وحي إلى رسوله ، أطلعهم به على ضمير معاوية ، وحسن قصده ، وصلاح نيته ، ثم تراهم مع ذلك يرعدون ، ويبرقون ، ويأخذهم المقيم المقعد من الغيظ ، وينذرون بكل طامة ولامة ، ويمثلون كل هاوية عميقة ، أمام كل من ناقشهم في دعواهم الحساب أو طالبهم بدليل على ما اخترعوه واعتمدوا عليه من إثبات الإجتهاد والأجر أيضاً على بغي ذلك الطاغية وأعوانه .

كان صالحو أهل الصدر الأول ، يؤنبون معاوية ، ويعظونه ، ويواجهونه بتقريعه على سوء أفعاله ، ومنهم من هجره في الله ، ومنهم من لعنه ودعا عليه ، ثم ذهب الصحابة ، واستفحل ملك بني أمية ،

---

(١) سورة غافر : الآية ١٩ .

وكثر تعديهم ، وطم جورهم . فالتزم الكثير منهم السكوت عن ذكره خوفاً من الفتنة ، ثم جاء أقوام من بعدهم فأتخذوا سكوت من قبلهم عن بيان فجوره وإعلان فسقه ، وتجويز لعنه ذريعة إلى تبريره ، وتعذيله ، ثم ما لبثوا أن زادوا على ذلك أنه إمام حق ، وخليفة صدق ، وبدلوا قولاً غير الذي قيل لهم ، وقالوا سيدنا ، وترضوا عنه حيث ذكر كما يترضى عن الصالحين ، وما مثلهم في ذلك إلاّ كمثل رجل ذي سلطان وجبروت رآه بعض أهل الصلاح خارجاً من ماخور الخمار ، متمائلاً تفوح من فيه وثيابه روائح الراح ، وكان مع ذلك الصالح تلامذة خاف عليهم فتنة ذلك الجبار وأعوانه ، إن خاضوا في أمر ذلك الجبار ، وبينوا سيرته للعامة ، فسكت ذلك الصالح وأمرهم بالسكوت عن ذكر المخازي ، فما لبث أولئك التلامذة أن قالوا لم يأمرنا الأستاذ بالسكوت عن ذلك ، إلاّ لما يعلمه من حال ذلك السلطان ، إنه من أهل الدين والفضل ، لأنه إنما دخل الماخور لإزالة المنكرات ، وتكسير آنية الخمر ، ووعظ أهل الحانة وزجرهم ، ولذلك تضمخت ثيابه بالخمر ، وفاحت رائحتها منه ، فهو من الآمرين بالمعروف ، والناهين عن المنكر والقائمين بالقسط والعدل .

ما أحمق هؤلاء القوم ! يسارعون للذب عن هذا الطاغية ، فيتأولون له التأويلات البعيدة الفاسدة الضعيفة ، ويعمدون إلى سيئاته القبيحة الواضحة الفاضحة المتواترة ، فينكرون منها ما أمكن إنكاره ، ويبدلون الجانب الآخر بتلك التأويلات حسنات ، يمدحونه عليها ، ويطرونه بها ، ويفتاتون على الله تعالى في إثبات إثابته عليها ، ويظنون حينئذٍ أنهم رتقوا بذلك فتقاً في دين الله ، وأنهم قد جمعوا الأمة على الهدى ، وصانوا العامة عن الخوض فيما لا يجوز بزعمهم ، من ذكر مساوىء ذلك الطاغية وأعوانه . إنهم ليصدونهم عن السبيل ، ويحسبون أنهم مهتدون . تصرفوا كيف شاؤا ، وشوهوا

وجوه المعاني ، تحاشياً عن ما يحط من مقدار ذلك الجبار في أعين المؤمنين . كأنه لم يبلغهم ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فيما أخرجه الطبراني قال : (حتى متى ترعوون عن ذكر الفاسق أهتكوه يحذره الناس)[١] . وأورده السيد محمود الألوسي في الأجوبة العراقية بعد أن صححه ، بلفظ اذكروا الفاسق بما فيه يحذره الناس ، ولم ينظروا إلى ما أخرجه ابن أبي الدنيا عن الحسن مرسلاً : (ثلاثة لا تحرم عليك أعراضهم المجاهر الفاسق والإمام الجائر والمبتدع)[٢] وإلى ما جاء في حديث أنس وغيره أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال : (عند ثنائهم بالخير والشر وجبت أنهم شهداء الله في أرضه) وإلى ما جاء من أنه (لا غيبة لفاسق) وإلى ما صح بالتواتر والنقل الصحيح عن سيد الصادقين بعد الرسل صلوات الله وسلامه عليهم ، وعلى آلهم علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وغيره من أكابر الصحابة ، من هتكهم معاوية ، وبيان حاله ، وحال أعوانه ، من أنهم ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن ، وإنهم شر أطفال ، وشر رجال .

ولعمر الله لو قام بهذه التأويلات والتعسفات العذر لمعاوية وأعوانه عند أنصاره ، والمغفلين من أتباعهم ، فإنه لا يقوم لهم بشيء من ذلك عذر عند الله تعالى ، وهو علام الخفيات ، والمطلع على السرائر ﴿ **ها أنتم هؤلاء جادلتم عنهم في الحياة الدنيا فمن يجادل الله عنه يوم القيامة أم من يكون عليهم وكيلا** ﴾[٣] .

---

(١) كنز العمال ٥٩٦/٣ ح (٨٠٧٤) وقال أخرجه (الطبراني في الأوسط عن معاوية بن صيله) .

(٢) ن . م ٥٩٥/٣ ح (٨٠٦٨) وقال أخرجه (ابن أبي الدنيا في ذم الغيبة عن الحسن مرسلاً) .

(٣) سورة النساء : الآية ١٠٩ .

أليس من الهوس والإفتيات على الله قولهم أن الله سيثيب معاوية وأعوانه على بغيهم ؟! وقد ذم الله البغي وكرر الزجر عنه ، وأوعد مرتكبيه بعذابه الأليم ، كيف يتولى هذا الباغي وأعوانه من يقرأ قوله تعالى ﴿ **أنهم لن يغنوا عنك من الله شيئاً وإنّ الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين** ﴾(1) لو أن هؤلاء القوم وقفوا قليلاً ، وحاسبوا ضمائرهم ، واطرحوا التقليد والتعصب جانباً ، لأدركوا أنهم وقعوا في هوة عظيمة وخطة أثيمة .

فإن تنج منها تنج من ذي عظيمة   وإلّا فإني لا أخالك ناجياً

وَلَعمري : إن من رسخ في قلبه الإيمان ، وخامر قلبه حب الله ورسوله ، واتباع الحق لا يقتنع بهذه المعاذير الفاسدة ، ولا يتجر بهذه البضاعة الكاسدة ، أيم الله ما كتب مؤمن من هذه السفسطة شيئاً إلّا وضميره يؤنبه ، وإيمانه يوبخه ، فتراه يتغافل عن ذلك ، ويلجأ إلى التأسي بمن تقدمه من المقلدين ، ويظن ذلك كافياً في العذر ، وهيهات هيهات أمنية من وساوس النفس ، وضلة من أضاليل الأماني ، قد كان لسابقيه أعذار مقبولة ظاهرة ، فإنهم يشاهدون الدماء مسفوحة ، والقبور مفتوحة ، والسجون مشحونة بكل من نطق بكلمة حق في ذكر شيء من تلك الحقائق في أيام بني أمية ، وكذلك في أيام بني العباس ، أما الآن وقد أذهب الله ريحهم ، وأراح الإسلام من شرهم فلا يبقى عذر لمعتذر .

كلام ابن جعفر الباقر يشكو ما لقي أهل البيت من قريش

روي أن أبا جعفر محمد الباقر رضي الله عنه قال لبعض أصحابه : (يا فلان ما لقينا من ظلم قريش إيّانا وتظاهرهم علينا وما

(1) سورة الجاثية : الآية ١٩ .

لقي شيعتنا ومحبونا من الناس أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبض ، وقد أخبر إنّا أولى الناس به فتمالأت علينا قريش ، حتى أخرجت الأمر من معدنه ، واحتجت على الأنصار بحقنا وحجتنا ثم تدوالتها قريش واحد بعد واحد ، حتى رجعت إلينا فنكثت بيعتنا ولم يزل صاحب الأمر في صعود كؤود، حتى قتل فبويع ابنه الحسن ، وعوهد ، ثم غدر به ، وأسلم ووثب عليه أهل العراق حتى طعن بخنجر في جنبه ، وانتهب عسكره ، وعولجت خلاخيل أمهات أولاده ، فوادع معاوية ، وحقن دمه ودماء أهل بيته وهم قليل ، حق قليل . ثم بايع الحسين من أهل العراق عشرون ألفاً ، ثم غدروا به ، وخرجوا عليه ، وبيعته في أعناقهم . ثم لم نزل أهل البيت نستذل ونستضام ، ونقصى ، ونمتهن ، ونحرم ، ونقتل ، ونخاف ، ولا نأمن على دمائنا ودماء أوليائنا ، ووجد الكاذبون الجاحدون لكذبهم وجحودهم موضعاً ، يتقربون به إلى أوليائهم ، وقضاة السوء ، وعمال السوء في كل بلدة ، فحدثوهم بالأحاديث الموضوعة المكذوبة ، ورووا عنا ما لم نقله ، وما لم نفعله ، ليبغضونا إلى الناس . وكان عظم ذلك وكبره زمن معاوية بعد موت الحسن ، فقتلت شيعتنا بكل بلدة، وقطعت الأيدي والأرجل على الظنة ، وكان من يذكر بحبنا أو بالإنقطاع إلينا سجن ، أو نهب ماله ، وهدمت داره ، ثم لم يزل البلاء يشتد ، ويزداد إلى زمن عبيد الله بن زياد ، قاتل الحسين ، ثم جاء الحجاج فقتلهم كل قتلة ، وأخذهم بكل ظنة وتهمة ، حتى أن الرجل ليقال له زنديق أو كافر ، أحب إليه من أن يقال له شيعة علي ، وحتى صار الرجل الذي يذكر بالخير ، ولعله يكون ورعاً صدوقاً يحدث بأحاديث عظيمة عجيبة ، من تفضيل بعض من قد سلف من الولاة ، ولم يخلق الله تعالى شيئاً منها ، ولا كانت ، ولا وقعت ، وهو يحسب أنه حق لكثرة من قد رواها ممن لا يعرف بكذب ، ولا بقلة ورع

إنتهى)[1] .

ذكر شيء من اضطهاد أهل البيت

وقال الشعبي ما لقينا من علي بن أبي طالب إن أحببناه قتلنا وإن أبغضناه هلكنا وكان الإمام أبو حنيفة يفتي سراً بوجوب نصرة زيد بن علي بن الحسين ، وحمل المال إليه ، والخروج معه على اللص المتغلب المسمى بالخليفة يعني هشام بن عبد الملك .

وذكر زين الدين العراقي رحمه الله أنه كان في بعض أيام بني أمية إذا سمعوا بطفل سمي بعلي قتلوه فكان الناس يبدلون أسماء أولادهم .

وكان الحسن البصري يروي أحاديثه التي عن علي عليه السلام مرسلة خوفاً من بني أمية وهكذا كان الأمر في أيام بني العباس وقد أشار إلى هذا العلامة أحمد الحفظي في أرجوزته حيث قال :

والحسن البصري يروي عن علي ... علومه وللسماع يجتلي
لكنه لو قال هذا قتلا ... فكان يروي للحديث مرسلا
قال الإمام أحمد بن حنبل ... لسائل عن فضل مولانا علي
ماذا أقول بعد كتمان العدا ... للنصف من فضل الولي حسدا
ونصفه خوفاً من القتل وذا ... حقيقة يعرفها من احتذا
وأظهر الله من الكتمين[2] ... ما ملأ البرين والبحرين

---

(١) شرح النهج لإبن أبي حديد ج ١٢ ص (٤٣ ـ ٤٤) تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم .

(٢) اقول لقد صدق رسول الله (ص) فيما قال : فإن جماعة قد ادعوا أنّ ابن يحيى العلوي رحمه الله ذكر قول بعضهم أن سبب كثرة الأحاديث الصحيحة الواردة في فضل الإمام علي (عليه السلام) هو ما قام به أعداؤه من لعنه وسبه فحدّث كلُ من الصحابة بما سمع من فضله لرد تلك البدعة والتحذير منها فقال الجد عبد الله رحمه الله ليس الأمر كذلك لأن الصحابة قد بلّغوا جميع ما حفظوه عن نبيهم وبلّغ التابعون جميع ما وعوا من أصحاب=

وهكـذا ملك بـنـي الـعـبـاس … قد ضربوا الأخماس في الأسداس
وما قضى المنصور ذو الـدوانق … في حجـج الله على الخـلائـق
محـمـد ونـفـسـه الـزكـيـة … والمحض عـبـد الله والـذرية
وحبسـه الـديبـاج حتى صـارا … كـالجيفـة الملقـاة لا تـوارى
وفعـل هـرون بيحيى صـدعـا … صم الجبـال والقـلوب أوجعـا
وحمـل مـوسى الكـاظم السجاد … من طيبـة الفيحـا إلـى بغـداد
مـسـلسـلاً عــن أهـله مـطردا … ومـات في سجن الغـوي مقيـدا
والآن زال العـذر والحـق ظهـر … فـاستلم الـركن وقبـل الحجـر
وطـلع النـجم عـلى الـجـهـات … وأمـن الخـلق مـن الـعـاهــات
وجـاء نصـر الله والفتـح فمـا … بعـد الهدى إلاّ الضـلال والعمى

أدلة وجوب بغض معاوية

نعم بقي حتى الآن لمعاوية أنصار وأذناب من العلماء الجامدين على ما في كتب المتأخرين، ومن الغوغائيين الذين لا يدرون الصواب من الخطأ ، ولا يفرقون بين الحق والباطل ، لا شوكة لهم ، ولا صولة . ولكنهم يسلقون بألسنتهم كل من كشف غبار شبهة عن قبائح معاوية ، وينبزونه بالإبتداع والرفض ، ويعربدون عليه عربدة السكارى جهلاً ، منهم وحماقة . وهذا هو غاية ما في استطاعتهم من أذية من صدع بالحق في هذا الباب ، ولا أرى في هذا عذراً كافياً للذين يريدون الله ، والدار الآخرة ، في كتم قبائح ذلك الطاغية ، والتملق بتعظيمه ، وتسويده ، وتوقيره ، والترضي عنه ، إجلالاً له ، فإن كل ذلك مغضب لله تعالى ، ومسخط له ، ومعين على هدم الإسلام ،

= نبيهم وهكذا ولو وجدت أحاديث في فضل غير علي من الصحابة كالتي جاءت في فضل علي لنقلت بطرق أكثر وأشهر لعدم الخوف من عقاب الظالمين على روايتها ثم قرأ قوله تعالى ﴿ أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله ﴾ (إنتهى جامعه) .

كما مر بك قريباً في أحاديث من لا ينطق عن الهوى ، وهي والله الجديرة بالإذعان ، لما فيها ، ورفض ما خالفها ، وماذا يضر الصادع بالحق والناطق بالصدق من سباب هؤلاء العصبة المتعصبين ، والطغام المتعنتين ؟ وماذا يلحقه من صخبهم واستطالتهم على عرضه ؟ إذا كان عند الله تعالى وعند رسوله عليه الصلاة والسلام ، وعند الصالحين من عباده محموداً مشكوراً مبروراً .

إذا رضيت عني كرام عشيرتي فلا زال غضباناً عليَّ لئامها

وأما الأدلة على وجوب بغض معاوية في الله فكثيرة أيضاً .

قال الله تعالى ﴿ **لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حادَّ الله ورسوله ولو كانوا آباءهم وأبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إنَّ حزب الله هم المفلحون** ﴾(1) .

المحادة المغاضبة والمخالفة كما في القاموس وغيره .

وقال الفخر الرازي رحمه الله في تفسيره المعنى : (أنه لا يجتمع الإيمان مع وداد أعداء الله تعالى وذلك لأن من أحب أحداً امتنع أن يحب مع ذلك عدوه ، وهذا على وجهين :

أحدهما : أنهما لا يجتمعان في القلب ، فإذا حصل في القلب وداد أعداء الله ، لم يحصل فيه الإيمان ، فيكون صاحبه منافقاً .

والثاني : أنهما يجتمعان ، ولكنهما معصية ؛ وكبيرة ، وعلى هذا الوجه يكون صاحب هذا الوداد كافراً ، بسبب هذا الوداد ، بل

---

(1) سوره المجادلة : الاية ٢٢ .

كان عاصياً في الله ، ثم قال : فيه أيضاً .

وبالجملة : فالآية زاجرة عن التودد إلى الكفار والفساق . وورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه كان يقول : أللهم لا تجعل لفاجر ولا فاسق عندي نعمة فإني وجدت فيما أوحيت لا تجد قوما يؤمنون بالله)[1] الآية إنتهى .

قلت : كما دلت الآية منطوقها على أن موادة من حاد الله ورسوله من الكفار والفساق ، مخطورة ، فكذلك تدل بمفهومها ، على أن بغض من حاد الله ورسوله مأمور به مطلوب .

وقد أخرج أبو داود الطيالسي عن البراء ابن عازب رضي الله عنه قال : (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أتدرون أي عرى الإيمان أوثق ؟ قلنا : الصلاة قال : الصلاة حسنة ، وليست بذلك ، قلنا : الصيام ، قال : مثل ذلك ! حتى ذكرنا الحهاد . فقال مثل ذلك ! قلنا : أخبرنا يا رسول الله ، قال : أوثق عرى الإيمان الحبُ في الله ، والبغض فيه وأخرجه أحمد في المسند من حديثه)[2] .

وأخرج الطبراني في الكبير من حديث ابن عباس رضي الله عنهما : (أوثق عرى الإيمان الموالاة في الله ، والحب في الله ، والبغض في الله) وفي قوت القلوب لأبي طالب المكي ، وفي الإحياء أيضاً يروى ؛ أن الله سبحانه وتعالى أوحى إلى عيسى عليه السلام : لو أنك عبدتني بعبادة أهل السموات والأرض ، وحب في ليس ، ويغض في ليس ، ما أغنى عنك ذلك شيئاً . ومن القوت أيضاً : قال روينا عن عمر بن الخطاب ، وابنه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما

---

(١) التفسير ١٣٤/٨ طبع سنة ١٣٠٩ هـ .

(٢) سورة المائدة : الآية ١٤٦ .

قال : (لو أن رجلا صام النهار لا يفطر ، وقام الليل لم ينم ، وجاهد ولم يحب فى الله ، ويبغض فى الله ما نفعه ذلك شيئاً) .

وأخرج أحمد في المسند عن أبي ذر رضي الله عنه قال : (قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أحب الأعمال إلى الله الحب في الله ، والبغض في الله)[1] .

وأخرج في المسند أيضاً عن عمرو بن الجموح رضي الله عنه قال : (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحق لعبد صريح الإيمان ، حتى يحب في الله ، ويبغض في الله)[2] .

وفي قوت القلوب والإحياء يروى: أن الله تعالى أوحى إلى موسى عليه السلام ، هل عملت لي عملاً قط ؟ فقال : إلٰهي إني صليت لك ، وصمت ، وتصدقت ، وزكيت ، فقال : إن الصلاة لك برهان ، والصوم جنة ، والصدقة ظل ، والزكاة نور ، فأي عمل عملت لي ؟ قال موسى : إلٰهي دلني على عمل هو لك ، قال : يا موسى هل واليت لي ولياً قط أو عاديت لي عدواً قط ؟ فعلم موسى ، أن أفضل الأعمال الحب في الله ، والبغض في الله .

فسقه وبدعته

وفيه أيضاً قال الحسن البصري رحمه الله : (مصارمة الفاسق قربان إلى الله عز وجل) .

وفي كتاب مكارم الأخلاق للشيخ رضي الدين الطبرسي رحمه الله قال : (قال عليه وآله الصلاة والسلام من تولى جائراً في جوره كان قرين هامان في جهنم)[3] إلى غير هذا مما جاء في هذا الباب .

---

(١) ن . م .

(٢) ن . م ٣/٤٣٠ .

(٣) مكارم الأخلاق ص ٤١٨ . تقديم محمد الحسين الأعلمي طبع الأعلمي .

وقد سئل الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله أيؤجر الرجل على بغض من خالف حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : أي والله .

وبهذا يتضح لك أن بغض معاوية أمر مشروع يلازم الإيمان ويثاب عليه الإنسان وأن حبه وتوليه أمر يسخط الرحمان ، ويباين الإيمان . وحقيق بالمؤمن الغيور على حرمات الله أن تهتك ، وعلى حدوده أن تتعدى ، وعلى الدين أن يبدل ، وعلى الشرع أن يستخف به ، إذا عرف ما ارتكبه معاوية من الموبقات ، واقترفه من المظالم المتعدي ضررها إلى الأمة بأسرها ، وجرأته على الله عز وجل ، وتهاونه بأوامره ، واستخفافه بزواجره أن يبغضه ويعاديه ، حتى يحق له صريح الإيمان بمعاداة من عادى الرحمن . فإن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال في حق علي بن أبي طالب عليه السلام : (أللهم وال من والاه وعاد من عاداه)[1] وقال عليه وآله الصلاة والسلام : (عادى الله من عادى علياً)[2] وليس على ظهر الكرة الأرضية أعدى لعلي من معاوية ، وقد صرح كرم الله وجهه بذلك في مواطن مذكورة في محالها من كتب السير .

يقول أنصار معاوية : إنما نحبه لصحبته رسول الله صلى الله عليه وسلم ولإسلامه ، ونقول لهم : فلم لا تبغضونه لإساءته الصحبة كما سترى ذلك فيما سيأتي ، ولإرتكابه الجرائم التي قدمنا ذكرها ؛ أن الحب في الله والبغض في الله متلازمان ، فمن زعم أنه يحب في

---

(١) صحيح ابن ماجه ١٢/١ ، مستدرك الحاكم ١٠٩/٣ ، ١١٦ ، ١٧١ ، ١١٠ ، مسند أحمد ٣٧٢/٤ ، ٣٦٨ ، ومصادر أخرى كثيرة .

(٢) أسد الغابة ١٥٤/٢ ، الإصابة ٢/القسم الأول ص ٩١ طبع السعادة سنة ١٣٢٣ ، كنوز الحقائق للمناوي طبع اسلامبول سنة ١٢٨٥ .

الله ، وهو لا يبغض فيه ، فقد غره بـالله الغرور ، **﴿ أفتؤمنـون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعـل ذلك منكم إلاّ خـزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب ﴾**[1] .

إن مثـل هؤلاء ومعاويـة في ذلك كمثـل رجل كـان عـدواً لـدوداً لملك عظيم عادل ، فأظفر الله ذلك الملك بعدوه ، وانقـاد له صـاغراً راغم الأنف . وكان بعد ذلك ربما مشى في جند الملك ، وربما تألفه الملك بكلمـات ، وربما حـذر منه اتباعه ، ثم بعـد مدة غيـر طـويلة حكمت الأقدار على ذلك الملك العظيم بالذهاب إلى مملكة أخرى ، أعظم من هذه ، فرتب الملك أمور هـذه المملكة ، وجعـل فيها نـواباً من خاصته وأهل بيته ، وسن لهم قوانين ، وحد لهم حدوداً في جميع أمـورهم ، ووعدهم إذا قـدموا عليـه بالمكـافـأة الحسنـة ، والمـواهب الجسيمة لمن اتبع ما سنه لهم ، وبالعقاب الشـديد ، والعـذاب الأليم لمن خالفه ، ثم بعد غيبوبـة الملك، وذهاب بعض نـوابه إليـه ، انتهز ذلك العدو الفرصة ، وجمع رعاعـاً ، وأوباشـاً ، وغرهم بـالأكاذيب ، وخـدعهم بالأمـاني ، ثم ثار بهم في وجـه أخِ الملك . وهـو إذ ذاك نائبه ، وأظهر زوراً ، أن أخا الملك قد أخطأ في أمرٍ ما ، ليغـر أتباعـه بـذلك ، ثم لم يـزل يراوغ مـرة ، ويحارب أخـرى ، حتى ذهب أخـو الملك إليه بداعِ دعاه ، فاستحفل أثر ذلك العدو الباغي ، ووثب على المملكـة ، ونحّى عنهـا ولـد الملك ، ثم قتله ، وأبـطل أكثـر قـوانين الملك ، وطـرد خواصـه ، وألحق الـذل بعشيـرتـه ، ورهـطه ، وأهـل مودته ، وسلط عليهم ، وعلى جميع الرعية رعاعه وسفلته ، واستصفى أمـوالهم ، ولم يأل جهـداً في القتل والفسـاد والجور ، ثم تألفت بعده عصابة ، يتسابقون إلى المدح والثناء على ذلك الرجل الباغي جهاراً ،

---

(١) سورة البقرة : الآية ٨٥ .

ويتهافتون على تعظيمه ، وستر عيوبه وفواقره ، ونهى الناس عن ذكرها، ويحثونهم على التكذيب بوقوعها مهما أمكنهم ذلك ويختلقون له المعاذير الواهية .

ويرغبون إلى الملك أن يسبغ عليه أفضاله ، ويجازيه بأحسن الجزاء على ما ارتكب من الفظائع في بيت الملك ، وخاصته ، ورعيته ، لأنه واحد من جنده ، واغتفروا له كل عظيمة في جنب هذه المقدمة العقيمة ، وتصامموا ، وتعاموا عن ما أصاب الملك من هتك في أولاده ، وذل في خاصته ، وإفساد في رعيته ، ومجاهرة بعصيانه ، وإهدار لأحكامه ، وإهانة لشرفه ، ثم مع هذا يزعمون : أنهم صاروا بعملهم هذا أخص الناس بالملك ، وأطوعهم له ، وأقربهم منه ، والأحق بعنايته ، وحلول نظره عليهم ، لأنهم التزموا الأدب مع الملك في زعمهم ، بحفظهم حرمة جنده ، الذي ربما مشى في ركاب الملك ، أو قضى حاجة من طفيف حاجاته ، فهم لذلك يرجون من الملك الجوائز ، ويؤملون منه العطايا ، فهل ترى من عاقل على ظهر الأرض ، لا يقطع بحماقة أولئك القوم ، أو بمراغمتهم للملك ؟ و كلا الأمرين ضلال ووبال ، ولا حول ولا قوة إلّا بالله .

والحاصل : أن كثيراً من الأمة قد اتخذوا معاوية حبيباً مودوداً ، كما اتخذت بنو أسرائيل عجلاً معبوداً ﴿ **كتب عليه أنه من تولاه فأنه يضله ويهديه إلى عذاب السعير** ﴾[1] وسينكشف لهم الغطاء ، ويتبين الصواب من الخطأ ، وستغشاهم الندامة إذا حشروا معه يوم القيامة ، فإن المرء يحشر مع من أحب ، وكفى بالمسلم خسارة أن يأتي ربه في زمرة إمامها معاوية الباغي ، ووزيرها عمرو الطاغي ، وينفصل عن

---

(١) سورة الحج : الآية ٤ .

عصابة قائدها محمد المصطفى ، ووزيرها علي المرتضى ، ﴿ مثل الفريقين كالأعمى والأصم والسميع والبصير هل يستويان مثلاً أفلا تذكرون ﴾[1] .

(١) سورة هود : الآية ٢٤ .

تذييل في رد مثل ضربه بعض فضلاء العصر

وقفت قريباً على كتاب لأحد فضلاء العصر ، أسبغ الله عليه فضله في فضائل الصحابة رضوان الله عليهم ، وقد ذكر فيه جملة صالحة مما ورد في فضلهم من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، إلاّ أنه عمم من ذلك ما كان خاصاً ، وأطلق من ذلك ما كان مقيداً ، تبعاً لبعض من تقدمه من العلماء ، وتقليداً محضاً لهم ، حتى أنه أثبت لمعاوية وعمرو وأمثالهم بذلك التعميم ، والإطلاق ، طرفاً من الفضائل ، التي لا تدل تلك الآيات والأحاديث على شيء منها ، واعتذر عن بعض بوائقهم وفظائعهم ، بما اعتذر به عنها من قلدهم من دعوى الإجتهاد لهم ، وإثبات الثواب على ما ارتكبوه من الكبائر ، والقبائح ، ولم يعط الأدلة حقها من التخصيص والتقييد ، هيبة من الإقدام على مخالفة من قلدهم ، وتلك قضية ، إنما يؤيدها الوهم ، ويهدمها البرهان ، إذ من البديهي ، أن إقدامنا على مخالفة الكتاب والحديث ، بعدم إعطائه حقه من الفحص والتحقيق ، أكبر وأعظم من مخالفتنا العلماء في ذلك ، بل مخالفتنا لهم في ذلك ، إنما تعد فضيلة ، واتّباعاً للرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، ولهم أيضاً ، وقد ضرب ذلك الفاضل مثلاً لعلي عليه السلام ولمعاوية بقوله شعراً :

كـالـشمس فـي الأفق الأعـلى أبـو حـسـن
ومــن مــعــاويــة فــي الأرض قــنــديــل

وأراه قـد أخطأ في هـذا التمثيل ، لأنـه لا يـلائم الـواقـع ، ولا يطابقه ، أما تمثيله علياً بالشمس ، فحق ، وصواب ، لأنه باب مـدينة علم المصطفى ، والمهتدون به كالمهتدين بنور الشمس ، وأمـا تمثيله معـاوية بـالقنديـل بالنسبـة إلى نور علي ، فخـطأ ، لأن معـاويـة كـان يعارض علياً ، ويسبه ، ويكذبه ، ويحاول إطفاء ذلك النـور الذي مثله بالشمس ، ولا كذلك القنديل بالنسبة للشمس ، فإن القنـديل ليس لـه أدنى طمع ، ولا قوة في تقليل ضوء الشمس ، ولكنـه ضعف نوره عن نورها ، فاختفى ، وهذا التمثيل يمكن أن يصح لعلي عليه السلام مـع أحد أعراب الصحابة ، وعـوامهم ، أما معـاوية فيصـح تمثيله مع نـور علي بـدخان كثيف ، تصـاعد من مـزبلة ، وانتشر انتشـاراً عـظيمـاً ، فأصاب عيـوناً رمـداً ، وأعشاهـا عن الإهتداء بـذلك النـور ، ولـم يؤثر تـراكم ذلك الـدخان على الأعين الصحيحـة النـظر ، ثم تمـزق ذلـك الـدخان المتـراكم ، وصـار هبـاءً منثـوراً ، ولكنـه أبقى آثـاراً في تلك الأعين المريضة ؛ ولا حول ولا قوة إلّا بالله .

قلت : وهـذا المؤلف الفـاضـل ، هـو من محبي أهـل البيت ، وإني والله أتمنى له زوال تلك البقية الباقية في صدره ، من موالاة عدو الله ، وعدو رسوله ، وأهل بيته ، وطرحه جانبـاً ، كما أمـر الله ، حتى يصفو له وداده للنبي عليه السلام ، ولأهـل بيته ، وتخلص محبتـه لهم من شائبة محبة أعدائهم، ويغسل قلبه من موالاة أولئك العتاة الفجرة، المحادين لله ورسوله ، فيكون حينئذ خالصاً مخلصاً محشوراً ، إن شاء الله ، في حـزب محمـد وعلي وأهــل البيت بعيـداً ، عن معــاويـة ، وأحزابه ، والله يتولى الجميع بهداه .

المقام الثاني في بيان فساد الشبه التي توقفت بسببها الفرقة الثانية عن استباحة لعنه ، وإعلان بغضه ، وتحريم موالاته ، كما سترى جميع ذلك موضحاً إن شاء الله تعالى .

الشبهة الأولى الصحبة :

وهي أعظم الشبه القائمة عند تلك الفرقة المتوقفة عن القول بجواز لعنه ، وسبه ، ووجوب بغضه ، وربما استحسنت بسببها تسويده ، والترضي عنه ، تعظيماً له ، وهو الأمر الذي دندن حوله أنصار معاوية ، وبنوا عليه العلالي ، والقصور ، وزاد الطنبور نغمة ، والطين بلة ، إصلاح أكثر المحدثين والأصولين ، على أن الصحابي ، هو من اجتمع بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم مؤمناً ، ومات على الإيمان ، وقول الكثير منهم بعدالة من سموه بهذا المعنى صحابياً ، ولو شرب الخمر ، وقتل النفس ، وزنى ، وسرق ، وأكل أموال الناس بالباطل ، وحادَّ الله ورسوله ، وعاث في الأرض فساداً ، وارتكب كل كبيرة ، وأوجبوا تأويل سيئاتهم ، وحملها على محمل حسن .

إذا قلت فاعلم ما تقول ولا تكن   كحاطب ليل يجمع الدق والجزلا

الإختلاف في عدالة كل الصحابة وبيان الحق فيه

وها أنا أبين لك معنى الصحبة لغة ، وعرفاً ، وأذكر ما يترتب عليها من فضل وحكم ، وأقرر من كتاب الله تعالى ، وحديث نبيه عليه وآله الصلاة والسلام ، بطلان ما عللوا به تعديلهم من ارتكب الكبائر ، ممن سموه صحابياً ، وأكشف لك الغطاء عما ستره الكثير ، من أن معاوية عار عن الفضائل الواردة عن الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم، في فضل أصحاب محمد عليه وعلى آله أفضل الصلاة والسلام ، حتى يعرف الحق طالبه .

فأقول : الصحبة لغة هي المعاشرة : قال في القاموس : صحبة كسمعة ، صحابة ويكسر ، وصحبة بالضم عاشره انتهى . وتطلق على المعاشرة في الزمن القليل والكثير ، وقد يخصصها العرف العام بمزيد الملازمة، والنصرة، والمؤازرة، والإختصاص. فالصاحب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ومثله غيره ، هو من عاشره ، سواء كان مسلماً أو كافراً ، براً أو فاجراً ، تقياً أو فاسقاً ، كما اقتضته لغة العرب ، وقامت عليه الشواهد من القرآن والحديث وكلام العرب ، لا كما اصطلح عليه المحدثون من تخصيص اسم الصاحب المسلم فقط ، ومن حيث أن صدق الصاحب على المعاشر المسلم ، لا نزاع فيه ، فلا حاجة إلى تجشم إيراد الأدلة عليه .

دونك أدلة صدق إسم الصحبة بين المسلم والكافر ، فضلاً عن الفاسق والمنافق قال الله تعالى مخاطباً لمشركي قريش ﴿ **ما ضل صاحبكم وما غوى** ﴾(١) .

وقال جل شأنه ﴿ **قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة** ﴾(٢) .

وقال تعالى : ﴿ **وأملي لهم أن كيدي متين، أوَ لم يتفكروا وما بصاحبهم من جنة** ﴾(٣) .

وقال عز شأنه : ﴿ **فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالاً وأعز نفراً** ﴾(٤) .

وقال جل جلاله : ﴿ **قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي**

---

(١) سورة النجم : الآية ٢ .
(٢) سورة سبأ : الآية ٤٦ .
(٣) سورة الأعراف : الآية ١٨٣ .
(٤) سورة الكهف : الآية ٣٤ .

خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سوّاك رجلاً ﴾[1] وكان أحدهما مؤمناً والآخر كافراً .

وقال تعالى : **﴿ كالذي استهوته الشياطين في الأرض حيران له أصحاب يدعونه إلى الهدى ائتنا ﴾**[2] .

وقال عز وجل : **﴿ وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفاً ﴾**[3] .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم حين سئل أن يقتل رأس المنافقين عبد الله بن أبي : لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه ، وكذلك قال في قصة الرجل الذي قال لما قسم غنائم حنين : إن هذه لقسمة ما أريد بها وجه الله ، فقال عمر : دعني يا رسول الله أقتل هذا المنافق ، فقال : معاذ الله أن يتحدث الناس أني أقتل أصحابي .

الإفراط في التثبت والتفريط فيه أيضاً

ويعلم مما ذكرنا : أن مجرد الصحبة لغة لا يختص بمسلم ، ولا بكافر، وأن الربح والخسران للمسلم في صحبة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، إنما هو في إحسان الصحبة وإساءتها ، والصحبة النافعة ما قارنها التعظيم والإنقياد له صلى الله عليه وآله وسلم ، والحب والإتباع ، كصحبة العشرة المبشرة ، والسابقين الأولين ، من المهاجرين والأنصار ، وأهل بدر وأهل بيعة الرضوان ، ومن أحسن إحسانهم ، وعمل كعملهم رضي الله عنهم أجمعين ، والصحبة

---

(١) سورة الكهف : الآية ٣٧ .

(٢) سورة الأنعام : الآية ٧١ .

(٣) سورة لقمان : الآية ١٥ .

الضارة ، ما قارنها الخداع ، والنفاق ، والعداء له عليه السلام ، ولأهل بيته ، وارتكاب المخالفات بعده ، واقتراف الكبائر ، كصحبة عبد الله بن أبي ، وثعلبة والحكم بن أبي العاص ، والوليد بن عقبة ، وحبيب بن مسلمة ، ومعاوية ، وعمرو بن العاص ، وسمرة بن جندب ، وبسر بن أرطأة ، وذي الثدية الخارجي ، والمغيرة بن شعبة وأمثالهم . والثواب والعقاب ، والأجر والأصر ، مرتب على تلك الأفعال ، فمن أحسن فله الحسنى ، ومن أساء فعليه ما اكتسب من الإثم ، ومن خلط ، وأحسن ، وأساء فله ثواب ما أحسن فيه ، وعقاب ما أساء به ، والموازنة في ذلك بحسب عظم الفعل ، وصغره ، ونية فاعله ، وتوبته ، وإصراره ، ومرجع ذلك كله إلى الله ، قال الله تعالى ﴿ للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون ، والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذلة مالهم من الله من عاصم كأنما أغشيت وجوههم قطعاً من الليل مظلماً أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾[1] .

الأحاديث الواردة في فضل الصحابة وشرحها

ويشهد لذلك ، ما جاء في حق خيار الصحابة ، من المبشرات ، والفضائل العظيمة ، والوعد بالحسنى ؛ كما سيأتي كثير من ذلك ، وما جاء في حق المحدثين والمسيئين والمنافقين منهم ، خاصة من الوعيد الشديد .

فمن ذلك ما أخرجه ابن عساكر عن أبي بكرة من حديث حدث به معاوية قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :(ليردن علي

---

(١) سورة يونس : الآية ٢٦ ـ ٢٧ .

الحوض رجال ممن صحبني ورآني فإذا رفعوا إلي ورأيتهم اختلجوا دوني فأقول رب أصحابي وفي لفظ أصيحابي فيقال لا تدري ما أحدثوا بعدك)(١) .

وأخرج البخاري في صحيحه عن ابن مسعود قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : (أنا فرطكم على الحوض ليرفعن إلي رجال منكم حتى إذا أهويت لأناولهم اختلجوا دوني فأقول أي رب أصحابي فيقول لا تدري ما أحدثوا بعدك)(٢) .

وأخرج في صحيحه أيضاً عن سهل بن سعد قال) (سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أنا فرطكم على الحوض من ورد شرب منه ومن شرب منه لم يظمأ بعده أبداً ليردن علي أقوام أعرفهم ويعرفوني ثم يحال بيني وبينهم قال أبو حازم فسمعني النعمان بن عياش وأنا أحدثهم هذا فقال هكذا سمعت سهلاً فقلت نعم ، قال : وأنا أشهد على أبي سعيد الخدري سمعته يزيد فيه قال إنهم مني فيقال إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك فأقول سحقاً سحقاً لمن بدل بعدي)(٣) .

وأخرج ابن عساكر ويعقوب بن سفيان عن أبي الدرداء قال : (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إني فرطكم على الحوض ، أنظر من يرد علي منكم ، فلا ألقين ما توزعت في أحدكم ، فأقول هذا مني وفي لفظ من أمتي وفي لفظ من أصحابي فيقال إنك لا تدري ما أحدث بعدك فقلت يا رسول الله أدع الله أن لا يجعلني منهم فقال إنك لست منهم)(٤) .

---

(١) كنز العمال ٢٣٨/٣ ـ ٢٣٩ ح (٣٦٧١٤) وقال : أخرجه (ابن عساكر) .

(٢) البخاري ٢٤٠٥/٥ ح (٦٢٠٥) .

(٣) ن . م ، ٢٤٠٦/٥ ح (٦٢١٢) .

(٤) كنز العمال ٩٤/١٣ ح (٣٦٣٢١) وقال أخرجه (ابن عساكر عن يعقوب بن سفيان) .

ونقل ابن عبد البر في الإستيعاب وأخرجه أحمد في المسند عن أم سلمة رضي الله عنها قالت قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : (إن من أصحابي من لا أراه ولا يراني بعد أن أموت أبداً قال فبلغ ذلك عمر فأتاه يشتد ويسرع فقال أنشدك الله أنا منهم قالت لا ولن أبرىء بعدك أحداً)[1] .

وأخرج أحمد في المسند والطبراني في الكبير وأبو نصر السبحزي في الإبانة عن ابن عباس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : (أنا آخذ بحجزكم ، أقول اتقوا النار ، واتقوا الحدود ، فإذا مت تركتكم ، وأنا فرطكم على الحوض ، فمن ورد فقد أفلح ، فيؤتى بأقوام فيؤخذ بهم ذات الشمال ، فأقول يا رب أمتي فيقول: إنهم لم يزالوا بعدك، يرتدون على أعقابهم)[2] . وفي رواية للطبراني في الكبير بعد قوله يا رب أمتي فيقال إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك مرتدين على أعقابهم .

وأخرج أبو داود الطيالسي وأحمد في المسند وعبد بن حميد وأبو يعلى والحاكم في المستدرك وابن أبي شيبة عن أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : (ألا ما بال أقوام يزعمون أن رحمي لا تنفع والذي نفسي بيده ، أن رحمي لموصولة في الدنيا والآخرة ، ألا وإني فرطكم أيها الناس على الحوض ، ألا وسيجيء أقوام يوم القيامة ، فيقول القائم منهم أنا فلان بن فلان ، فأقول أما النسب فقد عرفت ، ولكنكم أرتددتم بعدي ورجعتم القهقرى)[3] .

---

(١) مسند أحمد ٣٠٧/٦ .

(٢) كنز العمال ١٧٦/١١ وقال أخرج (الطبراني في الكبير وأبو نصر السبحزي في الإبانة عن ابن عباس) .

(٣) كنز العمال ١٧٧/١١ ح (٣١١١٥) وقال أخرجه (الطبراني وأحمد وأبو يعلي والحاكم

وأخرج الديلمي عن أنس رضي الله عنه : (إياك وصاحب السوء ، فإنه قطعة من النار ، لا ينفعك وده ، ولا يفي لك بعهده)[1] .

أما ما ذكره أكثر المحدثين والأصوليين ، من اشتراط الإيمان في إسم الصحابي ، وموته عليه ، فذاك اصطلاح خاص لهم ، ولا مشاحة في الإصطلاح ، فلا منازع لهم فيه ، وأن نازع بعضهم بعضاً ، إذ لا يترتب على تخصيصهم الصاحب بالمسلم أمر محذور .

وأما تعديلهم كل من سموه بذلك الإصطلاح صحابياً ، وإن فعل ما فعل من الكبائر ، ووجوب تأويلها له ، فغير مسلم ، إذ الصحبة مع الإسلام لا تقتضي العصمة اتفاقاً ، حتى يثبت التعديل ، ويجب التأويل على أنهم اختلفوا في ذلك التعديل اختلافاً كثيراً ، والجمهور هم القائلون بالعدالة .

قال في جمع الجوامع وشرحه : (والأكثر على عدالة الصحابة لا يبحث عنها في رواية ولا شهادة لأنهم خير الأمة قال صلى الله عليه وآله وسلم : خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ومن طرأ له منهم قادح عمل بمقتضاه ، وقيل : هم كغيرهم فيبحث عن العدالة فيهم إلّا من يكون ظاهر العدالة أو مقطوعها ، وقيل : هم عدول إلى حين قتل عثمان ويبحث عن عدالتهم من حين قتله لوقوع الفتن بينهم حينئذ ومنهم الممسك عن خوضها ، وقيل : هم عدول إلّا من قاتل علياً فهم فساق لخروجهم على الإمام الحق ، ورد : بأنهم مجتهدون في قتالهم له فلا يأثمون وإن أخطأ بل يؤجرون ، إنتهى بحروفه .

= وابن أبي شيبة وعبد بن حميد عن أبي سعيد) ، مسند أحمد ٦٠/٣ ، مستدرك الحاكم ٧٢/٤ .

(١) فردوس الديلمي ٤٧٣/١ ح (١٥٧٣) .

وهل هذه الخيرية بحسب الأفراد ؟ أو بحسب المجموع ؟ نحّى الجمهور إلى الأول والآخرين إلى الثاني .

قلت : قد اعترض على استدلال الجمهور بهذا الحديث ، فإنه لا ينهض بمدعاهم ، لأن الخيرية التي حاولوا بها إثبات عدالة كل الصحابة ، شاملة لمن كان في قرنه عليه السلام من المسلمين ، غير الصحابة فيلزمهم القول بعدالتهم ، كما قالوا بعدالة الصحابة ، وأن كل فرد من أهل القرن الأول ، يكون أعدل وأفضل من الحسن ، وابن سيرين ، وعمر بن عبد العزيز ، وأمثالهم من أهل القرن الثاني ، واللازم باطل ، فبطل الملزوم ، ويلزمهم أيضاً ، تفضيل يزيد ، والحجاج ، وأغيلمة قريش ، وابن زياد ، وأمثالهم من فسقة القرن الثاني ، على أكابر أهل القرن الثالث ، كمالك ، والشافعي ، وسفيان ، وأمثالهم ، وليس كذلك ، فتعين أن المراد في الحديث خيرية المجموع ، على المجموع ، وعليه : لا ثبوت بالحديث المذكور ، لعدالة كل الصحابة ، بل يكونون كغيرهم ، فيبحث عن عدالتهم إلّا من كان ظاهر العدالة ، أو مقطوعها ، كالخلفاء الأربعة ، وغيرهم ، من الصحابة ، الذين لا مطعن فيهم ، ولهم السوابق ، والمشاهد مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، على أن في صحة حديث خيرية القرون ، من حيث المعنى مقال مقبول ، إلّا أن تؤول الخيرية ، أو القرن بما يطابق المعنى ، لأن الخمسين الأخيرة من سني أول القرون ، هي شر السنين على الإسلام والمسلمين ، إذ فيها كانت ولاية يزيد بن معاوية ، وقتل الحسين عليه السلام ، وعترته ، وخيار شيعته ، واستباحة المدينة الشريفة ، وهتك حرم ساكنيها ، وقتل أكابر الصحابة فيها ، ومحاصرة مكة ، ورمي الكعبة بالمنجنيق ، وفيها شرب خلفاء الإسلام الخمور، وارتكبوا الفجور ، وقتلوا المسلمين ، وسبوا حريمهم ، ونقشوا على أيديهم كما نقش

على أيـدي سبي الـروم ، وذلـك في خـلافـة بني مـروان ، وأمـرة الحجاج .

قال المازري[1] في شرح البرهان : (في الصحابة عدول وغير عدول ، ولا نقطع إلاّ بعدالة الذين لازموه صلى الله عليه وآله وسلم ، ونصروه واتبعوا النـور الذي أنـزل معه ، وأمـا عدالـة كل من رآه عليـه الصلاة والسلام يوماً ما أو زاره لماماً أو اجتمع به لغرض وانصـرف فلا نقطع بها بل هي محتملة وجوداً وعدماً)[2] .

قال السيد الألوسي وإلى نحو هذا ذهب ابن العماد الحنبلي في شـذرات الذهب[3] ، إنتهى . ومـا رد به الجمهـور على من قال بنفي عدالة من اقترف كبيرة كقتـال علي مع الإصـرار عليه بـأنهم مجتهدون فيما شجر بينهم وغاية ذلك أنهم أخطئوا فلهم أجر واحد مردود بمـا قدمنـاه في إبـطال دعـوى اجتهـاد معـاويـة من أن الإجتهـاد لا يصـح في مقـابلة النصـوص وبأنه لم يثبت أن الصحابة كلهم من أهل الإجتهاد لا يصح في مقـابلة المنصـوص وبـأنـه لم يثبت أن الصحـابـة كلهم من أهـل الإجتهـاد بل الشـابت أن منهم المجتهـد ومنهم العـامي فيكـون حينئـذ المجتهد منهم عدلاً والعامي فاسقاً وهو غير مرادهم .

وقد احتج القائلون ، ومنهم : ابن عبد البر ، بأن أفضليـة القرن الأول على الثـاني ، والثـانـي على الشـالث ، إنـمـا هي بـحسـب المجموع ، لا بحسب الأفراد . بحيث يمكن أن يكون فيمن يأتي بعد الصحـابة ، مَنْ هـو أفضل من الصحـابة ، كمـا صرح بـه القـرطبي .

---

(١) في الأصـل المارزي ، والصحيـح هو المـازري نسبـة ألى (مـازره) مـوضـع في جـزيـرة صقلية . راجع : الإمام المازري لمؤلفه حسن حسين عبد الوهاب .

(٢) الأجوبة العراقية ص ١١ ، الألوسي ، المطبعة الحميدية ببغداد .

(٣) ن . م . ص ١١ .

احتجوا بحديث (مثل أمتي كالمطر ، لا يُدْرَى أوله خير أم آخره)[1] ، وأخرجه الترمذي ، وابن حبان ، وصححه وبحديث ابن أبي شيبة من حديث عبد الرحمن بن جبير بإسناد حسن قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (ليدركنَّ المسيح أقواماً إنهم لمثلكم أو خير قالها ثلاثاً ولن يخزي الله أمة أنا أولها والمسيح آخرها)[2]. وبما روى أحمد والطبراني من حديث أبي جمعة الأنصاري قال: (قال أبو عبيدة يا رسول الله أأحد خير منا ؟ أسلمنا معك وجاهدنا معك ، قال : قوم يكونون من بعدكم يؤمنون بي ولم يروني)[3] ، صححه الحاكم . وأخرجه البخاري في خلق أفعال العباد ، من حديث أبي جمعة أيضاً ، ولفظه : (كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومعنا معاذ بن جبل عاشر عشرة فقلنا : يا رسول الله هل من أحد أعظم منا أجراً ؟ آمنا بك، واتبعناك. قال وما يمنعكم من ذلك ؟ ورسول الله بين أظهركم . يأتيكم بالوحي من السماء ، بل قوم يأتون من بعدكم ، يأتيهم كتاب بين لوحين فيؤمنون به ، ويعملون بما فيه أولئك أعظم منكم أجراً)[4] . وبما أخرج الترمذي ، من حديث أبي ثعلبة رفعه (تأتي أيام للعامل فيهن أجر خمسين قيل منهم أو منا يا رسول الله قال بل منكم)[5] . وبحديث عمر مرفوعاً قال : (كنت جالساً عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال أتدرون أي الخلق أفضل إيماناً قلنا الملائكة ، قال : وحق لهم بل غيرهم قلنا الأنبياء ، قال وحق لهم غيرهم ثم قال صلى الله عليه وآله وسلم: أفضل الخلق

---

(١) فتح الباري ج ٨ ص ٧ .

(٢) كنز العمال ١٤/٣٣٤ ح (٣٨٨٤٩) وفيه (ليدركن الدجال) بدل (ليدركن المسيح) .

(٣) مسند أحمد ٤/١٠٦ .

(٤) خلق الأفعال ص ٨٤ .

(٥) الصواعق المحرقة ص ٢١٢ .

إيماناً قوم في أصلاب الرجال ،يؤمنون بي ولم يروني)[1] ، الحديث أخرجه الطيالسي وغيره ، وفي إسناده ضعف . وبحديث (أمتي أمة مباركة لا يُدْرَى أولها خير أم آخرها)[2] . أخرجه ابن عساكر عن عمرو بن عثمان مرسلاً بسند حسن وبخبر (طوبى لمن رآني وآمن بي مرة وطوبى لمن آمن بي ولم يرني سبع مرات)[3] . وبما روي أن عمر بن عبد العزيز لما ولي الخلافة ، كتب إلى سالم بن عبد الله بن عمر رضي الله عنهم ، أن أكتب لي سيرة عمر بن الخطاب لأعمل بها ، فكتب إليه سالم : إن عملت بسيرة عمر ، فأنت أفضل من عمر . لأن زمانك ليس كزمان عمر ، ولا رجالك كرجال عمر . وكتب إلى فقهاء زمانه ، فكلهم كتب بمثل قول سالم[4] .

قال ابن عبد البر فهذه الأحاديث تقتضي مع تواتر طرقها وحسنها التسوية بين أول هذه الأمة وآخرها في فضل العمل إلاّ (أهل بدر والحديبية)[5] ، إنتهى ، وروي عن ابن سيرين بسند صحيح أن الإمام المهدي يكون أفضل من أبي بكر وعمر ، إنتهى .

قلت : وأزيدك على ما مر أن في القول بتعديل جميع الصحابة على اصطلاحهم معارضة للقرآن وللحديث فإن الله سبحانه وتعالى سمى الوليد بن عقبة وهو صحابي فاسق في موضعين من القرآن وأمر النبي والمؤمنين بالتشبث في قبول خبره فكيف ساغ للجمهور تسميته عدلاً وقبول روايته ، قال الله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم**

---

(١) الصواعق المحرقة ٢١٢ .

(٢) كنز العمال ١٣/١٥٤ ح (٣٤٤٥١) وقال أخرجه ابن عساكر عن عمرو بن عثمان مرسلاً .

(٣) ن . م ١١/ ح (٣٢٤٧٣) ، (٣٢٤٧٢) .

(٤) الصواعق المحرقة ٢١٢ .

(٥) نحوه في الإستيعاب ١/٨ . ونقله بنصّه في الصواعق المحرقة ص ٢١٢ .

نادمين ﴾[1] ، وأخرج ابن جرير في تفسيره عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعث الوليد بن عقبة بن أبي معيط إلى بني المصطلق، ليأخذ منهم الصدقات، وأنه لما أتاهم الخبر، فرحوا، وخرجوا، ليتلقوا رسل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأنه لما حدث الوليد أنهم خرجوا يتلقونه، رجع إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : يا رسول الله إن بني المصطلق قد منعوا الصدقة ، فغضب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم غضباً شديداً . فبينما هو يحدث نفسه أن يغزوهم ، إذ أتاه الوفد ، فقالوا : يا رسول الله إن رسولك رجع من نصف الطريق ، وإنا خشينا أن يكون إنما رده كتاب منك ، لغضب غضبته علينا ، وإنا نعوذ بالله من غضبه ، وغضب رسوله ، فأنزل الله تعالى عذرهم في الكتاب فقال **﴿ يا أيها الذين آمنوا أن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة ﴾** الآية)[2] .

قال ابن عبد البر : (ولا خلاف بين أهل العلم بتأويل القرآن فيما علمت أن قوله عز وجل **﴿ إن جاءكم فاسق بنبأ ﴾** نزلت في الوليد بن عقبة)[3] ، إنتهى .

وأخرج ابن جرير أيضاً عن عطاء بن يسار في تفسير قوله تعالى **﴿ أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون ﴾**[4] قال : (نزلت بالمدينة في علي بن أبي طالب عليه السلام والوليد بن عقبة بن أبي معيط كان بين الوليد وبين علي عليه السلام كلام فقال الوليد بن عقبة

---

(١) سورة الحجرات : الآية ٦ .

(٢) التفسير ١٢٤/٢٦ طبع الحبابي بمصر سنة ١٣٧٣ / ١٩٥٤ .

(٣) الإستيعاب ١٥٥٣/٤ ح (٢٧٢١) .

(٤) سورة السجدة : الآية ١٨ .

أنـا أبسط منك لسـاناً وأحـد منك سنـاناً وأرد منـك للكتيبـة فقـال علي أسكت فأنك فاسق فأنزل الله فيهما ﴿ **أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون** ﴾ قال : لا والله ما استويا في الدنيا ولا عند المـوت ولا في الآخرة)[1] إنتهى .

قلت : والوليد هذا ، هو أخو عثمان رضي الله عنه لأمه وقد ولاه الكـوفة ، وعـزل عنها سعـد بن أبي وقاص ، قـال ابن عبد البـر (ولـه أخبـار فيها نكـارة وشناعـة ، تدل على سـوء حالـه ، وقبيـح أفعـالـه ، وقال : وأخباره في شرب الخمر ، ومنادمته أبا زبيـد الـطائي مشهورة ، كثيرة ، يسمح بنا ذكرها هنا ، قال : وخبر صـلاته بـأهل الكـوفة وهـو سكران ، وقوله : أزيدكم بعد أن صلى الصبح أربعـاً مشهور من رواتـه الثقاة ، ومن نقل أهل الحديث ، وأهل الأخبار وفيه يقول الحطيئة :

تكلم في الصــلاة وزاد فيهـا ... عــلانيـة وجــاهـر بــالنفـاق
ومج الخمر في سنن المصلى ... ونـادى والجميـع إلى افتـراق
أزيــدكم على أن تحمـدوني ... فمـالكم ومالي من خـلاق[2]

وأما معارضته للأحاديث : فقد قدمنا قريباً في تعـريف الصحابي كثيـراً منها ، تعـرف منه وجـوه المعارضـة ، لماذا ذكـروا ، فلا نـطيل بأعادته ، فارجع إليه ، وفقك الله .

على أنّـا نقول لهم إن الصحـابة أنفسهم ، لا يـدعـون لأنفسهم هذه المنزلة ، التي ادعاهـا بعض المحدثين لهم ، من العـدالة العـامة فيهم . وهم أعرف بأنفسهم ، وبمن عاصروه ، وعـاشروه ، من هؤلاء الـذين كادوا يتخـذون الصحابـة أنبياء معصـومين ، كيف ؟! وقد نقـل

---

(١) ن . م ، ص ١٥٥٤ .
(٢) الإستيعاب ٤/١٥٥٥ رقم (٢٧٢١) .

عنهم ، وشاع ، وانتشر رد بعض منهم روايات البعض الآخر ، واتهامه في النقل ، وعدم قبول ما جاء به ، إلاّ بعد تثبت شديد ، وتحر عظيم ، وقد صح عن علي كرم الله وجهه أنه يقول : (ما حدثني أحد بحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلاّ استحلفته وما استثنى أحداً من المسلمين إلا أبا بكر) .

وقال كرم الله وجهه لعمر رضي الله عنه وقد أفتاه الصحابة في مسألة وأجمعوا عليها : (إن كانوا راقبوك فقد غشوك ، وإن كان هذا جهد رأيهم فقد أخطأوا)[1] ، وقد صرح غير مرة بتكذيب أبي هريرة حتى قال مرة : (لا أحد أكذب من هذا الدوسي على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم) ، وقال عمر رضي الله عنه لما استأذنه الزبير في الغزو : (إني ممسك بباب هذا الشعب أن تتفرق أصحاب محمد في الناس فيضلوهم) وقال في سعد بن عبادة سيد الأنصار رضي الله عنه : (اقتلوا سعداً اقتلوه ، فإنه منافق) وقال (لقد أكثر علينا أبو هريرة) وطعن في روايته وشتم خالد بن الوليد وحكم بفسقه وخون عمرو بن العاص ومعاوية ، ونسبهما إلى سرقة مال الفيء .

وقال عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه : (ما كنت أرى أني أعيش حتى يقول لي عثمان يا منافق) وقال : (لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما وليت عثمان شسع نعلي) .

وهذه عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها خرجت بقميص رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تقول : (إن هذا قميص رسول الله لم يبل وعثمان قد أبلى سنته) وروى بعض الصحابة حديث الشؤم في ثلاثة فكذبته ، وروى بعضهم حديث التاجر فاجر فكذبته .

---

(١) شرح النهج طبع مصر ١/ ٣٦٠ .

وأنكـر العباس وعلي وفـاطمة رضي الله عنهم حـديث الصـديق نحن معـاشر الأنبيـاء لا نورث ، وقـالوا : كيف كـان النبي يعرِّف هـذا الحكم غيرنا ، ويكتمـه عنا ، ونحن الـورثة ، وأولى النـاس بأن يؤدي هذا الحكم إليه .

ولم يقبل سعد بن عبادة وكثير من الأنصار حديث الصديق رضي الله عنه الأئمة من قريش .

وقيل لابـن عباس رضي الله عنهما : إن عبد الله بن الزبير يـزعم أن موسى صاحب الخضر ليس موسى بني إسرائيل فقال : كذب عـدو الله .

وكذَّب عروة بن الزبير وهـو تابعي بن عبـاس ، وهو صحـابي ، حين أخبر أن ابن عباس يقول إن النبي صلى الله عليه وآلـه وسلم أقام بمكة بعد البعثة ثلاثة عشرة سنة فقال كذب ابن عباس .

وقد جاء أمثال هذا عن كثير من الصحابة رضي الله عنهم مما لا يمكننا الإطالة بذكره ، فلو كانوا يعتقدون عدالة الكل كما قال هؤلاء ، لما ساغ لأحد منهم رد رواية الآخر ، بل يجب عليه قبولها ، والإذعان بمـا فيها . وبـالجملة فالقـول بعموم التعـديل مـردود ، مهـدوم ، بمـا تقـدم ، ولـم يبق بعـد هـذه النقـول والإيـرادات لـدى القـائلين بـه من حجة ، يدافعون بها عن هذه القاعدة ، التي اصطلحـوا عليها . إلاّ أن يقول هذا لا يصح ، وهذا لم يثبت ، وإن كان ثابتاً وصحيحاً في نفس الأمر والله أعلم .

الإفراط في التثبت والتفريط فيه أيضاً

وقـد أهمل كثيـر من أهل الحـديث واجبَ التثبت في الروايـة ، كمـا أمر الله من جـانب ، وتجاوزوا القـدر المـطلوب من التثبت ، من

جانب آخر ، فتراهم يصححون ، ويقبلون بلا أدنى توقف ، رواية من أخبر الله عنه في كتابه ،إنه فاسق ، كالوليد بن عقبة ، ومن أخبر النبي أنه وزغ ، ملعون ، كالحكم ، ومن أخبر عنه أنه في النار كسمرة ، ومن أخبر النبي أنه داع إلى النار كمعاوية ، وعمرو وأمثالهم .

ثم تراهم يضعفون رواية من يقول فيه يحيى بن معين ، أو أبو حاتم أو ابن القطان ، أو ابن أبي خيثمة ، أو العجلي ، أو أمثالهم ، لا أعرفه ، أو لا أحبُّ حديثه ، أو في نفسي منه شيء ، أو كان يتشيع ، أو ربما كان يهم ، وأمثال هذا ، مما لا يثبت به جرح ، ولم يقم عليه دليل ، ولو كان من قيل فيه ، ما قاله أحدهم ، من أصدق الناس ، وأتقاهم ، درج على هذه الطائفة ، وقيل بعد قيل ، داء عضال ، لا علاج له إلاّ الإبتهال إلى الله تعالى ، أن يجعلنا على بصيرة من هذا الأمر ، توفيقاً منه وإحساناً .

إننا أهل السنة ، قد انكرنا على الشيعة دعواهم العصمة للأئمة الإثني عشر عليهم السلام ، وجاهرناهم بصيحات النكير ، وسفهنا بذلك أحلامهم ، ورددنا أدلتهم ، بما رددنا ، أفبعد ذلك يجمل بنا أن ندعي ، أن مائة وعشرين ألفاً حاضرهم ، وباديهم ، وعالمهم ، وجاهلهم ، وذكرهم ، وأنثاهم ، كلهم معصومون ؟ أو كما نقول محفوظون ، من الكذب ، والفسق ، ونجزم بعدالتهم أجمعين ، فنأخذ رواية كل فرد منهم ، قضية مسلمة ، نضلل من نازع في صحتها ، ونفسقه ، ونتصامم عن كل ما ثبت ، وصح عندنا ، بل وما تواتر من ارتكاب بعضهم ما يخرم العدالة ، وينافيها من البغي ، والكذب ، والقتل بغير حق ، وشرب الخمر ، وغير ذلك ، مع الإصرار عليه ، لا أدري كيف تحل هذه المعضلة ؟ ولا أعرف تفسير هذه المشكلة ؟ .

إليـك فإني لسـت ممـن إذا اتـقى
عضـاض الأفـاعي نـام فـوق العقـارب

الأمر بحسن الظن ليس عاماً

أمـا الأمـر بحسن الـظن فحسن ، ولكنـه ليس في مقـام بيـان الحق ، وإبطال الباطل ، والكلام على جرح ، أو تعديل ، ولو سـوغنا هـذا ، لتعطلت الأحكـام ، وبطلت الحـدود ، والشهـادات ، وكبكب الشرع على أم رأسه ، إذ لا وجه لتخصيص أشخاص ، دون آخرين ، بحسن الـظن بهم ، في كـل مـا يفعلونـه ، إذا تـرتب على فعله حكم شـرعي ، إلّا بمخصص شـرعي ، وأني بـذلـك ، ولـو عمَّمنـا القـول بذلك ، لكان حسن الظن حسناً بكـل فـرد من أفراد المسلمين ، في كل ما يفعله ، كما يقول به بعض الصوفية ، فيتأول حينئذ لكل منهم ، ما ارتكبه من القبائح ، والبدع المضلة ، والكبائـر ، ويُحمَلُ كـلُّ ذلك على محمـل حسن ، وقصد صـالح ، ويـدخـل في ذلـك الخـوارج ، وغلاة الرافضة ، فيما يـرتكبونـه من البدع ، والتكفيـر ، والسب وهلم جـراً . أللهم غفرانـك ، إن بهـذا يتعـطل الشـرع ، وتلتبس الأمـور ، ويختلط الحابل بالنابـل ، بل الـواجب إجراء كـل شيء في مجراه عند إرادة إيضـاح الحقائق ، وبيـان المشروعـات ، وبهذا عمـل الصحابـة رضي الله عنهم ، فيمـا بينهم ، وهكـذا عمـل جهـابـذة أصحـاب الحـديث ، في الجرح ، والتعـديـل في رواة الحـديث ، إلّا فيمن لـه صحبة ، على حسب اصطلاحهم ، في تعريف الصاحب ، وهي نقطة الإنتقـاد عليهم ، ومحل الإشكـال . إذ كيف يمكن طـالب الحـق أن يعتمـد على ما قـالوه ، ويجـري على مـا جـروا عليـه مـن التسـويـة صحـة واحتجـاجاً بين روايات أبي بكر ، وعمر ، وعثمـان ، وعلي ، وأمثالهم ، رضوان الله عليهم ، وبين روايات الحكم والوليـد ومعاويـة

وعمرو وأشباههم ؟! سبحان الله : ﴿ أفمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله ﴾[1] لا والله ، ثم لا والله ، إن الإذعان للحق شأن المنصفين ﴿ ولكن أكثرهم للحق كارهون ﴾[2] .

ودونك الآن ـ كما وعدنا ـ بعض ما جاء من الآيات ، والأحاديث الدالة على فضائل زمر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ورضي عنهم ، يعرف بها علو مقدارهم عند الله ، وعظيم منزلتهم لديه ، مما يوجب علينا توقيرهم ، واحترامهم ، ومحبتهم ، واعتقاد حسن سلوكهم ، ومصيرهم ، غير أن كثيراً من الناس ، يوردونها مغالطة في فضائل عموم كل من سُمِّيَ باصطلاح المحدثين صحابياً ، ليُدخلوا في تلك الفضائل معاوية ، وأشباهه ، ولكن إذا تأملها المنصف ، المقيد نفسه باتباع الحق ، والإذعان له ، لم يجد لمعاوية وأمثاله فيها ناقة ولا جملاً ، وعرف أن بينه وبين تلك الفضائل بعد المشرقين .

فضائل الصحابة والآيات في فضلهم وبيانها

أما الآيات فمنها : قوله تعالى ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ﴾[3] الآية .

قال ابن عبد البر : (قال ابن عباس رضي الله عنهما في قول الله عز وجل ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس ﴾ : هم الذين هاجروا مع محمد صلى الله عليه وآله وسلم)[4] .

---

(١) سورة آل عمران : الآية ١٦٢ .

(٢) سورة الزخرف : الآية ٧٨ .

(٣) سورة آل عمران : الآية ١١٠ .

(٤) الإستيعاب ١/٩ .

أثبت الله سبحانه وتعالى لهذه الأمة الخيرية على سائر الأمم ، ولا شيء يعدل شهادة الله بذلك ، ولا شك أن الصحابة رضوان الله عليه هم المقصودون أولاً بالخطاب ، وهم صدر الأمة ، وخيرها . وهذه الخيرية ، هي بحسب مجموع هذه الأمة على مجموع غيرها ، لا بحسب أفرادها على أفراد الأمم الأخرى ، إذ لو كان كذلك للزم أن يكون الفاسق من هذه الأمة خيراً من حواريي عيسى عليه السلام ، وأنبياء بني إسرائيل . وهو باطل إجماعاً ، وإذا كان بحسب المجموع خرج أهل الكبائر ، والبوائق من هذه الأمة ، عن هذه الخيرية ، كمعاوية ، وابنه ، وكثيرين غيرهما . على أن الله تعالى بين جهة الخيرية بقوله ﴿ تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ﴾ ومعاوية وأعوانه بضد ذلك على خط مستقيم ، فإنهم كما قدمنا ذلك عنهم ، وأثبتناه ، يأمرون بالمنكر ، وينهون عن المعروف ، ويدعون إلى النار **﴿ قاتلهم الله أنى يؤفكون ﴾**(١) .

ومنها قوله تعالى : **﴿ والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم ﴾**(٢) أعد الله الجنات للسابقين الأولين من المهاجرين والأنصار ورضي عنهم كما أخبر وللذين اتبعوهم بإحسان أترى معاوية وأتباعه من المتبعين بالإحسان لا والله بل سلكوا سبيلاً معاكساً لما سلكه السابقون وركبوا متن طرق البغي والجور والضلالة .

سارت مشرقة وسرت مغرباً   شتان بين مشرق ومغرب

ومنها قوله تعالى **﴿ واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة**

---

(١) سورة التوبة : الآية ٣٠ .

(٢) سورة التوبة : الآية ١٠٠ .

والعشي يريدون وجهه ﴾(1) هؤلاء هم أهل الصفة رضي الله عنهم وليس منهم ذلك الطاغية ، ولا أحد من أنصاره ، كما أجمع على ذلك أهل التفسير أخرج البيهقي في شعب الإيمان وابن مردوية وأبو نعيم في الحلية عن سلمان قال جاءت المؤلفة قلوبهم إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عيينة بن بدر والأقرع بن حابس (فقالوا يا رسول الله لو جلست في صدر المجلس وتغيبت عن هؤلاء وأرواح جبابهم ـ يعنون سلمان وأبا ذر وفقراء المسلمين وكانت عليهم جباب الصوف ـ جالسناك وحدثناك وأخذنا عنك ، فأنزل الله تعالى : **﴿ واتل ما أوحي إليك من كتاب ربك ـ إلى قوله ـ اعتدنا للظالمين ناراً ﴾**(2) ، يتهددهم بالنار)(3) . وأخرج ابن جرير والطبراني وابن مردويه عن عبد الرحمن بن سهل بن حنيف قال : (نزلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو في بعض أبياته ، **﴿ واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي ﴾**(4) فخرج يلتمس ، فوجد قوماً يذكرون الله ، فيهم : حاسر الرأس ، وجاف الجلد ، وذو الثوب الواحد ، فلما رآهم جلس معهم ، وقال : الحمد لله الذي جعل لي في أمتي من أمرني أن أصبر نفسي معه)(5) .

ومنها قوله تعالى : **﴿ لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة ﴾**(6) الآية ، هؤلاء هم أهل بيعة الرضوان اختصهم الله تعالى برضاه حين بايعوا رسول الله تحت الشجرة على الموت في قتال

---

(1) سورة الكهف : الآية ٢٨ .
(2) سورة الكهف : الآيات ٢٧ ـ ٢٨ ـ ٢٩ .
(3) حلية الأولياء ـ مختصراً ـ ١/٣٤٥ مكتبة الخانجي سنة ١٣٥١/١٩٣٢ .
(4) سورة الكهف : الآية ٢٨ .
(5) التفسير ١٥/٢٣٥ طبع الحبابي سنة ١٣٧٣/١٩٥٤ .
(6) سورة الفتح : الآية ١٨ .

أبي سفيان ومعاوية ومن معهما من كفار قريش وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة .

ومنها : قوله تعالى : ﴿ **للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون، والذين تبوؤا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ،والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا أنك رؤوف رحيم** ﴾[1] .

يشهد الله وملائكته والمؤمنون ، أن معاوية وأنصاره ، ليسوا من الذين جاؤا من بعد يستغفرون لسابقيهم ، بل جاء معاوية بسب أول المهاجرين إسلاماً،وأقربهم قرابةً إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ويلعنه ، وأهل بيته ، على المنابر ، وقتاله ، وبغيه ، على الله ، وعلى رسوله ، عاش هو ، وأبوه ، وبنوه ، حرباً لله تعالى ، ولرسوله ، وأهل بيته ، عاملهم الله بما يستحقون .

ومنها : قوله تعالى : ﴿ **محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيماهم في وجوههم من أثر السجود ـ إلى أن قال جل وعلا ـ وعد الله للذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجراً عظيماً** ﴾[2] وصف الله أصحاب رسوله بشدتهم على الكفار والتراحم

---

(١) سورة الحشر : الآية ٨ ـ ٩ ـ ١٠ .

(٢) سورة الفتح : الآية ٢٩ .

بينهم وبكثرة الركوع والسجود ابتغاء فضل الله ورضوانه) ، ثم ودعهم إذ ذاك بالمغفرة ، والأجر العظيم ، وهذا كله ، فيمن أسلم قبل صلح الحديبية ، لأن الآية نزلت عقيبه ، كما ذكره المفسرون ، ومعاوية ، وأبوه ، وأنصاره ، إذ ذاك يسجدون للاّت ، والعزى ، وهبل ، وهم الكفار الذين أغاظهم الله ، كما ذكر في الآية بأصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وماذا يغني من أورد هذه الآية في فضائل كل من سماه المحدثون صحابياً ؟ مدعياً عموم قوله تعالى ﴿ **والذين معه** ﴾ ، حتى يدخل طاغية الإسلام ، وحزبه ، في هذا العموم ، وهيهات هيهات .

ومنها : قوله عز وجل ﴿ **لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد تزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم إنه بهم رؤوف رحيم** ﴾(١) .

ما ادعى أحد ، أن معاوية من المهاجرين ، ولا من الأنصار ، فلا مدخل له في توبة الله عليهم ، وإن كان من جيش العسرة ، فإن التوبة وقعت للمهاجرين ، والأنصار ، فحسب .

ومنها : قوله عز وجل ﴿ **لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى والله بما تعملون خبير** ﴾(٢) .

كلا الطائفتين المقاتلتين موعود من الله بالحسنى ، ولا ريب في أن النار محرمة ، على كل من سبقت له ، لأن الله جل جلاله ، يقول : ﴿ **إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون** ﴾(٣) ، ومعاوية لم يكن ممن أنفق ، وقاتل ، لا قبل الفتح ،

---

(١) سورة التوبة : الآية ١١٧ .

(٢) سورة الحديد : الآية ١٠ .

(٣) سورة الأنبياء : الآية ١٠١ .

ولا بعـده ، فلا نصيب لـه من ذلك الـوعد بـالحسنى ، وحضوره ، إن صح مع النبي في غزوة تبوك ، لا يفيد دخوله في الطائفة الثانية ، لأنه لم يقع في تلك الغزوة قتال أصلاً ، أمـا دعوى من ادعى : أن التقييـد بـالإنفـاق ، والقتـال ، في هـذه الآيـة ، وتقييـد الإتبـاع بـأحسـان في الأخرى ، لا مفهوم له ، ولا يخرج بـه من لم تكن له هـذه الصفات ، فدعوى ساقطة ، وتـلاعب بمعاني كـلام الله ، ومكابـرة ، وعناد للحق ﴿ أفمن زين له سوء عمله فرآه حسـناً ﴾[1] .

وأمـا الأحاديث : فمنهـا ما أخـرجه الشيخـان وغيرهمـا عن أبي سعيد قال : (كـان بين خالـد بن الوليـد وعبد الـرحمن بن عوف شيء فسبه خالـد فقال النبي صلى الله عليـه وآله وسلم : لا تسبوا أصحابي فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه)[2] .

قال الحافظ بن حجر وغيره من شراح الحديث : فيه إشعار بـأن المراد بقوله أصحابي ، أصحاب ، مخصوصون ، لأن الخطاب ، كان لخالدٍ ومن معه من باقي الصحابة ، وقد قال لو أن أحدكم أنفق وهـذا كقوله تعالى ﴿ لا يستوي منكم من أنفق من قبـل الفتح وقـاتل ﴾[3] ، وبمثـل هذا اللفظ ، جـاءت أحاديث كثيـرة ، وكلها تشيـر ، أن المراد منهـا أصحـاب مخصـوصـون ، بـل لا يمكن حملهـا على العمـوم ، والشمول ، فلا نطيل بذكرها ، ولا خفاء في أن الطاغية في معزل بعيد عن ما يترتب عليها من الفضل[4] .

---

(١) سورة فاطر : الآية ٨ .

(٢) البخاري ١٣٤٣/٣ ح (٣٤٧٠) ، مسلم ح (٢٥٤٠) .

(٣) سورة الحديد : الآية ١٠ .

(٤) ممـا يؤكـد أن المقصـود بـالأصحـاب حيث ذكـروا في الأغلب الأحـاديث هم الأصحـاب مخصوصون كما اقتضاه العرف العام ما رواه ابن بابـويه في كتـاب عيون أخبـار الإمام علي الرضا بن موسى الكاظم رضي الله عنهما أخرج بأسناده أحمـد بن محمد الـطالقاني قـال :

ومنها ما أخرجه المحاملي والطبراني والحاكم عن عويمر بن ساعدة رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال : (إن الله اختارني واختار لي أصحاباً فجعل لي منهم وزراء وأنصاراً ، فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفاً ولا عدلاً)[1] .

لا ريب في أن الأصحاب والأصهار في الحديث ، إذا فرضت صحته ، هم أصحاب وأصهار مخصوصون ، وليس المراد الصحبة بالمعنى اللغوي ، إذ لو كانت مرادة لدخل فيها كثير من المنافقين ، وأهل الكبائر ، ولدخل في الأصهار ، حيي بن أخطب ، وغيرهم من المشركين ، والفسقة ، وإنما المراد بالأصحاب ، كما في الإصحاب الأخرى ، من نصره ، ووازره ، وجاهد معه ، واتبعه بأحسان ، كما أن المراد بالأصهار ، الخلفاء الأربعة ، ومن قاربهم ، لا حيي ، ولا معاوية ، وأبوه ، وزمعة ومن شاكلهم ، ولفظ الإختيار في الحديث مشعر بهذا المعنى ، وأول من يصدق ، وينطبق عليه ، وعيد هذا الحديث ، هو معاوية وعمرو وأعوانهما ، لأنهما أول من فتح باب السب ، وأعلنه . فقد سبَّا أول الأصحاب إسلاماً ، وأشرفهم مصاهرة ، وأقواهم مؤازرة . وسبَّا معه الحسن والحسين ، وابن عباس ، وعماراً ، وسعد ، وقيس بن سعد ، وغيرهم . ومن سب ، أو

= حدثني أبي قال حلف رجل في خراسان بالطلاق أن معاوية ليس من أصحاب رسول الله (ص) في أيام علي الرضا رضي الله عنه فأفتى الفقهاء بطلاقها فسُئل الرضا فأفتى أنها لا تطلق فكتب الفقهاء رقعة فأنفذوها إليه وقالوا من أين قلت يا بن رسول الله أنها لم تطلق فوقع في رقعتهم قلت هذا من روايتكم عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله (ص) قال : لمسلمة الفتح وقد كثروا عليه أنتم خيرة وأصحابي خيرة ولا هجرة بعد الفتح فأبطل الهجرة ولم يجعل هؤلاء أصحاباً له قال : فرجعوا إلى قوله (إنتهى) .

(١) كنز العمال ٥٢٩/١١ ح (٣٢٤٦٧) وقال أخرجه (الطبراني الكبير عن عويمر بن ساعدة) الصواعق المحرقة ص ٤ .

لعن هؤلاء ، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين .

ومنها : ما أخرجه البزار عن سلام بن سليم قال : حدثنا الحرث بن غصين ، عن الأعمش ، عن أبي سفيان ، عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (أصحابي كالنجوم بأيّهم اقتديتم اهتديتم)[1] .

قال ابن عبد البر : (هذا إسناد لا تقوم به حجة ، لأن الحرث بن غصين مجهول)[2] . وقال أيضاً : (عن محمد بن أيوب الرقي قال : قال لنا أبو بكر أحمد بن عمر بن عبد الخالق البزار : سألتهم عمّا يروى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم مما في أيدي العامة يروونه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: « إنما مثل أصحابي كمثل النجوم، أو أصحابي كالنجوم، فبأيّها اقتدوا اهتدوا » . وهذا الكلام لا يصح عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وربما رواه عبد الرحيم ، عن أبيه ، عن ابن عمر ، وإنما أتى ضعف هذا الحديث من قبل عبد الرحيم بن زيد ، لأن أهل العلم قد سكتوا عن الرواية لحديثه. والكلام أيضاً منكر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم. وقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأسناد صحيح : « عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين بعدي ، فعضوا عليها بالنواجذ » . وهذا الكلام يعارض حديث عبد الرحيم لو ثبت ، فكيف ولم يثبت ، والنبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يبيح الإختلاف بين أصحابه، والله أعلم)[3] قال ابن عبد البر : (هذا آخر كلام البزار)[4] ثم قال : (قد

---

(١) جامع بيان العلم وفضله ٢ / ٩٠ ، طبع دار الكتب العلمية .

(٢) ن . م ، ص ٩١ .

(٣) ن . م ، ص ٩٠ .

(٤) ن . م ، ص ٩٠ .

روى إبن شهاب الخياط عن حمزة الجزري عن نافع عن إبن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إنما أصحابي مثل النجوم ، فأيهم أخذتم بقوله اهتديتم ، وهذا لا يصح ولا يرويه عن نافع من يحتج به)[1] إنتهى .

قلت : قد علمت ما في هذا الحديث من الضعف ، والنكارة ، وعلى فرض الصحة ، فلا يستقم ، إلّا إذا كان المراد بالأصحاب في هذا الحديث العلماء منهم ، فما رووه وحملوه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا ما كان من قبيل الإجتهاد والرأي ، فإنه صواب، وخطأ . ولا يشَرُعْ الإقتداء بالمخطيء قطعاً ، ولا يأمر صلى الله عليه وآله وسلم بالإقتداء بالجاهلين البتة،وكما قيل في حديث : « إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ، ما إن تمسكتم بهم لن تضلوا بعدي أبداً » قالوا : إن المراد من أهل البيت في هذا الحديث العلماء منهم . فكذلك هنا ، ولا دخل لمعاوية هنا ، لأنه ليس من العلماء بالدين ، ولا بالمأمون على حمل شريعة سيد المرسلين .

أخرج البخاري والترمذي عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (ما أظن فلاناً وفلاناً يعلمان من ديننا شيئاً)[2] ، وبالجملة فكل ما جاء من هذا القبيل من الآيات التي سبق ذكرها ، ومن الأحاديث العامة المارة بك ، وما جرى مجراها ، كقول النبي عليه وآله الصلاة والسلام : (أن الله اطلع على أهل بدر)[3] ونحوه ، كل مشروط بسلامة العاقبة ، ومراعاة الإستقامة ، إذ لا يجوز أن يخبر الحكيم مكلفاً غير معصوم ، أنه لا عقاب عليه ، فليفعل ما

---

(١) ن . م ، ص ٩٠ .
(٢) البخاري ٥/٢٢٥٤ ح (٥٧٢٠) .
(٣) كنز العمال ١٣/ ح (٣٣٨٩٠) .

شاء ، فليكن هذا من طالب الحق على بال .

وإذا تتبعت أيها المنصف كل الفضائل التي استحق بها أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم الفضل، والثواب ، والمنزلة الرفيعة، وجدت معاوية وأعوانه ، صفر الأيدي منها ، وبعيدين عنها بعداً شاسعاً ، ووجدت علياً عليه السلام ، أوفرهم حظاً ، وأعظمهم قسماً .

ولنذكر لك ما قاله العلامة المسعودي في هذا المعنى ، قال رحمه الله : (والأشياء التي استحق بها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والفضل، هي : السبق إلى الإيمان، والهجرة، والنصرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، والقربى منه ، والقناعة وبذل النفس له ، والعلم بالكتاب ، والتنزيل ، والجهاد في سبيل الله ، والورع ، والزهد ، والقضاء ، والحلم ، والفقه ، والعلم ، وكل ذلك لعلي عليه السلام منه النصيب الأوفر ، والحظ الأكبر ، إلى ما يتفرد به من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حين آخى بين أصحابه : « أنت أخي » . وهو صلى الله عليه وآله وسلم لا ضد له ولا ند وقوله صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله : « أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنه لا نبي بعدي » وقوله عليه وآله الصلاة والسلام : « من كنت مولاه فعلي مولاه اللّهم والِ من والاه وعاد من عاداه » ، ثم دعاؤه عليه الصلاة والسلام وعلى آله ، وقد قدم إليه أنس الطائر : « اللّهم أدخل إلي أحب خلقك إليك يأكل معي من هذا الطائر » ، فدخل عليه علي إلى آخر الحديث ، فهذا وغيره من فضائله ، وما اجتمع فيه من الخصال مما تفرق في غيره ولكل فضائل ممن تقدم وتأخر وقبض النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وهو عنهم راض مخبر عن بواطنهم بموافقتها لظواهرهم بالإيمان ، وبذلك نزل التنزيل وتولى بعضهم

بعضاً) إنتهى[1] بحروفه .

وما أحسن ما قاله خزيمة بن ثابت الأنصاري ذو الشهادتين في الإمام علي عليه السلام .

كل خير يزينهم فهو فيه ولـه دونهم خصال تزينه

وقوله فيه أيضاً :

صهر النبي وخير الناس كلهم وكل من رامه بالفخر مفخور

ونحا نحوه أبو الفتح كما ذكره في الإستيعاب من أبيات :

من فيه ما فيهم لا يمترون به وليس في القوم ما فيه من الحسن[2]

وما أحسن ما قاله فيه الصفي الحلي :

أنت نفس النبي والصنو وابن العم والصهر والأخ المستجاد

لو رأى مثلك النبي لآخا ه وإلّا فأخطأ الإنتقاد[3]

وفي القصص الحق ، في مدح خير الخلق في هذا المعنى :

وإن يكن في فتى من صحبه شرف سام فإن علياً فيه ما فيه

كم للقرابة من فضل ومن شرف وللصحابة من نيل يدانيه

---

(١) مروج الذهب ٢/٤٣٧ ـ ٤٣٨ .

(٢) نسب البيضاوي هذا البيت لحسان بن ثابت ونسبه في المناقب للعباس بن عبد المطلب وذكر في الإصابة أن هذا البيت للفضل بن العباس اللهبي حين بويع بالخلافة لأبي بكر رضي الله عنه من أبيات مطلعها .

ما كنت أحسب هذا الأمر منصرفاً عن هاشم ثم منها عن أبي حسن

من فيه ما فيهم من كل صالحة وليس في كلهم ما فيه من حسن

أليس أول من صلى لقبلتكم وأعرف الناس بالقرآن والسنن

وأقرب الناس عهداً بالنبي ومن جبريل عون له في الغسل والكفن

ماذا عنه فنعرفه ها أن بيعتكم من أول الفتن

(٣) الديوان ٨٨ طبع دار صادر ، من قصيدة مطلعها :

جمعت في صفاتك الأضداد فلهذا عزّت لك الأنداد

كفــاطم وسليليهــا كــذاك بنــا ت الطهر طبن كما طابت ذراريـه
والطيبات نساء الطهـر من وردت فيهن آيــات تشــريف وتنــزيــه
وحمــزة ثم عبــاس وجعفــرهم وابنيهمــا وأبـي بكــر وثــانيــه
ومثـل عثمان مـع سعد سعيـدهم وطلحــة وابن عــوام حــواريـه
وكابن جراحهم جمت فضـائلهم ونسل عوف عـديد العشـر يوفيـه
وسعـد بن معـا ذي الكـرامـة من لمـوتـه اهتـز عـرش الله بـاريـه
كذاك باقي سعود النصر صار لهم قرب من الله سامي القـدر عاليـه
وكم همام من الأصحاب كـان له وصف النبيين لـولا الختم حاميـه
كم مـوطن قد رأوا فيـه مـلائكـة مخـاطبين وعـونــاً في مغـازيــه
وبعضهم كـانت الأمـلاك تشبهـه وبعضهم كان نور السوط يهديـه
وبعضهم كان الأملاك تقرئه السـ ـلام قبـل التـداوي إذ تنــاجيـه
سبحان ربي ما أوحى خـروجهم مـن الـظلام إلى نــور يـجليــه
من نــور من نــوره هــاد لأمتــه دأبـاً إلى أن يجيء الحشر جـائيه
وكم ثنــاء لمن جـاء الثنـاء لهم في الذكر من غير فضل من مثانيه
وكلهم عنـدنـا عــدل رضى ثقـة حـتم مـحبتـه حـتـم تــولـيــه
إلاّ أنـاسـا جــرى من بعـده لهم أحـداث سوء ومـاتـوا في أثـانيه
من ردة مـروق والخـروج عن الأ مــر الإلٰهي والقسط المنــافيــه
ما قلت إلاّ الذي قـد قال خـالقنا في ذكـره أو رسـول الله حــاكيـه
فـكــل حــادثــة فـي الــديــن قــد وردت
وفــتــنــة وامــتــحــان مــن أعــاديــه
في محكم الـذكـر والنقـل الصحيـح عن
الــرســول فـي لـفظ تـنـصـيص وتـنـبـيــه

وفي الآخر نقول : إن صحبته صلى الله عليه وآله وسلم شرف عظيم ، ومفخر جسيم ، ومرتبة سامية ، ومنزلة عالية ، وأصحابه صلى الله عليه وآله وسلم متفاوتون في فضلها،وشرفها، بقدر ما أحسنوا فيها.

وقد أوجب الله تعالى محبتهم ، وتوقيرهم ، إجلالاً ، وإكراماً ، لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم ، ولمقامه ، ولمحبته لهم ، ومحبتهم له ، ولا ريب في أن محبتهم له ناشئة ومسببة عن هدايته لهم ، وإنقاذه إياهم من الضلالة ، ومن البديهي أن محبة الله ، ومحبة رسوله لهم ، إنما هي لطاعتهم ، وانقيادهم لأوامره ، ونواهيه ، وإذا عصى أحد منهم، وحاد الله ورسوله، وارتكب الكبائر، وأصر على معصيته، فقد ترك ما أوجب له المحبة من الله تعالى، ومن رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، إذ ليس عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم محاباة، ولا مداهنة في عداوة من حاد الله ، وعصاه ، ولو كان من عترته ، فضلاً عن أصحابه . ألم يرو عنه عليه وآله الصلاة والسلام أنه قال : لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها،كما أنه عليه السلام، لا يألو جهداً في محبة من والى الله تعالى ، وأطاعه ، ولو كان من أبعد الناس نسباً منه ، ألا ترى أنه كيف أحب سلمان الفارسي ، وبلالاً الحبشي ، وصهيباً الرومي ، وأمثالهم ؟ .

أما نحن فيجب علينا ، أن نحفظه عليه وآله الصلاة والسلام في حب من أحبه ، وموالاة من والاه ، وتوقيره ، واحترامه ، ولا محيص لنا من أن نعدل عن التمسك بولاء من عادى الله ، ورسوله منهم ، ونتجنب حب من أبغضه الله ، ورسوله ، ونتبرأ منه ، ولو كان أباً أو أخاً أو صديقاً . ولا نجعل للهوى والعصبية سلطاناً على قلوبنا بمحبتهم ، وتواليهم ، حتى يحق لنا بذلك صريح الإيمان ، كما جاء في الكتاب العزيز مكرراً ، ووردت به الأحاديث الكثيرة ، ومن لم يكن كذلك ، فليتهم نفسه في إيمانه ﴿ **ربنا إنك تعلم ما نخفي وما نعلن** ﴾[1] .

---

(١) سورة إبراهيم : الآية ٣٨ .

والله لـو كان من حفظ رسـول الله صلى الله عليه وآلـه وسلم في أصحـابه ، ومن رعـاية عهـده ، والأدب معه أن نمسـك عن عـداوة ، وبغض من حادَّ الله ورسولـه ، وأحدث الأحـداث السيئة بعـده منهم ، لم نعـاد أحداً منهم ، ولم نبغضـه ، ولـو ضـربت أعنـاقنـا ، وقـطِّعنـا بـالسيوف إربـاً إربـاً ، ولـو كان التعـامي والتغافـل عن إنكار مخـالفات المحـدثين منهم ، وتأويلنـا بالألسن سيئـاتهم ، مـع علمنـا بـوقـوعهـا منهم . مجـدياً عنـد الله شيئاً ، أو عـاذراً لنا عنـده ، لتأولنـا كل سيئـة صدرت عن أحد منهم ، وصافحنا من يلتـزم ذلك يـداً بيد ؛ ولكن من الذي يتجاسر على ذلك ، وآيـات القرآن تـزجره ، وأحـاديث الرسـول تمنعه ﴿ **أفمن كان على بينـة من ربه كمن زين لـه سوء عمله واتبعـوا أهواءهم** ﴾(١) .

ومن الغباوة إن لم نقل من العناد إهدار كل كبيرة وموبقة لدعوى حـرمة الصحبـة ، لا شك أن حـرمة عـظيمة للصحبـة ، وشأنـاً فخيمـاً نلتزمه ، ونعلمه أبناءنا ، ونساءنا ، ولكنه مقيد بما قدمناه . ألا ترى أن للكعبة وللمسجد أيضاً حرمة ؟ ومن حرمتها إحترام سـدنتها وخـدمها ، ومن هو داخلها ، لكن من دخلها منهم وبال فيها ، أو أحدث عمـداً أو دخل المسجد مؤذنه ، أو إمامـه ، فسرق أمتعة المصلين وثيـابهم ، لم يبق لـه من حرمتهمـا شيء البتة . بـل يجب طـرده منهمـا ، وإهـانتـه داخلهما ، أو خارجهما ، ومن ظن أنه يلزمنا احترامه لحرمتهمـا ، بعد أن جرى منه ما جرى ، فهو في أقصى درجات الغباوة ، أو أشد مراتب العناد ، والمراغمة ، واتباع الهـوى ﴿ **ومن أضـل ممن اتبع هـواه بغير هدى من الله إن الله لا يهدي القوم الظالمين** ﴾(٢) .

---

(١) سورة محمد : الآية ١٤ .

(٢) سورة القصص : الآية ٥٠ .

تنبيـه

يجد القارىء في كثير من الكتب ، ولا سيما في مؤلفـات الشيخ ابن حجر الهيثمي ، وعيداً شديداً ، وتهويلاً عظيماً ، وتهديداً مفزعاً ، على كـل من سب أحـداً مـن الصحـابـة ، أو أبغضـه ، أو تنقصـه ، وتجد في ضمن ذلك سردهم للآيـات القرآنيـة ، والأحاديث النبـوية ، والمقالات السلفية ، مما فيه ذكر فضل الصحـابة ، رضي الله عنهم ، وبيـان علو مقامهم ، يـوهمون بـذلك أن المـراد بـالصحـابـة في تلك الآيـات والأحـاديث ، هم من اجتمـع بـالنبي ، مؤمنـاً ، ومـات على الإيمان ، كما اصطلح عليه رواة الحديث ، ليدخلوا في تلك المزايا ، والفضائل ، من ليس من أهلها ، كمعاوية وعمرو ، وبسر ، والوليـد ، والحكم ، وأشبـاههم ، انتصـاراً لمـذاهبهم ، وتبعـاً لمقلديهم ، ثم تراهم يرجمـون كل من خـالف ما قـالوه ، واصطلحوا عليه بـالبدعـة ، والضلالة ، والمروق ، من الدين ، وينـذرونه بسـوء العقبى ، ودعوى الـويل ، والثبـور ، شـاع ذلـك عنهم ، وكثـر ، ودعـوا إليـه النـاس ، ورغبوهم في الإنضمام إليهم ، والإتباع لهم ، ظانين أن ذلـك نصيحة في الدين ، وحرصاً على حفظ حرمة سيد المرسلين .

ونحن نقـول : سمعاً سمعـاً لكم ما جـاء عن الله تعـالى ، وعن

رسوله عليه أفضل الصلاة والسلام ، وعن الأجلة من الصحابة ، وعلماء أمته ، رضي الله عنهم ، من تعظيم أصحابه عليه وآله أفضل الصلاة والسلام ، توقيرهم ، والإقرار بما لهم من الفضل ، ومعرفة ما لهم من الحقوق ، على الأمة ، في مؤازرة الرسول صلى الله عليه وسلم نصرة الدين ، وتبليغه ، إلى من بعدهم من الأمة ، غير أنا لا نكتال أقوال أولئك المؤلفين جزافاً ، كما كالوها ، ولا نرسل الكلام على عواهنه ، كما أرسلوه ، ولا نسكب الطيب ،والخبيث ، في قالب واحد ، كما صنعوا ، ولا نخلط الحابل بالنابل كما فعلوا ، ولا نغرر الناس بإيراد الخاص من الأدلة في موارد العام ، وإجراء المقيد ، بمجرى المطلق ، فيمتزج الحق بالباطل ، والصحيح بالفاسد ، بل نعطي كل آية من كتاب الله تعالى ، وكل حديث من أحاديث رسوله صلى الله عليه وسلم حقه من الفحص في مدلولاته ، وبيان مجمله ، وتحقيق عمومه ، وخصوصه ، وتفسير ما مصاديقه ، وتتبع أسباب نزوله ، أو وروده ، ثم نعامل كلاً من أصحابه عليه الصلاة والسلام ، بما حكم تلك الدلائل من رفع ، أو خفض ومودة ، أو رفض ، إذعاناً لحكم الله تعالى ، وحكم رسوله عليه الصلاة والسلام ، فما ورد في حق واحد بعينه ، لا نشرك فيه سواه ، وما ورد ففي حق المهاجرين ، والأنصار ، لا نوجبه لغيرهم ، وما جاء في حق السابقين الأولين ، لا نحكم به للطلقاء ، وأمثالهم ، وما بلغنا في حق المجاهدين ، لا نثبته للقاعدين ، وما اختص به المنفقون ، لا يناله الممسكون وهلم جراً .

على أنا نعتقد ،أن للباقين منهم شرفاً باهراً ، وشأناً عظيماً ، برؤيته صلى الله عليه وآله وسلم ، ومجالسته ، والصلاة خلفه ، فكلهم نحترم ، وجميعهم نعظم ، لا نستثني منهم ، إلاّ من استثناه الله تعالى ، ورسوله عليه الصلاة والسلام ، لإرتكابه ما يحبط فضيلة الصحبة ، ويسقطه عن شرف تلك الرتبة ، كالردة ، والنفاق ،

والمروق من الدين ، والقسط ، وارتكاب أحداث السوء مع الإصرار على ما ارتكبوا ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله ، وكرهوا رضوانه ، فأحبط أعمالهم جاءتنا بذلك آيات وأحاديث ظاهرة المعنى ، واضحة الدلالة ، ذكرنا منها جملة صالحة متفرقة ، في هذه الرسالة ، نصدق الله تعالى فيها ، ونمتثل أمره ، وننقاد صاغرين لحكمه ، لا نعارضه جل شأنه ، ولا نعترض عليه في شيء منها ، ولا نشوه وجوه المعاني بالتأويلات البعيدة ، ولا نجنح إلى ما يوافق هوانا ، بتحويلها إلى ما يبعد احتماله ، ويسمج تفسيره ، ولا تأخذنا لومة لائم في قول الحق ، ولا ترعنا صيحة باطل عن الجهر بالصدق ، ولا يرهبنا غضب الحمقى من المتعصبين ، ولا يخيفنا قدح السفهاء من المقلدين ، أو ليس قد قيل لا فضل من يتأسى به المؤمنون ؟ ﴿ **وقالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكر أنك لمجنون** ﴾[1] .

وههنا نقول لطالب الحق : لا يروعنك ما تراه من التهويل ، والإرعاد ، والإبراق ، في كتب أولئك المؤلفين ، ما دام الحكم بينك وبينهم كتاب الله تعالى ، وسنة نبيه الصادق الأمين ، فمنهما تعرف أي الفريقين أحق بالأمن ، ومنهما تجزم بأن الهدى ، والضلالة ، والسنة ، والبدعة ، ليست موقوفة على أقوالهم ، ولا ملازمة لتأويلاتهم ، وتمحلاتهم ، التي ينصرون بها أقوال مقلديهم ، بل الهدى هدي محمد ، وآله ، والسنة ما هو عليه ، وأصحابه ، والضلالة والبدعة ما خالف حكم الكتاب العزيز، وعرض أحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام ، وكل محدث بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار ، وما أحسن ما قاله شيخنا السيد ابن شهاب في المعنى .

---

(١) سورة الحجر : الآية ٦ .

تبـاينت المـذاهب واستـطالت بهـا الأهـواء واحتـدم النـزاع
وضلل بعضهم بعضاً وكـل إلـى تبـديـع غيـرهم سـراع
قصـارى القـوم نصـر مقلديهم ومحض الحق بينهـم مضـاع
إلى التـأويـل والتحـريف لاذوا فـذا كـذا يـريـك وذا خـداع
وخـالـوا أن في التمـويـه فـوزاً وإن الـحق يـشـرى أو يبـاع
لئن كـان اقتفـاء كتـاب ربي وسـنـة مـصـطفـاه والأتـبـاع
ضـلالاً وابتـداعـاً أن دينـي وإن زعـمـوا ضـلال وابتـداع

الشبهة الثانية صلح الحسن ومعاوية

صلحُ معاوية مع الإمام الحسن بن علي عليهما السلام ، وبيعة الحسن له ، واجتماع الطائفتين على بيعته ، حتى ادعى أنصاره ، أنه صار بذلك الصلح ، وتلك البيعة خليفة حق ، وإمام صدق ، وأنه واجب الطاعة على الكافة ، وقد أطال الشيخ ابن حجر الهيثمي سامحه الله ، وتجاوز عنه ، بمثل هذا الهذر ، والإستدلال السقيم ، والإستنتاج العقيم ، على هذه الدعاوى في كتابيه السابق ذكرهما .

والحق أن معاوية متغلِّب بالسيف على الشوكة ، والحكم ، فاسق بوثوبه على ما لا حق له فيه ، جائر في أحكامه ، مستحق بصنيعه المقت ، والعقاب الشديد ، كما أوعد الله عز وجل ، وهو أول الملوك المتغلبين في الإسلام ، وأن تسليم الحسن عليه السلام الأمر إليه ، غير مبرر له ، لأنه لم يسلمه إلاّ مضطراً ، صوناً لدماء المسلمين ،وآخذاً بأخف الضررين ، وأهون الشرين ، علماً منه ، أن معاوية مصر على القتال وسفك الدماء ، فكان من رأيه تسليم الأمر ، وحقن دماء المسلمين ، وتحقق بذلك قول جده صلى الله عليه وآله وسلم : (أن إبني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين

من المسلمين) فالحسن عليه السلام مثاب بهذا الصلح ، مصيب به ، ومعاوية مخطيء، معاقب عليه ، ممقوت به ، ولا كرامة .

وأخرج أحمد في مسنده وأبو يعلي ، والترمذي ، وابن حبان ، وأبو داود والحاكم ، عن سفينة ، وغيره ، حديث (الخلافة بعدي ثلاثون سنة ، ثم ملك بعد ذلك)[١] ، وأخرجه أبو نعيم في الفتن ، والبيهقي في الدلائل ، وكثيرون عن حذيفة ، وغيره ولفظه (ثم يكون ملكاً عضوضاً)[٢] قال العلماء : انتهت الثلاثون سنة بعده صلى الله عليه وآله وسلم بخلافة الحسن بن علي عليهما السلام ، والحديث صريح في الدلالة على الحكم بحقية الخلافة عنه صلى الله عليه وآله وسلم في هذه المدة دون ما بعدها فإنه ملك عضوض .

فقال ابن حجر الهيثمي في الصواعق في خلافة أبي بكر رضي الله عنه : (أي يصيب الناس فيه ظلم وعسف كأنهم يعضون عضاً)[٣] والعجب منه ، كيف ناقض نفسه في خاتمة الكتاب ؟ بقوله إن معاوية خليفة حق ، وإمام صدق ، مع إعترافه بالصواب أول الكتاب ، ولكنه الذهول والنسيان .

وأخرج ابن أبي شيبة ، عن سعد بن جمهان ، قال : قلت لسفينة ، أن بني أمية يزعمون ، أن الخلافة فيهم ، فقال : كذب بنو الزرقاء إنهم ملوك ، من شر الملوك وأول الملوك معاوية[٤] .

وأخرج ابن سعيد عن عبد الرحمن بن أبرى عن عمر رضي الله عنه أنه قال : (هذا الأمر في أهل بدر ، ما بقي منهم أحد ، ثم في

---

(١) الصواعق المحرقة ٢٥ .
(٢) ن . م ، ص ٢٥ .
(٣) ن . م ، ص ٢٥ وفي المصدر (الرعية) بدل (الناس) .
(٤) الصواعق المحرقة ص ٢١٩ عن إبن أبي شيبة .

أهل أحد ما بقي منهم أحد ، وفي كذا وكذا ، ليس فيهـا لطليق ، ولا لولد طليق ولا لمسلمة الفتح شيء)[1] .

أفبعد هذا ، يقال أن معاوية خليفه حق ،وإمـام صدق، لا حـول ولا قوة إلا بالله، يكذب رسول الله صلى الله عليـه وآله وسلم في قـوله ملكاً عضوضاً ، وأنه من شر الملوك ، ويصدق أنصار معاوية في قولهم خليفـة حق ، وإمام صـدق ، ﴿ ألم يؤخذ عليهم ميثـاق الكتاب أن لا يقولوا على الله إلاّ الحق ﴾[2] ، اللهم إنا نبرأ إليك من صنيعٍ كهذا ، ونسألك الثبات على تصديق ما جاء به نبيك ورسولك .

وقـد أنكـر بعض المشـاغبين نسبـة الحكم الـواحـد إلى حق وبـاطل ، وهمـا ضـدان لا يجتمعـان ، ولم يـدر الغبي ، أن النسبتين مختلفتا الجهة ، فلا مانع، كيف ؟ ولهذا نظائر لا تخفى ، على من له يسير إلمام بسيرته عليـه وآله الصـلاة والسلام ، فقـد صالـح صلى الله عليـه وآلـه وسلم كفـار قـريش يـوم الحـديبيـة ، على أن يـرجـع إلى المدينة ، هو ، وأصحابه ، ولا حجة ، ولا عمـرة ، وعلى أن يرد إلى الكفار من جاءه منهم مسلماً ، وأن لا يدخل مكة في القابل ، إلاّ ثلاثة أيام بسلاح المسافر فقط ، ولم يرضوا مع هذا بكتابة محمـد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فمحاها من الكتـاب بيده الشـريفة، وأبـدلت بمحمد بن عبد الله ، ألم يكن هذا الصلح حقاً من جـانب النبي صلى الله عليه وآله وسلم وباطل من جهة كفار قريش .

وكـذلك صـالح النبي صـلى الله عليه وآلـه وسلم عيينـة، والأقـرع عـلى أن يعطيهـما ثلث ثمار المـدينة، إن رجعـا بمن معهـما عن مسـاعـدة أبي سفيان، والأحزاب ، لولا أن سعداً أشار على النبي صلى الله عليه وآله

(١) كنز العمال ج ١٢ ح (٣٦٠٤٦) .
(٢) سورة الأعراف : الآية ١٦٩ .

وسلم أن لا يبرمه ، إن لم يكن وحياً ، فاستحسن النبي رأيه ، ولم يبرمه ، أو لم يكن هذا حقاً من جهة النبي وباطلاً من الجهة الأخرى ؟! فكذلك صالح الحسن عليه السلام ، فهو حق من جهته ، باطل من جهة معاوية ، فمعاوية مخطيء ، متغلب ، آثم بلا ريب ، ومع ذلك فإنه نكث ، ونقض أكثر ما عاهد الله عليه في ذلك الصلح ، كما ستعرفه ، مما يأتي ، كأنه لم يسمع قول الله تعالى ﴿ **فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية** ﴾(١) ولم يبال بقوله جل جلاله ﴿ **والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار** ﴾(٢) .

ملخص قضية الصلح

ولنسرد ملخص قضية الصلح من فتح الباري شرح صحيح البخاري ومن تاريخ أبي جعفر الطبري ، ومن الكامل لإبن الأثير ، وغيرها ، لتعلم ما ألجأ الإمام الحسن عليه السلام إلى ذلك الصلح ، وما نكث معاوية من عهوده .

قالوا : كان أمير المؤمنين علي عليه السلام ، قد بايعه أربعون ألفاً من عسكره ، على الموت ، لما ظهر ما كان يخبرهم به عن أهل الشام ، فبينما هو يتجهز للمسير قتل عليه السلام ، وإذا أراد الله أمراً فلا مرد له ،فلما قتل ، وبايع الناس الحسن ابن علي ، بلغه مسير معاوية في أهل الشام إليه ، فتجهز ، هو والجيش الذين كان بايعوا أباه ، وساروا من الكوفة إلى لقاء معاوية ، وجعل قيس بن سعد بن عبادة على مقدمته في إثنى عشر ألفاً ، فلما نزل الحسن المدائن ،

---

(١) سورة المائدة : الآية ١٣ .

(٢) سورة البقرة : الآية ٢٧ .

نادى مناد في العسكر ، ألا أن قيس بن سعد قد قتل ، فانفروا فنفروا بسرادق الحسن ، فنهبوا متاعه ، حتى نازعوه بساطاً كان تحته ، وطعن بخنجر في بطنه ، فازداد لهم بغضاً ، ومنهم ذعراً ، ودخل المقصورة البيضاء بالمدائن ، وكان الأمير على المدائن سعد بن مسعود الثقفي ، عم المختار بن أبي عبيد ، فقال له المختار وهو شاب : هل لك في الغنى والشرف ؟ قال : وما ذاك ؟ قال : تستوثق من الحسن ، وتستأمن به إلى معاوية ؟ فقال له عمه : عليك لعنة الله ، أثب على ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأوثقه، بئس الرجل أنت، وعلم الحسن ، أنه لن تغلب إحدى الفئتين ، حتى يذهب أكثر الأخرى ، فكتب إلى معاوية يخبره ، أنه يصير الأمر إليه ، على شروط يشترطها ، فرضي معاوية بعد مراجعة في بعضها ، ثم تصالحا ، على أن تسلم إلى معاوية ولاية المسلمين ، على أن يعمل فيها ، بكتاب الله وسنة نبيه، صلى الله عليه وآله وسلم، وسيرة الخلفاء الراشدين المهديين ، وليس لمعاوية بن أبي سفيان ، أن يعهد إلى أحد من بعهده عهداً ، بل يكون الأمر من بعده شورى بين المسلمين ، وعلى أن الناس آمنون ، حيث كانوا ، من أرض الله تعالى ، في شامهم ، ويمنهم ، وعراقهم ، وحجازهم ، وعلى أن أصحاب علي ، وشيعته آمنون ، على أنفسهم ، وأموالهم ، وأولادهم ، ونسائهم ، حيث كانوا ، لا يطلب أحد منهم بشيء كان ، في أيام علي ، وأن لا يبتغي للحسن بن علي ، ولا لأخيه الحسين ، ولا لأحد من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم غائلة سراً، ولا جهراً، ولا يخيف أحداً منهم ، في أفق من الآفاق ، على معاوية بذلك عهد الله ، وميثاقه ، وكفى بالله شهيداً ، وزاد ابن الأثير ، أنه يعطيه ما في بيت مال الكوفة ، وخراج دار ، بجرد من فارس ، ليرضى بذلك ، من لا يرضيه ، إلاّ المال ، وأن لا يشتم علياً ، فأجابه إلى ذلك كله ، إلاّ

شتم علي ، فإنه التزم أن لا يشتمه ، والحسن يسمع ، وإلاّ أنه قال : أما عشرة أنفس فلا أؤمنهم ، فراجعه الحسن فيهم ، فكتب إليه ، يقول : أني قد آليت ، أني متى ظفرت بقيس بن سعد ، أن أقطع لسانه ، ويده ، فراجعه الحسن ، إني لا أبايعك أبداً ، وأنت تطلب قيساً ، أو غيره ، بتبعة ، قلت ، أو كثرت ، فبعث إليه معاوية برق أبيض ، وقال : أكتب ما شئت وأنا ألتزمه ، ثم أعطاه معاوية عهداً بذلك ، واصطلحا ، إنتهى[1] ، وتحقق بذلك الصلح ، قوله عليه وآله الصلاة والسلام ، مما أخرجه الحاكم (ما اختلفت أمة بعد نبيها إلاّ ظهر باطلها على حقها) ﴿ **قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مداً** ﴾[2] .

نقض معاوية عهود الصلح

ثم لم يف معاوية بالعمل بكتاب الله ، وسنة رسوله ، ونقض الميثاق ، بأنه لا يعهد إلى أحد من بعده ، فعهد بالخلافة لابنه السكير الخمير ، ولم يترك شتم علي ، حتى والحسن والحسين ، وسلط عليهما عامله ، مروان بالمدينة ، يجرعهما ما يجرعهما من الأذى ، وحتى قتل الحسن بالسم ، كما مر ذكره ، ولم يف له بخراج داراً بجرد ، فإن أهل البصرة منعوه عنه ، وقالوا فيئنا ، ولا نعطيه أحداً ، وكان منعهم بأمر معاوية أيضاً قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من أثناء حديث، أخرجه الطبراني في الكبير،عن ابن عباس رضي الله عنهما (ألا إنه لا إيمان لمن لا أمانة له ، ولا دين لمن لا عهد له ، ومن نكث ذمة الله طلبه ، ومن نكث ذمتي خاصمته ، ومن خاصمته

---

(١) الكامل ٣/٤٠٤ ـ ٤٠٨ .

(٢) سورة مريم : الآية ٧٥ .

فلجت عليه ، ومن نكث ذمتي لم ينل شفاعتي ، ولم يرد علي الحوض)[1] . وروى أبو الحسن المدائني قال : (خرج على معاوية قوم من الخوارج ، بعد دخوله الكوفة ، وصلح الحسن ، فأرسل إلى الحسن عليه السلام يسأله أن يخرج فيقاتل الخوارج ، فقال الحسن سبحان الله تركت قتالك وهو لي حلال لصلاح الأمة ، وألفتهم ، أفتراني أقاتل معك ؟ فخطب معاوية أهل الكوفة : يا أهل الكوفة أتروني قاتلتكم على الصلاة والزكاة والحج ، وقد علمت أنكم تصلون، وتزكون، وتحجون، ولكني قاتلتكم لا لِأتأمر عليكم، وأتولى رقابكم ، وقد أتاني الله ذلك ، وأنتم كارهون ، ألا أن كل مال أو دم أصبت في هذه الفتنة مطلول ، وكل شرط شرطته فتحت قدمي هاتين ، ولا يصلح الناس إلاّ ثلاث إخراج العطاء عند محله ، وإقفال الجنود لوقتها وغزو العدو في داره فإن لم تغزوهم غزوكم ثم نزل)[2] . إنتهى .

وزاد أبو اسحق السبيعي أنه قال في خطبته : (ألا أن كل شيء اعطيت الحسن بن علي تحت قدمي هاتين لا أفي به)[3] ، وكان عبد الرحمن بن شريك إذا حدث بذلك يقول (هذا والله هو التهتك)[4] .

قالوا : ولما تم الصلح ، وبايع أهل الكوفة معاوية ، التمس من الحسن أن يتكلم بجمع من الناس ، ويعلمهم أنه قد بايع معاوية ، وسلم الأمر إليه ، فأجابه إلى ذلك ، فصعد المنبر ، فحمد الله ،

---

(١) كنز العمال ٣/ ح (٥٥٠٣) وقال أخرجه الطبراني في الكبير عن ابن عباس) .
(٢) شرح النهج ح ١٦ ص ١٥ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم .
(٣) مقاتل الطالبين ٧٧ تحقيق أحمد الصقر .
(٤) ن . م . والصفحة .

أثنى عليه،وصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم وقال: (يا أيها الناس ، أن أكيس الكيس التقى ، وأحمق الحمق الفجور ـ إلى أن قال ـ وقد علمتم أن الله تعالى جل ذكره وعز إسمه هداكم بجدي ، وأنقذكم به من الضلالة ، وخلصكم به من الجهالة ، وأعزكم به بعد الذلة ، وكثركم به بعد القلة ، إن معاوية نازعني حقاً هو لي دونه ، فنظرت إصلاح الأمة ، وقطع الفتنة ، وقد كنتم بايعتموني على أن تسالموا من سالمني ، وتحاربوا من حاربني ، فرأيت أن أسالم معاوية ، وأضع الحرب بيني وبينه ، وقد بايعته ، ورأيت أن حقن الدماء خير من سفكها ، ولم أرد بذلك إلّا صلاحكم ، وبقاءكم ، وأن أدري ، لعله فتنة لكم ، ومتاع إلى حين)[1] .

(وكتب الحسن عليه السلام إلى قيس بن سعد ، وهو على مقدمته في إثنى عشر ألفاً ، يأمره بالدخول في طاعة معاوية ، فقام قيس في الناس فقال : أيها الناس ، اختاروا الدخول في طاعة إمام ضلالة ، أو القتال من غير إمام ، فقال بعضهم : بل نختار الدخول في طاعة إمام ضلالة ، فبايعوا معاوية أيضاً ، وانصرف قيس فيمن تبعه وقد أمروا قيساً ، وتعاقدوا على قتال معاوية ، حتى يشترط لشيعة علي ، ولمن كان معه على دمائهم وأموالهم ، فأعطاهم معاوية عهداً بذلك ، واصطلحوا ، ولما استقر الأمر لمعاوية ، دخل عليه سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ، فقال : السلام عليك أيها الملك ، فضحك معاوية ، وقال : ما كان عليك يا أبا اسحق لو قلت يا أمير المؤمنين ، فقال : اتقولها جذلان ضاحكاً ؟ والله ، ما أحب أني وليتها بما وليتها به .

وبلغ المغيرة بن شعبة ، أن معين بن عبد الله يريد الخروج ،

---

(١) كشف الغمة للأردبيلي طبع النجف سنة ١٨٨٥ ص ١٩٥ .

فأرسل إليه ، وعنده جماعة ، فأخذ ، وحبس ، وبعث المغيرة إلى معاوية يخبره بأمره ، فكتب إليه أن شهد أني خليفة فخل سبيله ، فأحضره المغيرة فقال : أتشهد أن معاوية خليفة ، وأنه أمير المؤمنين ، فقال : أشهد أن الله عز وجل حق ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن الله يبعث من في القبور ، فأمر به فقتل)[1] . إنتهى من الكامل .

وأخرج ابن عبد البر عن عبد الرحمن بن أبي بكرة قال : (وفدت مع أبي إلى معاوية ، أوفدنا إليه زياد ، فدخلنا على معاوية ، فقال : حدثنا يا أبا بكرة، فقال : إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : الخلافة ثلاثون ، ثم يكون الملك، قال : فأمر بنا فوجأ[2] في أقفائنا حتى أخرجنا) . هذا هو ملخص قصة صلح الحسن عليه السلام مع معاوية ، وبها يتضح أنه إمام ضلالة ، كما قال قيس بن سعد ، وأنه ملك من شر الملوك ، كما قال سعد وسفينة ، وأنه محدث متغلب بالسيف ، لم يأخذها عن تشاور ورضا ، حتى تكون حقاً بل كان لا يقبل صلحاً ، إلاّ أن يستحل شتم علي ، وقطع لسان قيس ، ويده ، وقتل فلان وفلان ، ثم أحدث الأحداث ، وغيَّر وبدل ، ﴿وكل ذلك كان سيئه عند ربك مكروهاً﴾[3] فأين الحقية التي يدعيها أنصاره ؟ الذين لا غرض لهم ، إلاّ نصرة مذهبهم ، وتعصبهم لأحزابهم، ﴿ولو صدقوا لله لكان خيراً لهم﴾[4] أعاذنا الله تعالى مما ابتلاهم به ، وجعلنا ما عشنا من أنصار الحق وحزبه آمين .

---

(١) الكامل ٣/٤٠٦ ـ ٤٠٩، مع الحذف .
(٢) وجأ أي ضرب .
(٣) سورة الإسراء : الآية ٣٨ .
(٤) سورة محمد : الآية ٢١ .

زعمهم أن الإجتماع على معاوية إجماع . ورده

وزعم بعض أنصار معاوية ، أن اجتماع الأمة عليه بعد صلح الحسن عليه السلام ، إجماع منها ، والإجماع حجة ، وهذا مغالطة ومشاغبة ، فإن الإجتماع غير الإجماع ، فالإجماع كما قال الأصوليون : هو اتفاق مجتهدي الأمة جميعهم على أمر ، بدليل من الكتاب والسنة ، يستند المجموعون إليه ، فأي دليل هنا يوجد على أحقية ولاية معاوية ؟ وأي مجتهد صرح بها ؟ اللهم إلّا أن يكون عمراً والمغيرة ، وسمرة ، وزياد ، وأمثالهم ، ممن ليس لهم في الدين قِدَمَ ولا قَدم ، أما أهل الفضل والعلم ، والدين ، فقد صرح أكثرهم كما قدمنا ، بأنه متغلب بالسيف ، واثب عليها بغير استحقاق ، وقد أكره كثيرٌ منهم على البيعة له ، وعذب من عذب ، وقتل من قتل على الإمتناع عنها . وأما الإجتماع عليه بغير استحقاق ، فواقع ، وقد وعد به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على جهة الأخبار بما سيصيب الأمة من الفتنة . فقد أخرج نعيم بن حماد في الفتن عن سفيان ، قال : (أتيت الحسن بن علي بعد رجوعه إلى المدينة ، فقلت : يا مذل المسلمين ، فكان مما احتج به علي أن قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : لا تذهب الأيام والليالي ، حتى يجتمع أمر هذه الأمة ، على رجل واسع السرم ، ضخم البلعوم ، يأكل ولا يشبع ، وهو معاوية ، فقلت : إن أمر الله واقع)[1] .

وأخرج أبو نعيم عن عمار بن ياسر رضي الله عنه قال : (إذا رأيتم الشام اجتمع أمرها على ابن أبي سفيان فألحقوا بمكة)[2] .

---

(١) كنز العمال ج ١٣ ص ٥٨٩ ح (٣٧٥١٣) وفيه سفيان بن الجبلي قال عنه أبو الفتح الأزدي (. . . وسفيان مجهول والخبر منكر) نفس المصدر .

(٢) تطهير الجنان واللسان .

إن اجتماع الناس عليه ، وأكثرهم مكرهون ، لا يقيم له عذراً ، ولا يخفف عنه أصراً ، ولو سلمنا جدلاً ، بما يزعمه بعض أنصاره من أنهم كلهم طائعون ، وأنه قرشي جائز الإمامة ظاهراً ، فأين الرحمة ؟ وأين العدل ؟ وأين الوفاء المشروطة في إمامة القرشي ؟ في حديث الأئمة من قريش ، حتى إذا أخل بواحد منها ، وجبت عليه لعنة الله ، والملائكة ، والناس ، أجمعين ، لا رحمة ، وهو يقتلهم تشفياً ، وصبراً ، ويهدم ديار قوم ، وينفي آخرين ، ويولي عليهم الظلمة ، يسومونهم سوء العذاب ، ولا عدل ، وهو يقضي بالولد للزاني لا للفراش ، وقد استأثر بالبيضاء والصفراء ، وبذَّر أكثر أموال المسلمين ، كما تهوى نفسه ، يأخذ بغير الحق ، وينفق في غير حق ، ولا وفاء ، وقد أخبر النبي عليه الصلاة والسلام : أنه لا يجتمع مع عمرو إلاّ على غدر ، وقد قال علي كرم الله وجهه : أنه (يغدر ويفجر)[1] ولو لم يصدر منه ، إلاّ غدره ، فيما عاهد عليه الحسن بن علي عليهما السلام ، لكفى . ودونك أيها الطالب الحق ، متن الحديث المذكور ، قال صلى الله عليه وآله وسلم : (الأئمة من قريش ، ولهم عليكم حق ، ولكم مثل ذلك ، فإن استرحموا رحموا ، وإن استحكموا عدلوا ، وإن عاهدوا وفوا ، فمن لم يفعل ذلك فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لايقبل الله منه صرفاً ، ولا عدلاً)[2] . ولهذا الحديث طرق جمعها الحافظ ابن حجر رحمه الله في مؤلف سماه ، لذة العيش في طرق حديث الأئمة من قريش .

قال المسعودي رحمه الله : (حدث منصور بن وحشي ، عن أبي الفياض عبد الله بن محمد الهاشمي ، عن الوليد بن البحتري

---

(١) خطبة (٢٠٠) من نهج البلاغة شرح محمد عبده .
(٢) كنز العمال ج ١٢ ح (٣٣٨٠٠) .

العبسي ، عن الحرث بن مسمار البهراني ، قال : حبس معاوية صعصعة بن صوحان العبدي ، وعبد الله بن الكواء اليشكري ، ورجالاً من أصحاب علي ، مع رجال من قريش ، فدخل عليهم معاوية يوماً ، فقال : نشدتكم بالله ألا ما قلتم حقاً ، وصدقاً أي الخلفاء رأيتموني ؟ فقال ابن الكواء : لولا أنك عزمت علينا ما قلنا ، لأنك جبار عنيد ، لا تراقب الله ، في قتل الأخيار ، ولكنا نقول إنك ما علمنا ، واسع الدنيا ، ضيق الآخرة ، قريب الثرى ، بعيد المرعى ، تجعل الظلمات نوراً ، والنور ظلمات ، قال بعد محاورة طويلة مع ابن الكواء ، ثم تكلم صعصعة فقال : تكلمت يا ابن أبي سفيان فأبلغت ، ولم تقصر عما أردت ، وليس الأمر على ما ذكرت ، أنى يكون الخليفة من ملك الناس قهراً ، ودانهم كبراً ، واستولى بأسباب الباطل كذباً ، ومكراً ، أما والله ، مالك في يوم بدر مضرب ، ولا مرمى ، ولقد كنت أنت وأبوك في العير والنفير ، ممن أجلب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإنما أنت طليق ابن طليق ، أطلقكما رسول الله صلى الله عليه واله وسلم فأنى تصلح الخلافة لطليق ، فقال معاوية : لولا أني أرجع إلى قول أبي طالب حيث يقول :

قابلت جهلهم حلماً ومغفرة   والعفو عن قدرة ضرب من الكرم

لقتلتكم)(1) . إنتهى .

قلت : لم يكن امتناع هذا الطاغية عن قتل هؤلاء خوفاً من المنتقم الجبار ، ولا فرقاً من ورود النار بل امتنع عن ذلك ، كما صرح نفسه به طمعاً في أن يقال إنه حليم ، وكريم ، وقد قالها أنصاره ، وزادوا عليها ، ما أقروا به عين الباطل ، وشوهوا به وجه الحق ، وقد جاؤا ظلماً وزوراً .

---

(1) مروج الذهب ٣/ ٥٠ .

الشبهة الثالثة ما ذكروه من الأحاديث في فضل معاوية وبيانها

وسنقدم قبل ذكر شيء منها طرفاً، مما جاء عن الحفاظ على سبيل الإحتمال، في نفي صحتها وإعلالها، تعلم به حقيقة حالها.

قال الحافظ جلال الدين السيوطي رحمه الله، في كتابه اللآلىء المصنوعة في الأحاديث الموضوعة، بعد ذكر أحاديث كثيرة، في فضل معاوية: كلها موضوعة لا أصل لها ثم قال: قال الحاكم: سمعت إسحق بن إبراهيم الحنظلي يقول: لا يصح في فضل معاوية حديث. انتهى[1].

ونقل الحافظ بن حجر العسقلاني في شرحه على البخاري عن ابن الجوزي، عن اسحق بن راهويه، أنه قال: (لم يصح في فضل معاوية شيء، ثم قال: أخرج ابن الجوزي أيضاً، من طريق عبد الله بن أحمد بن حنبل، سألت أبي ما تقول في علي ومعاوية؟ فأطرق، ثم قال أي شيء أقول فيهما؟! أعلم أن علياً كان كثير الأعداء، ففتش أعداؤه له عيباً، فلم يجدوا، فعمدوا إلى رجل قد حاربه، فأطروه كيداً منهم لعلي، قال: فأشار بهذا إلى ما اختلقوه لمعاوية من الفضائل، مما لا أصل له، قال: وقد ورد في فضل معاوية أحاديث كثيرة، لكن ليس فيها ما يصح من طريق الإسناد، وبذلك جزم اسحق بن راهويه، والنسائي، وغيرهما والله أعلم)[2]، إنتهى من فتح الباري.

وروى محمد بن اسحق الأصبهاني بسنده، عن مشايخه، أن الإمام النسائي رحمه الله خرج إلى دمشق، فسئل عن معاوية ما يروى من فضائله، فقال: أما يرضى معاوية، أن يخرج رأساً برأس، حتى

---

(١) اللآلىء المصنوعة في الأحاديث الموضوعة ١/٤١٤ - ٢٢٤.

(٢) فتح الباري ٧/٨٣.

يُفضل ، وفي رواية ما أعرف له فضيلة إلا لا أشبع الله بطنه[1] .

وقال العلامة العيني في شرح البخاري ، فإن قلت قد ورد في فضله ـ يعني معاوية ـ أحاديث كثيرة ، قلت : نعم ، ولكن ليس فيها حديث يصح من طرق الإسناد ، نص عليه اسحاق بن راهويه ، والنسائي وغيرهما ، فلذلك قال : ـ يعني البخاري ـ باب ذكر معاوية ، ولم يقل فضيلة ولا منقبة[2] إنتهى . وقال خاتمة الحفاظ محمد بن علي الشوكاني ، وفي كتابه الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة ، (اتفق الحفاظ ، على أنه لم يصح في فضائل معاوية حديث)[3] إنتهى .

أما الأحاديث الموضوعة في فضل معاوية فكثيرة ، وإيرادها لغير بيان وضعها ، مما لا يجوز ، لأنه كذب محض على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وإيراد الشيخ ابن حجر الهيثمي جانباً منها في كتابيه السابق ذكرهما ، في معرض الإحتجاج ، والإستدلال ، غير محمود ، والله يغفر لنا وله ، وأما الأحاديث الضعاف في فضله ، فثلاثة ، أو أربعة ، ولا حجة بالضعيف ، كما علمت ، وقول المحدثين ، والأصوليين ، أن الحديث الضعيف يؤخذ به في المناقب ، وفضائل الأعمال ، فذلك حيث كان ، لذكر منقبة مجردة ، لا يترتب عليه حكمٌ ما ، فلا يبنى عليه تصويب ذي خطأ ، ولا تبرير ذي اثم ، ولا يعارض بها صحيح ، ولا حسن ، ونحوه ، ولا يخصص بها عام ، ولا يقيد بها مطلق ، فاحتجاج أنصار معاوية بها نفخ في رماد .

نعم جاء في حق معاوية حديث غريب ، أخرجه الترمذي في

(١) تاريخ ابن كثير ١١/١٢٤ .

(٢) نقله صاحب تطهير الجنان واللسان ص ٩ .

(٣) الفوائد المجموعة ٤٢٣ تحقيق محمد عبد الرحمن عوض .

الجامع ، وحسنه عن عبد الرحمن بن أبي عميرة ، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول وذكر معاوية (أللهم اجعله هادياً مهدياً واهده واهدِ به)[1] ، ومنتهى سند هذا الحديث عبد الرحمن بن أبي عميرة ، وقد قال ابن عبد البر (حديثه مضطرب ، لا يثبت في الصحابة ، وهو شامي . . . ومنهم ، من يوقف حديثه هذا ، ولا يرفعه ، ولا يصح مرفوعاً عندهم)[2] إنتهى . وقال سعيد بن عبد العزير : اختلط في آخر عمره[3] .

قلتِ : قد علمت ما في هذا الحديث من الإعلان ، وأن تحسين الترمذي ، إنما هو تحسين الإسناد إلى عبد الرحمن بن أبي عميرة ، وهو كذلك ، ولكن قد علمت ، أن صحبة عبد الرحمن لم ثبت ، فيكون الحديث حينئذ مرسلاً ، وعلى التنزل ، وفرض رفعه ، صحته ، فمحصل مفاده ، أن النبي دعا له أن يكون هادياً مهدياً ، ونحن نقول أن دعاء النبي صلى الله عليه وسلم مستجاب عند الله ، أللهم إلا ما صرّح، أو أشار هو صلى الله عليه وآله وسلم بعدم استجابته كاستغفاره للمنافقين ، وغيره ، وهذا الدعاء من هذا القبيل ، إذا لم يظهر من أفعال معاوية ، إلاّ ما يدل على أنه ضال مضل ، وليس هادياً مهدياً ، كما تشهد به سيرته ، وأعماله الفظيعة الواصلة إلينا بالتواتر .

وها هنا دلالة على عدم استجابة الله هذه الدعوة لمعاوية لو فرضنا صحة الحديث من حديث صحيح أخرجه مسلم عن سعد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سألت ربي ثلاثاً فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة سألت ربي أن لا يهلك أمتي بالسنة فأعطانيها وسألته أن

---

(١) الترمذي ٥/٦٨٧ ح (٣٨٤٢) ، (٣٨٤٣) .

(٢) الإستيعاب ٢/٨٤٣ رقم (٤٤) .

(٣) تهذيب التهذيب ٤/٦٠ رقم (١٠٢) .

لا يهلك أمتي بالغرق فأعطانيها وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها تعرف بهذا الحديث وغيره شدة حرصه صلى الله عليه وآله وسلم على أن يكون السلم دائماً بين أمته فدعا الله تارة أن لا يكون بأس أمته بينهم كما في حديث مسلم وتارة أن يجعل معاوية هادياً مهدياً لانه بلا ريب يعلم أن معاوية أكبر من يبغي ويجعل بأس الأمة بينها فمآل الدعوتين واحد وعدم الإجابة في حديث مسلم تستلزم عدمها في حديث الترمذي والمناسبة بل التلازم بينهما واضح بيِّن وفي معنى حديث مسلم هذا جاءت أحاديث كثيرة ومرجعها واحد .

ومما ورد فيه من ضعاف الأحاديث ما أخرجه ابن أبي شيبة عن معاوية أنه قال : (ما زلت أطمع في الخلافة منذ قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ملكت فأحسن)[1] ، وقد عرفت ضعف هذا الحديث وعلى فرض صحته فلا منقبة فيه لمعاوية لأن الله سبحانه وتعالى قد أطلع نبيه على ما سيجري بين أمته من الفتن والحروب وقد أخبر عنها بما أخبر وأشار إلى ما أشار وفي هذا الحديث إشارة إلى أن معاوية سيملك وقد صرح في أحاديث صحيحة بأن ملكه ملك عضوض وقد أمره بالإحسان إذا ملك حيث لا سامع ولا مؤتمر وليس ذلك من قبيل البشارة والغبطة بملكه بل من باب الأخبار بالمغيبات والإنذار بالفتنة وإقامة الحجة عليه بتبليغه .

وهذه الأخبار لا يستلزم حقية فأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد أخبر عن أمور كثيرة من هذا القبيل كفتن الخوارج وأن بني مروان ينزون على منبره كما تنزو القردة وقد أخبر موسى عليه السلام بما يملك بختنصر الجبار الكافر وما سيرتكبه من بني إسرائيل فيكون الإخبار بهذه الأمور دليل على حقيتها لا يقول بهذا أحد ولكن أنصار

---

(١) تطهير الجنان واللسان ١٥ عن ابن أبي شيبة .

معاوية يتشبثون في تزكيته بمثل خيوط العناكب ضعفاً ويلوون رؤوسهم عما ثبت فيه من المثالب ألا تراهم كيف يتبجحون بما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما أن عكرمة أخبره أن معاوية يوتر بركعة فقال ابن عباس دعه فإنه فقيه قال إن الفقيه في عرف ذلك الزمن هو المجتهد وشهادة ابن عباس قطعية وأطالوا في ذلك بما يضجر المطالع ويفسد ذهن السامع قبلوا شهادة ابن عباس لمعاوية ونعم الشاهد ولم يقبلوا شهادة مولى كل مؤمن ومؤمنة لعلي بن أبي طالب كرّم الله وجهه، حيث يقول لمعاوية كما في نهج البلاغة : (دخلت في الإسلام كرهاً وخرجت منه طوعاً) وأسقطوا شهادته عليه السلام فيما نقله الثقاة عنه أنه قال : (إن معاويه وعمرواً وابن أبي معيط وحبيباً وبن أبي سرح ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن أنا أعرف بهم منكم قد صحبتهم أطفالاً ثم رجالاً فكانوا شر أطفال وشر رجال) ونبذوا أيضاً شهادة قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري في كتابه إلى معاوية يقول فيه : (إنّا أنصار الدين الذي خرجت منه وأعداء الدين الذي دخلت فيه) وأمثال هذه الشهادات على معاوية من كبار الصحابة كثيرة جداً لا يمكن حصرها .

بماذا شهد ابن عباس لمعاوية؟! قال إنه فقيه حيث أوتر بركعة ، إن الفقيه بهذه المسألة التي خالف بها عمل النبي وأصحابه يكاد أن يكون من قبيل الحيل في دين الله ويوضحه قوله دعه فلو كان ذلك محمولاً لأمره بالإقتداء به .

أخرج الطبراني في الفردوس عن ابن عباس أيضاً أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : آفة الدين ثلاثة فقيه فاجر وإمام جائر ومجتهد جاهل) .

أما الحديث الذي أشار إليه الإمام النسائي فهو ما رواه مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان يلعب مع الصبيان فجاء له

النبي صلى الله عليه وسلم فهرب وتوارى فجاءه وضـربه بين كتفيـه ثم قال اذهب فادع لي معاوية قـال : فجئت فقلت هو يـأكل ، ثم قـال : إذهب فادع لي معاوية قال : فجئت فقلت) : هو يأكـل فقال لا أشبـع الله بطنه[1] إنتهى . روي أنه كان يأكل إلى أن يمل فيقول إرفعوا فوالله ما شبعت ولكن مللت وتعبت كأن داء أصابه بـدعاء الـرسول صلى الله عليه وآله وسلم قال الشاعر يصف رجلاً أكولاً :

وصاحب لي بطنه كالهاوية   كـأن في أمعـائـه معـاويـة

ما زعموه من حلم معاوية وحذقه

وقد ذكر المؤرخون أن معاويـة يجمع على مـائدتـه سبعين صنفاً من الطعام يقول أنصار معاوية إن معاوية لحليم حاذق وأن الحلم لخلة شـريفة ومنقبـة عظيمـة وأن الحذق لسجيـة محمـودة تنـاقلوا ذلـك في أسفارهم وتمثلوا به في أخبـارهم وأشعارهـم وربما جر بعضهم قصـوره عن إدراك الحقائق إلى الزعم بأن معاويـة كان أصح فكراً وأبعـد غوراً وأدق إدراكـاً من علي عليه السـلام وبما ظن ذلـك البعض بنفسه حيث عرف ذلك واستخرجه من مجرياتهـما وسيـرتها أنـه من الخاصـة أهل التحقيق والإنصـاف والتمييز ، مـع الأمر بخـلاف ذلك ، والقـائـل بـه عـامي ، يقول ببـادىء الرأي ويستعجـل في الحكم على القضـايـا قبـل الفحص التـام عن أسبابهـا ، ومـوانعهـا ، ومقتضيـاتهـا ، وتمحيصهـا للحكم عليها ، ولعمري إنه لا جدر بما قيل .

ما أنت بالحكم لترضى حكومتـه   ولا الأصيل ولا ذي الرأي والجدل

ولو تتبع تلك القضايا وعرفها حق المعرفة لأدرك أن حلم معـاوية إنما هو خبث وحيلة ونفاق ومراوغـة وإيضاح هـذا الأمر وبيـانه يقتضي

---

(١) صحيح مسلم ٢٧/٨ ، تاريخ ابن كثير ١١٩/٨ .

التمهيد له بذكر ما كان من التفاوت بين حال علي عليه السلام في سيرته ، وبين حال معاوية ومن يشاركه في آرائه ، كعمرو بن العاص ، والمغيرة بن شعبة ، وذلك أن علياً كرم الله وجهه كان لا يستعمل في حروبه وسائر أفعاله إلاّ ما يوافق الكتاب والسنة ملازماً في جميع حركاته قوانين الشريعة مدفوعاً إلى اتباعها رافضاً ما كان يستعمله المشركون في الجاهلية والبغاة القاسطون في الإسلام في حروبهم من المكر المحظور والخبث والدهاء والغدر والحيلة والتغرير بالإجتهاد في مقابلة المنصوص وتخصيص العموميات بالآراء لتوافق الهوى وغير ذلك مما لا ترخص فيه الشريعة ولا يرضاه الله ولا رسوله فكان كرم الله وجهه يقول لأصحابه لا تبدأوهم بالقتال حتى يبدأوكم ولا تقتحموا باباً مغلقاً لأنه كرم الله وجهه كان ملجماً بلجام الورع عن جميع القول إلاّ ما كان فيه لله رضى وممنوع اليدين عن كل بطش إلاّ ما ارتضاه الكتاب والسنة ومنقطع عن كل تدبير إلاّ ما أذن الله فيه فكان مجال التدبير عليه ضيقاً ومن هذا التضييق وقعت أمور كثيرة ينسب إليه القاصرون التقصير فيها كعدم إقراره معاوية على الولاية في أول خلافته ثم يعزله بعد ذلك لما يعلمه في تقريره من الظلم والجور وكعدم إرضاء طلحة والزبير بتوليتهما المصرين كما طلبا حتى فارقاه وكمخاشنته في الله لبعض أصحابه كأخيه عقيل وشاعره النجاشي ومقصلة بن هبيرة حتى فارقوه إلى معاوية كما نسبوا الفاروق رضي الله عنه إلى قصور الرأي في تنفيره جبلة بن الأيهم والتشديد عليه في طلب القصاص بلطمة لطمها رجلاً وطيء إزاره حتى ارتد بسبب ذلك جبلة عن الإسلام وارتد بارتداده ألوف من أتباعه وفي أمره بحرق مكتبة الإسكندرية وإحراقه قصر سعد بن أبي وقاص بالكوفة ومشاطراته كثيراً من عماله أموالهم وأمثال هذا ولا غرو أن من اقتصر على الكتاب والسنة فقد حجّر على

نفسه الواسع ومنع نفسه الطويل العريض وما لا يتناهى من المكائد ووجوه الفلج والظفر .

وكان معاوية وأصحابه غير متقيدين بدين ولا ملتزمين في الباطن لشريعة بل كانوا يستعملون المكر والخبث والغدر والكذب والتغرير والتأويل مما يستخرجون به وجوه مصالحهم سواء كان جائراً في الشرع أو محظوراً وسواء أكان فيه سخط الله تعالى أم رضاه ومن المعلوم البديهي أن الصدق والكذب معاً أوسع مجالاً من الصدق وحده وأن الحلال والحرام معاً أكثر طرقاً من الحلال وحده فاتسع بذلك لمعاوية وأصحابه مجال التدبير من التفريق بين الناس بالكذب وإلغاء الكتب المزورة في العسكر بالسعايات ودس السموم في الأطعمة وبذل الرشوة من مال الله وأمثال ذلك من المكائد الأثيمة وزخارف القول المفتعلة **﴿ يرضونكم بأفواههم وتأبى قلوبهم وأكثرهم فاسقون ﴾**(١) **﴿ أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون ﴾**(٢) .

ولما رأى قاصرو النظر نوادر معاوية وعمرو في المكائد وكثرة غرائبهم في الخديعة ولم يروا مثل ذلك من علي كرم الله وجهه توهموا أن ذلك من رجحان عند معاوية ونقصان عند علي عليه السلام وجرهم ذلك إلى الحكم بما زعموا ثم إذا رميت بنظرك إلى خدائع معاوية وعمرو وجدت أكبرها رفع المصاحف ولم ينخدع بها علي كرم الله وجهه بل أدرك لأول وهلة أنها مكيدة لطلب الخلاص والنجاة ونبه أصحابه عليها لولا أن بعض أصحابه لما فيهم من الغرارة والتسرع والطيش انخدعوا بذلك وآل بهم الأمر إلى التنازع فوافقهم الإمام خشية الإفتراق ومثلها صنعوا في تعيينهم أبا موسى الأشعري حكماً من

---

(١) سورة التوبة : الآية ٨ .

(٢) سورة الأعراف : الآية ٩٩ .

جانب علي عليه السلام وإصرارهم وتصميمهم على ذلك وهو يعلم ما عند أبي موسى من الإنحراف عنه والغباوة فيه إلّا أنه كرم الله وجهه قيد أمر التحكيم بكتاب الله حتى لا يلزمه ما خالفه من فعل الحكمين قال أبو الفرج بن يزيد الكلاعي : قالوا لعلي كرم الله وجهه حكمت كافراً ومنافقاً فقال ما حكمت مخلوقاً إلّا القرآن(١) وقد أشار كرم الله وجهه إلى جميع ما قدمناه بكلمات وجيزة مذكورة في نهج البلاغة ، قال كرم الله وجهه : (والله ما معاوية بأدهى مني ولكنه يغدر ويفجر ولولا كراهة الغدر لكنت من أدهى الناس ولكن لكل غدرة فجرة وكل فجرة كفرة ولكل غادر لواء يعرف بها يوم القيامة والله ما استغفل بالمكيدة ولا استغمز بالشديدة)(٢) . إنتهى .

ويتشدق بعض الطائشين ويتبجح بترديده على اللسان أن معاوية خال المؤمنين وقد أخذ هذه الخوؤلة من جهة كون معاوية أخاً لأم المؤمنين أم حبيبة رضي الله عنها وأخو الأم خال لغة ويظن الطائش أن بتلك الخوؤلة التي زعمها لمعاوية شرفاً ونسباً بينه وبين المؤمنين وما درى الغبي أنه لا يمكن ولا يصح إطلاق لفظ الخال على أحد من أخوان أمهات المؤمنين رضي الله عنهن حقيقة لأن الله سبحانه إنما أنزلهن منزلة الأمهات للمؤمنين في التحريم واستحقاق التعظيم فقط لا منزلة الأم بجميع معانيها فإن الأم الحقيقية هي الوالدة قال الله تعالى ﴿ **إنّ أمهاتهم إلّا اللّائي ولدنهم وإنهم ليقولون منكراً من القول وزوراً** ﴾(٣) .

وكما نزلت زوجات النبي عليه واله الصلاة والسلام منزلة الأم

---

(١) استدل أهل السنة بهذه المقالة عن علي كرم الله وجهه على أن القرآن ليس بمخلوق ولولا صحتها عندهم لما احتجوا بها في مسألة يطلب فيها اليقين والقطع (إنتهى) .

(٢) خطبة (٢٠٠) من النهج شرح محمد عبده .

(٣) سورة المجادلة : الآية ٢ .

فيما مر فكذلك نزلت المرضعة مع قرابتها في منـزلة الأم الحقيقيـة في تحريم المناكحة فقط لا في كل معـانيها من التـوارث ووجوب الـطاعة والنفقة وغيرها .

ولـو صح أن يقـال أن معاويـة خال المؤمنين لصـح أن يقـال أن حيي بن أخـطب اليهودي جـد المؤمنين فمن كان معـاوية خـاله فحيي جـده ولكـانت بنـات أبي سفيـان بـل وبنـات أبي بكـر وعمـر خـالات المؤمنين كيف وهن متزوجات بأبناء أخواتهن إن هذا والله لهو التلاعب بكتاب الله وأحكامه ماذا يقول الفقيه فيمـا لو علق رجـل طلاق زوجتـه بقوله إن كان معاوية خالي أو حيي جـدي فزوجتـه طالقـة أتراه يمضيـه ويفـرق بينهما لا أظن قـاضياً يتجـاسر على ذلـك ولا حول ولا قـوة إلاّ بالله .

كتابة معاوية للنبي عليه الصلاة والسلام

وأما كتابة معاوية للنبي صلى الله عليه وآله وسلم فصحيحة كمـا جـاءت في صحيح مسلم وفي حـديث اسنـاده حسن أن معـاويـة كـان يكتب بين يدي النبي صلى الله عليه وآلـه وسلم قال المـدائني كان زيـد بن ثـابت يكتب الـوحي وكـان معـاويــة يكتب للنبي صـلى الله عليــه وآلـه وسلم فيـما بينه وبـين العرب إنتهى[1] . وتلك فضيلة لا تنكـر أما كتـابة معـاويـة للوحي والتنـزيل فلم تصـح ومن ادعى ذلك، فليثبت آيـة نـزلت فكتبهـا معاوية أللهم إلاّ أن يـأتينا بـالحديث المـوضوع أنـه كتب آية الكـرسي بقلم من ذهب جاء به جبريل هدية لمعاوية من فـوق العرش نعـوذ بالله من الفـريـة على الله وعلى أمينـه وعلى رسـولـه ذلـك وأيم الله العــار

---

(١) الإصابة عن المدائني ج ١٣ ص ٤٣٤ طبع حيدر آباد .

والشنار[1] ﴿ **قل أفأنبئكم بشر من ذلكم النار** ﴾[2] .

ثم إن معاوية بعد أن كتب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم رجع ناكصاً على عقبيه فكتب بيده المظالم والأوامر المحترمة بالسب والبغي والجرائم المحبطة للأعمال وقد كتب قبله للنبي صلى الله عليه وآله وسلم عبد الله بن خطل وقد كان يقول إن كان محمد نبياً فإني لا أكتب له إلا ما أريد ثم ارتد ولحق بمكة مشركاً فلما كان يوم الفتح ضرب عنقه ولم تعصمه الكتابة عما أراده الله له من سوء الخاتمة وشقاوة العقبى في الآخرة ذكر هذا ابن عدي وكتب أيضاً قبله عبد الله بن أبي سرح بمكة ثم ارتد وصار يقول كنت أصرف محمداً حيث أريد كان يملي على عزيز حكيم فأقول أو عليم فيقول نعم كل صواب ونزل فيه ﴿ **فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً** ﴾[3] . وأهدر النبي دمه يوم الفتح .

الشبهة الرابعة تولية عمر بن الخطاب لمعاوية :

تولية عمر بن الخطاب رضي الله عنه إياه دمشق الشام وأعمالها وإبقاؤه والياً عليها حتى قتل عمر رحمه الله وعمر رضي الله عنه من أهل الفراسة الصادقة والنظر الصائب قال أنصار معاوية لو كان معاوية غير متأهل للولاية لما ولاه عمر ولو كان ممن يستحق العزل لعزله فدلت توليته وعدم عزله على رضا عمر عن أفعاله ورضى عمر منقبة عظيمة .

وأقول هذه الشبهة لا توجب توقفاً عن سلوك طريق فرقة الحق القائلة بجواز لعنه ووجوب بغضه الثابتين بالأدلة الصحيحة كما سبق بل هذه ليست شبهة أصلاً فإن عمر لا يعلم الغيب ولا يطلع على الضمائر

---

(١) اللألىء المصنوعة في الأحاديث الموضوعة ٤١٦ .

(٢) سورة الحج : الآية ٧٢ .

(٣) سورة الأنعام : الآية ١٤٤ .

حتى لا يـولي إلاّ تقياً ولا يستعمـل إلاّ نقياً ولا يلزم من مجـرد اختيـاره ثبوت فضيلة ولا نفي رذيلة هذا مـوسى كليم الله عليه السـلام وهو بـلا ريب أفضل من عمر قد اختار قومه سبعين رجـلاً لميقات الله فمـا كان منهم إلاّ أن قالوا﴿لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة﴾[1]وأخذتهم الـرجفة على بوائق معاوية وجرائمه التـي بسببها استجيز لعنه ووجب بغضه إنما ظهرت بعد زمن عمر وكان معاوية أيام ولايته لعمـر يخافـه ويهابـه وقد ضربه بـالدرة على رأسـه كما رواه ابن سعـد حين دخل عليـه في جبة خضراء معجباً بها لكي يضع من تكبـره وعاتبـه حين دخل الشـام على اتخاذه الموكب العظيم وأعرض عنه وتركه يمشي راجلاً حتى أتعبـه ثـم سـأله عن ذلـك فخادعـه معاويـة بقولـه إنّا في بـلاد لا نمتنع فيهـا من جواسيس العدو فلا بد لهم مما يرهبهم من هيبـة السلطان فإن أمـرتني بذلك أقمت عليه وإن نهيتني عنه انتهيت فقال عمر لئن كان الذي قلت حقاً فإنه رأي أريب ولئن كان باطلاً فـإنها خـدعة أديب وقـد كان عمـر رضي الله عنه يقول من خدعنا في الله انخدعنا له ألا ترى أنه بلغه عن أحد عماله أنه يقول من أبيات له :

اسـقنـي شـربــة ألــذ عليـهــا　　　واسق بــالله مثلهــا ابن هـشــام

فاستدعاه عمر إلى المدينة وعـرف العامـل السبب فتهيأ للخـداع ولمـا حضر قـال لـه عمـر رضي الله عنـه : هيـه أأنت القـائـل اسقني شـربة . . البيت السـابق ، قال : نعم يـا أمير المؤمنين وهـل أسمعك الساعي ما بعده قال لا فما هو قال :

عــســلاً بــارداً بـمــاء قــراح　　　إنـني لا أحـب شــرب المــدام

قال إذا كان هكذا فارجع إلى عملك وذكر أبو جعفر الطبري من

(١) سورة البقرة : الآية ٥٥ .

حديث عبد الله بن محمد عن أبيه في ذكر مراجعة علي لعثمان رضي الله عنهما قال : قال عثمان أنشدك الله يا علي هل تعلم أن المغيرة بن شعبة ليس هناك قال نعم قال فتعلم أن عمر ولاه قال نعم قال فلم تلومني أن وليت ابن عامر في رحمه وقرابته قال علي : سأخبرك أن عمر بن الخطاب كان كل من ولى فأنما يطأ على صماخه أن بلغه عنه حرف جلبه ثم بلغ به أقصى الغاية وأنت لا تفعل ، ضعفت ورفقت على أقربائك قال : عثمان أقرباؤك أيضاً فقال لعمري إن رحمي منهم لقريبة ولكن الفضل في غيرهم قال عثمان : هل تعلم أن عمر ولىَّ معاوية خلافته كلها فقد وليته فقال علي أنشدك الله هل تعلم أن معاوية كان أخوف من عمر من يرأف غلام عمر منه قال نعم قال علي فإن معاوية يقتطع الأمور دونك وأنت تعلنها فيقول للناس هذا أمر عثمان فيبلغك ولا تغير على معاوية إنتهى .

وإليك واقعة من وقائع عمر رضي الله عنه تدلك على أنه لو كان عمر يعلم أدنى شيء مما يصير إليه معاوية من البغي والفساد وارتكاب الجرائم وتفريق الأمة لما ولاه ساعة واحدة على شبر من الأرض فيه مسلم واحد .

قال ابن أبي شيبة حدثنا ابن فضيل عن عطاء بن السائب قال حدثني غير واحد أن قاضياً من قضاة الشام أتى عمر فقال يا أمير المؤمنين رأيت رؤيا أفظعتني قال : ما هي قال رأيت الشمس والقمر يقتتلان والنجوم معهما نصفين قال : فمع أيهما كنت قال كنت مع القمر على الشمس فقرأ عمر ﴿ **وجلعنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة** ﴾[1] أنت مع الآية الممحوة فانطلق فوالله

---

(١) سورة الإسراء : الآية ١٢ .

لا تعمل لي أبداً قال عطاء فبلغني أنه ـ يعني القاضي المعزول ـ قتل مع معاوية بصفين ، إنتهى .

افترى عمر رضي الله عنه إذ لم يرض باستعمال رجل دلت رؤياه على أنه من حزب معاوية إذ هو الآية الممحوة كما ظهر بمقتل ذلك القاضي يرضى باستعمال وتولية رئيس تلك الفئة الباغية وإمامها ومغويها كلا والله غير أن الله سبحانه وتعالى استأثر بعلم الغيب وحجبه عن عباده إلاّ من شاء الله فيما شاءه جل شأنه .

على أنا نقول أن علم عمر رضي الله عنه بفجور معاوية لو كان عالماً به وهو ما لا نظنه لا يكون مانعاً من توليته إذا رأى فيه نوع من مصلحة عامة فقد عزل سعد بن أبي وقاص عن الكوفة ثم وليّ عليها المغيرة بن شعبة وقد روي كما ذكره صاحب الفائق وغيره أن حذيفة قال لعمر رضي الله عنهما إنك تستعين بالرجل الفاجر فقال إني أستعمله لأستعين بقوته ثم أكون على قفاه وذكر أيضاً أن عمر رضي الله عنه قال غلبني أهل الكوفة أستعمل عليهم المؤمن فيضعف وآستعمل عليهم الفاجر فيفجر ، إنتهى .

الشبهة الخامسة قول الأشعري والماتريدي بعدالته واجتهاده :

تتابع الأكثر من علماء أصحابنا الأشاعرة ، والماتريدية ، مدداً طويلة في القول بتعديل معاوية ، والسكوت عن ذكر مثالبه ، وتأويلها ، أو حملها على المحامل الحسنة ، وإنكار ما يمكن إنكاره منها ، وهذه الشبهة ، إنما هي عند المقلدين ، والعوام ، وهي النقطة السوداء في مذهب أهل السنة ، وهي أشد الشُبه إضراراً بهم ، واستحكاماً في عقائدهم، وتمكناً منهم ، حتى صاروا يعتبرون من لعن معاوية ، أو ذكر شيئاً من بوائقه مبتدعاً ، وفاسقاً ، لا يصغون إلى

سماع دليل ، ولا يلتفتون إلى نقل ، وإن كان صحيحاً ، لا تظهر منهم لدى البحث ، إلّا بوادر الحنق وسورات الغضب .

يا مرسل الريح جنوباً وصبا — إن غضبت قيس فزدها غضبا

قصارى ما عند العالم منهم ، أن يقول لك عند البحث ، إن أئمة السنة ، وقادة الجماعة كأبي الحسن الأشعري ، وأبي منصور الماتريدي ، ومن بعدهما ، كالباقلاني ، والسبكي ، والغزالي ، والعضد ، والدواني ، والنسفي ، والنووي ، وهلم جراً كلهم من العلم ، والتحقيق ، وسعة الإطلاع ، بالمنزلة السامية ، وكل هؤلاء يستحسن تولي معاوية ، ويأمر بالسكوت عن ذكر مثالبه ، ويتأولها له ، وينهى عن لعنه ، وسبه ، ولو لم يكن لهم دليل على ذلك ، لما قالوه ولسنا بأعلم منهم ، حتى نخالفهم ونصنع غير الذي صنعوا .

والجواب عن هذا :

أننا لا ننكر فضل هؤلاء الرجال ، وعلو مقامهم من العلم ، والتحقيق ، والديانة ، والورع ، نستمد من علومهم ، ونتبع آثارهم ، ونقتبس من أنوارهم ، ونعتقد حسن نياتهم ، ونبل مقاصدهم ، ولكنا مع هذا القول : إنهم ليسوا بمعصومين عن الهفوات ، فلا حجة في أقوالهم، ولا نجاة باتّباعهم، إلا فيما وافق الحق، مما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وعن أكابر أصحابه ، وأما ما خالفوا باجتهادهم فيه الطائفة الأولى ، والنقل الصحيح ، من توليهم معاوية ، والترضي عنه ، إن صحّ عنهم ، وتعديله ، والتزام تأويل قبائحه ، فلا يلزمنا قبوله ، إذ لا يسوغ لمن عرف الحق اتباعهم ، ولا تقليدهم في شيء من ذلك ، وقد مرت بك الأدلة ، التي تشبثوا بها من الصحبة ، وغيرها في الشبه الأربع السابقة ، ومر بك أيضاً ، بيان عدم نهوضها بمدعاهم ، في معارضة أدلة الفرقة الأولى ، في جواز لعنه ، ووجوب

بغضه ، وبيان حاله ، للتحذير منه ، وقد مر في صدر هذه الرسالة ذكر كثير منها ، كما رأيته ، من عمومات الأحاديث ، ومن لعن كثير من الصحابة له ، وسبهم إياه ، وإعلان بغيه ، وفجوره ، وكيف يسوغ لطالب الحق ، أن يضرب صفحاً ، عن تلك الأدلة القوية ، ويتبع ما قاله المتأخرون ، وهو يعرف ، أن لا مستند لهم ، فما قالوا إلّا ما مر ، كم صرحوا بذلك .

فإن قيل : إنك معترف ، بأن هؤلاء الذين ذكرت ، أوسع منك علماً ، وأقوى منك إدراكاً ، وأكثر اطلاعاً منك ، على الأدلة ، وأقدر منك على تأليف المقدمات ، واطلاع النتائج ، وهم اتقى الله منك ، فيكونون حينئذ أسرع منك إذعاناً للحق ، وأجدر بإصابة الصواب ، ومع هذا فإنهم ، لم يذكروا ما ذكرت ، ولم يصرحوا به كما صرحت ، فما هو السبب الذي قيدهم وأطلقك وأسكتهم وأنطقك ؟ .

قلت : السبب هو حرية فكري في استنباط الحق ، وحرية قولي في إعلانه ، وسجنهم أفكارهم ، وأقوالهم ، وتقييدها بقيود التقليد ، وغلها بأغلال الإنتصار ، للمذهب ، ولا ريب ، أن أحرار الفكر ، والقول ، قليلون جداً ، لأن الإنسان مهما كان ذكياً وعالماً، فضلاً عن الجاهل والبليد لا بد أن تطرق سمعه ، وتحتل ذهنه ، من حال صغره قضايا ، ومقدمات ، تؤثر في ذهنه ، وتنطبع في وجدانه ، وترسخ فيه ، بتكرر تعاورها عليه ، فتجعل بينه وبين ما يخالفها غشاوة ، تحجب الفكر عن النظر فيه أصالة ، بل ربما صارت اعتقاداً ، مظنون الصدق ، فلا يتجاوز الفكر ، ذلك الإعتقاد ، ولا يحكم إلّا بما يوافقه .

ولا شك ، أن هؤلاء الأفاضل ، قد اطلعوا على جميع ما ذكرت ، من الأدلة القرآنية ، والنبوية ، ولكنهم لم يبيحوا لأفكارهم

الإستنتاج منها ، إلاّ بالمقدار الذي يوافق عقائدهم الراسخة ، في أذهانهم ، مما تلقوه عن مقلديهم ، وتهيبوا مع ذلك عن مخالفتهم ، مع اتساع المجال لهم بالتأويل ، الذي سكنت إليه نفوسهم ، لمطابقته معتقداتهم ، ولو أن أولئك الفضلاء أطلقوا لأفكارهم عنان الحرية ، واستنبطوا أحكام القضايا ، التي ذكرناها من مصادرها الأولية من الآيات ، والأحاديث ، مع تخلية الذهن عما علق به من غيرها ، وتجريده عما رسخ فيه من أقوال ، من تقدمهم التي لا حجة بها ، ولا إلتفات إليها، في مقابلة قول الله تعالى، وقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لحكموا قبلي بماحكمت، وقالوا كلهم بما قلت ، على أني لم آت بدعا من القول ، ولا جديداً من الإعتقاد ، بل أنا مسبوق في كل ما قلته بأقوال كثيرين ، هم أتقى لله ، وأورع ، وأجل ، وأفضل ، وأعلم من أولئك الذين سكتوا عما ذكرت ، ولم يصنعوا كما صنعت ، ﴿ ولكل وجهة هو موليها ﴾[1] .

نعم ، أن كثيراً منهم ، قد آتاه الله حرية الفكر ، ولم تتغلب عليه تلك العوامل ، التي تغلبت على غيره ، ولكن لم يؤته الله حرية القول ، فتراه يسكت عمّا يراه صواباً ، ولا يستطيع الجهر به تهيباً ، من ذي شوكة ، أو مداراة للعامة ، ويتخذ حسن الظن بمن تقدمه عذراً له في سكوته ، بل قد صرح بعضهم بهذا ، فقال هكذا وجدنا أقوال كثير من السلف ، فأحسنا بهم الظن ، وقلنا كما قالوا ، ولعل لهم دليلاً ، لم نطلع عليه ، فهذا هو السبب الذي قيدهم ، وأطلقني ، وأسكتهم وأنطقني ، والآفة كل الآفة ، هو التقليد الأعمى والله أعلم .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في الصارم المسلول قال أبو طالب المشكاتي ، قيل للإمام أحمد ، إن قوماً يدعون الحديث ، ويذهبون

(١) سورة البقرة : الآية ١٤٨ .

إلى رأي سفيان ، قال : أعجب لقوم ، سمعوا الحديث ، وعرفوا الإسناد ، وصحته ، يدعونه ، ويذهبون إلى رأي سفيان ، وغيره قال الله تعالى : ﴿ **فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم** ﴾[1] .

وقال بعض العلماء : لو اجتمع مجتهدو الأرض كلهم ، على قول ، وكان النبي يقتضي خلافه ، فالحق قول النبي عليه السلام ، وإجماع المجتهدين في مقابله ، كضرطة بعير في فلاة .

وقال السيد الآلوسي في جلاء العينين ، نقلاً عن ابن تيمية قال : قد كان بعض الناس ، يناظر ابن عباس في المتعة فقال له : قال أبو بكر : قال عمر : فقال ابن عباس : يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء ، أقول : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتقولون : قال أبو بكر قال عمر .

قلت : ولم يقل ابن عباس ، أن أبا بكر وعمر كانا أعلم مني ، وأفضل ، ولو لم يكن لهما دليل على قولهما ، لما قال ثم قال : ولو فتح هذا الباب ، لوجب أن يعرض عن أمر الله تعالى ، وعن أمر رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ، ويبقى كل إمام في اتباعه ، بمنزلة النبي في أمته ، وهذا تبديل للدين ، وشبيه بما عاب الله به النصارى ، في قوله : ﴿ **اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله** ﴾[2] أنتهى .

ووجه المشابهة في هذا ظاهر ، إذ من المعلوم أن النصارى . لم يعبدوا الأحبار ، ولا الرهبان ، وإنما اتخذوا مجرد أقوالهم حجة ،

---

(١) سورة النور : الآية ٦٣ .

(٢) سورة التوبة : الآية ٣١ .

يتدينـون بها فعابهم الله بذلك الفعل وسماه عبادة .

وقـال العلامـة ابن القيم رحمـه الله في أعـلام المـوقعين : (إن فتـاوى الصحابـة أولى ، أن يؤخذ بهـا من فتـاوى التـابعين ، وفتـاوى التابعين أولى من فتاوى تابعي التابعين ، وهلم جراً ، وكلما كان العهد بـالرسـول أقـرب كـان الصـواب أغلب ، « ثم قـال » : ولعله لا يسـع المفتي ، والحاكم ، عند الله أن يفتي ، ويحكم بقـول فلان وفـلان ، من المتأخرين ، من مقلدي الأئمة ، ويأخذ برأيه ، وترجيحـه ، ويترك الفتوى ، والحكم ، بقول البخاري ، وإسحاق بن راهـويه ، وعلي بن المـديني ، وأمثـالهم ، بـل لا يـلتفـت إلى قــول ابـن أبي ذئـب ، والـزهري ، والليث بن سعـد ، وأمثالهم ، بـل لا يعد قـول سعيـد بن المسيب ، والحسن ، وجعفـر بن محمـد ، والقـاسم ، وسـالـم ، وعطاء ، وطاووس وأمثـالهم ، مما يسـوغ الأخذ بـه ، بل يـرى تقديم قـول المتـأخـرين من أتبـاع من قلده على فتـوى أبي بكـر ، وعمـر ، وعثمان ، وعلي ، وذكر عـدداً من الصحابـة « ثم قال » فـلا ندري مـا عـذره غـداً ، إذا سـوى بين أقـوال أولئــك ، وفتـاويهم ؟! فكيف إذا رجحهـا عليها ؟! فكيف إذا عين الأخـذ بهـا حكمـاً ، وإفتـاء ، ومنـع الأخذ بقول الصحابة ، واستجـاز عقوبـة من خالف المتـأخرين لهـا ، وشهـد عليه بـالبدعـة ، والضلالـة ، ومخالفتـه أهـل العلم وأنـه يكيـد الإسـلام ؟! تـالله ، لقــد أخـذ بـالمثـل المشهـور ، رمتني بـدائهـا وانسلت)[1] إنتهى .

أما قوله : إنا لسنا بأعلم من أولئـك العلماء ، حتى نخـالفهم ، ونصنع غير مـا صنعوا ، فقـول : لا يقبل ممن يمكنـه البحث ، والنظر في الأدلـة ، ومواقـع الصحة ، والضـعف فيهـا ، ومـا أبعـد هـذا إذا

(١) أعلام الموقعين ١٨١/٤ ، ١١٩ تحقيق محي الدين عبد الحميد .

أهمل ذلك ! عن مراتب الرجال ، وما أعجزه عن نيل صفة الكمال ! .

قال الشاعر :

ولم أر في عيـوب النـاس عـيبـاً كنقص القـادرين على التـمـام

بل هو قول العاجز الوكل ، والجاهـل المقلد ، الواضـع نفسه ، موضع الصبي ، لـدى كافله ، والمـرأة في قبضة وليهـا ، والأعمى في يد قائده ، على أنا نلزمهم أيضاً بأنهم ، ومقلديهم ، ليسوا بأعلم ممن لم يسكت عن معـاويـة ، بـل أوجب بغضـه ، واستجـاز لعنـه ، أعلن قبـائحه ، وبين سـوء سيرتـه ، فكيف خالفـوهم ؟! وصنعوا غيـر الذي صنعوا ؟ ولو فرضنا أن الأمر راجع إلى التقليد فقط ، فإنـا نقول لهم : إنكم لن تجدوا في جميع علمائكم ، الذين تقلدونهم ، من يـداني أو يقـارب أميـر المؤمنين علي بن أبي طـالب كـرم الله وجهــه علمـاً ، وعملاً ، وورعاً ، واحتياطاً في الدين ، وحرصـاً على الحق ، وسابقـة في الإسـلام ، وأقـوالـه في معـاويـة ، وسبـه ، ولعنـه إيـاه ، وكشفـه قبائحه ، وتحذيره من متابعة ضلاله مشهور متواتر ، وقد قدمنا طرفاً من ذلـك ، فهلا قلدتمـوه واتبعتم ما قـال ؟! أوليس هو أولى بـالتقليد من أولئـك العلمـاء الـذين قلدتمـوهم ؟ وأجــدر بمعـرفــة الحق منهم ؟! ويحكم ! أتظنون إصابة مقلديكم وخطأ باب مـدينة العلم علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، وأمثاله من كبار الصحابة ، وكبـار التابعين ، أن هـذا والله ، لهو الخبط ، والغبـاوة ، وخدع النفس ، والهـوى ، أليس قـد جاء عن المعصـوم صلى الله عليـه وآلـه وسلم في حق علي عليـه السـلام ما يـدل صريحـاً على أنه لا يفـارق الحق في أقوالـه وأفعـالـه وأعمـاله كلهـا ؟ حتى ادعى له العصمـة بسبب ذلك جمـاعة من أهـل البيت الطاهر ؟ ولنـذكر طـرفاً منهـا تقوم بـه الحجة على المخـالفين ، وتطمئن إليه نفوس الموافقين .

أخـرج الحاكم والطبراني في الأوسط عن النبي صلى الله عليـه وآله

وسلم أنه قال : (علي مع القرآن والقرآن مع علي ولن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض)(١) .

وأخرج الطبراني والحاكم وأبو نعيم عن زيد بن أرقم ، من حديث ، وفيه : (فإنه ـ يعني علياً ـ لن يخرجكم من هدى ، ولن يدخلكم في ضلال) .

وأخرج أبو نعيم في الحلية عن حذيفة ، أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال : (أن تولوا علياً ، تجدوه هادياً مهدياً ، يسلك بكم الطريق المستقيم)(٢) .

أخرج الديلمي ، عن عمار بن ياسر ، وأبي أيوب ، بلفظ : (يا عمار ، إن رأيت علياً سلك وادياً ، وسلك الناس وادياً غيره ، فاسلك مع علي)(٣) .

وأخرج الحاكم عن أبي ذر ، أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال : (من فارق علياً فارقني ، ومن فارقني ، فقد فارق الله)(٤) .

وأخرج الديلمي عن أبي ذر أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال : (يا علي أنت تبين للناس ما اختلفوا فيه من بعدي)(٥) .

وأخرج الطبراني ، عن سلمان من حديث قال فيه صلى الله عليه وآله وسلم : (هذا فاروق هذه الأمة ، يفرق بين الحق والباطل يعني علياً)(٦) .

---

(١) كنز العمال ج ١١ ح (٣٢٩١٢) وقال وأخرجه الطبراني في الأوسط .
(٢) حلية الأولياء ١/٦٤ .
(٣) كنز العمال ج ١١ (٣٢٩٧٢) وقال (أخرجه الديلمي) .
(٤) ن . م ح ١١ ح (٣٢٩٧٤) وقال (أخرجه الحاكم عن أبي ذر) .
(٥) مستدرك الحاكم ٣/١٢٢ ، حلية الأولياء ١/٦٣ .
(٦) مجمع الهيثمي ٩/١٠٢ ، الرياض النضرة ٢/١٥٥ ، الإصابة ١٧ ، رقم ١١١ ص ١٦٧ طبع السعادة .

وأخرج نحوه الطبراني عن أبي ذر وابن عـدي والعقيلي عن ابن عباس .

وأخـرج أبو يعلى وسعيـد بن منصور ، عن أبي سعيـد الخـدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (الحق مع ذا يعني علياً)[1] .

وأخـرج الخطيب عن أنس بن مـالـك ، قـال : قـال رسـول الله صلى الله عليـه وسلم : (أنا وهـذا حجة على أمتي يـوم القيامـة يعني علياً)[2] .

وأخرج الحاكم في المستـدرك عن علي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (أن الله سيهدي قلبك ويثبت لسانك)[3] .

وأخرج أبو نعيم في الحلية عن أبي بردة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (أن علياً راية الهدى وإمام الأولياء)[4] .

ونحو هذه الأحاديث كثيرة ، وهي وإن لم تقتض العصمـة لعلي على قـول الجمهور ، لكنهـا تـدل دلالـة قـويـة ، على أنـه لا يفـارق الحق ، وعلى أنه أعلم الصحابة ، حتى أنه لم ينقل أنه استفتى أحـداً من الصحابة في مسألة ما ، مع أن رجوع أكابر الصحابة إلى أقواله في المشكـلات مشهور ، ومستفيض ، إلى قـول ابن عباس أن عليـاً أحرز تسعة أعشار العلم ، ووالله لقد شاركنا في العاشر ، وإذا كان كذلك ، فلم لا يكون تقليده أحق ، وأصوب ، من تقليد فلان ، وفلان ، ولكن

---

(١) كنز العمال ح ١١ ح (٣٣٠١٨) وقال أخرجه (أبو يعلي وسعيد بن منصور عن الخدري .

(٢) ن . م ح ١١ ح (٣٣٠١٣) وقال أخرجه (الخطيب . . .) .

(٣) ن . م . ح ٦ ح (١٥٠٣٦) وقال أخرجه (الحاكم . .) .

(٤) حلية الأولياء ١ /٦٦ (جزء من حديث طويل) كذلك ١ /٦٧ .

على من تقرأ زبورك يا داود ﴿ **إنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين** ﴾[1] ، ﴿ **وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم أن تسمع ألا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون** ﴾[2] .

قولهم أن السلامة متيقنة في السكوت

ولربما يقول القائل أنه نقل أيضاً عن بعض السلف من أهل القرن الثاني ، والثالث ، القول بتعديل معاوية في الرواية ، وأن السلامة متيقنة في السكوت عنه ، وهذا هو قول الأشعري والماتريدي .

فنقول : أما القول بتعديله ، فقد مر الجواب عنه في الشبهة الأولى ، وأما القول : بأن السلامة متيقنة في السكوت عنه ، فليس مراد القائلين بذلك ، السكوت عن تخطئته ، وعن إثبات بغيه ، وتحقيق ظلمه ، وجوره ، فإنهم أنفسهم لم سكتوا عن شيء من ذلك ، وهم الذين أجمعوا على تخطئته ، وبغيه ، وبينوا فضائحه ، وقبائحه ، وملأوا بذلك مسنداتهم ، وشحنوا بها تواريخهم ، فلم يبق إلّا أن يكون مرادهم السكوت عن لعنه ، أو سبه ، أو عنهما معاً .

أما لعنه : فقد قدمنا في صدر الرسالة بيان مشروعية لعن من استحق اللعن بأحد مسوغاته ، مما تلبس معاوية بالأكثر منها فيكون لعنه مطلوباً ، تأسياً برسول الله وبملائكته ، وعملاً بما جاء في كتابه تعالى من ذلك ، كيف ؟ وقد قال جل شأنه : ﴿ **أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون** ﴾[3] . أليس هذا في حقنا خبراً بمعنى الأمر كما

---

(١) سورة النمل : الآية ٨٠ .

(٢) سورة الروم : الآية ٥٣ .

(٣) سورة البقرة : الآية ١٥٩ .

في قوله عز وجل ﴿ والمطلقات يتربصن ﴾[1] ونحوه ، على أن التأسي وحده كاف في طلبه ، وحاشا من ذكرتم من السابقين ، أن ينهي عن أمر شرعه الله تعالى ، وكرره في كتابه ، وعلى لسان نبيه صلى الله عليه وآله وسلم ، ولو سلمنا أن أحداً منهم ، نهى عنه ، فلا اعتبار لكلام أحد في مقابلة كلام الله تعالى ، وكلام رسوله عليه الصلاة والسلام ، فنحمل حينئذ إجلالاً لمقامهم نهيهم عن ذلك ، على النهي عنه ، عند خوف الفتنة ، كما هو الغالب في الأزمان السابقة ، أو على النهي عن لعن من لم يستحق اللعن إجمالاً ، وهذا حق ، وصحيح ، فتعين كون مرادهم السكوت عن سبه ، لا تقرير قبائحه ، والرضا بها ، ونحن نتابعهم على ذلك ، ونعلم أن لا إثم فيه ، ولا فائدة ، إذا لم تدع إليه مصلحة وهي هنا موجودة[2] ، ولكنا لا نوافق من تجاوز ذلك من المتأخرين ، إلى ما لم يأمر به السلف من مدحه ، وإطرائه ، بما ليس فيه ، والترضي عنه ، وأعلان حبه ، والإنكار على من أورد شيئاً من مثالبه ، لإقامة حجة ، أو بيان محظور ، فمن مدحه أو ترضى عنه ، أو أحبه ، وادعى أنه متأس في ذلك بالسلف الأول ، فقد افترى عليهم . فقد أورد ابن عبد البر في الإستيعاب ، بسند معتبر عن سفيان الثوري ، عن أبي قيس الأودي ، قال : (أدركنا الناس ، وهم ثلاث طبقات ، أهل دين يحبون علياً ، وأهل دنيا يحبون معاوية ، والخوارج)[3] . إنتهى .

هكذا كان السلف ، فأين هي الطبقة الرابعة من السلف ، التي

---

(١) سورة البقرة : الآية ٢٢٨ .

(٢) هي : أولاً امتثال قول الله تعالى ليبينه للناس ولا يكتمونه ، ثانياً إرشاد جهلة المقلدين إلى الحق رجاء رجوعهم إليه ، ثالثاً رفع التهمة التي يلصقها الخصم بنا من تقديمنا أقوال علمائنا على النصوص الصريحة .

(٣) الإستيعاب ٣/١١١٤ رقم (١٨٥٥) .

تحب علياً ، ومعاوياً كليهما ، إننا لو فتشنا ، وتقصينا لم نجد واحداً من جلة الصحابة والتابعين يحب معاوية ، كما يحبه اليوم المنتسبون إلى الأشعري والماتريدي ، ويصوب أفعاله ، كم صوبها هؤلاء ، أو يتأولها له ، كما تأولوا ﴿ **وإن فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون** ﴾[1] .

نسألك اللّهم هداية وتوفيقاً لنا ، ولهذه العصائب المتعصبة ، ليتهم حيث اطمأنت نفوسهم إلى معاوية ، وإلى استحسان مساويه ، وهشت أفئدتهم إلى خلاف علي عليه السلام ، وحزبه ، سلكوا سبيلاً من الأنصاف ، ولو ضيقاً ، فإن من المقرر الثابت في أصولهم ، أنه لا يجوز الإنكار على من ارتكب مختلفاً فيه ، كما نص عليه القسطلاني ، والأصوليون ، ثم إنهم لم يجعلوا الخلاف بين أمير المؤمنين عليه السلام، وأكابر الصحابة في هذه المسألة حظاً من النظر في مقابلة قول الأشعري ، والماتريدي ، بل أسقطوا قوله ، وقول من وافقه عن درجة الإعتبار ، فلم يعدوا قوله خلافاً أصلاً ، وصاروا ينكرون أشد الإنكار ، على من قال بقوله ، وعمل بعمله ، في هذه المسألة ، ﴿ **وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول** ﴾ لم يستحيوا أن يجيبوك بقولهم ﴿ **حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا** ﴾[2] أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرون والله غفور رحيم .

وإذا البينات لم تغن شيئاً ... فالتماس الهدى بهن عياء
وإذا ضلت القول على ... علم فماذا تقوله النصحاء

يتبجح أناس من أنصار معاوية ، ويحتجون بأن القول بتعديله ، ووجوب تأويل قبائحه ، وجواز حبه ، وتسويده ، هو قول الجم الغفير

---

(١) سورة البقرة : الآية ١٤٦ .

(٢) سورة المائدة : الآية ١٠٤ .

من المحـدثين ، ثم من أتباع الأشعـري والماتـريدي ، وأن هؤلاء هـم الجماعة ، والسـواد الأعظم ، المـأمور بلزومهمـا ، عند الإختـلاف ، كما جاء في الحديث الشريف ، فأغتروا بذلك ، وظنوا الكثرة عـاصمة عن الخطأ ، وملازمة للحق ، وإن كانت أدلـة الأقل أقـوى ، وحجتهم أظهر ، وأوضح ، وهيهات هيهات ، إن السواد الأعظم والجمـاعة هـو من كان على الحق ، ولو واحداً ، كما قدمنا ذلـك عن سفيان الثـوري رحمه الله .

قـال ابن القيم رحمه الله في إغـاثة اللهفـان : (قال أبـو محمـد عبد الرحمٰـن بن اسماعيل المعروف بأبي شـامة ، في كتـاب الحوادث والبدع ، حيث جاء الأمـر بلزوم الجماعـة ، بالمـراد به لـزوم الحق ، وأتبـاعه ، وإن كـان المتمسك بـه قليلاً ، والمخـالف له كثيـراً ، لأن الحق هـو الذي كـانت عليه الجمـاعة الأولى من عهـد النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه، ولا نظر إلى كثرة أهل الباطل بعدهم ، قال عمـرو بن ميمون الأودي : صحبت معـاذاً باليمن ، فمـا فـارقتـه حتى واريتـه في التراب بـالشام ، ثم صحبت بعـده أفقه النـاس عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، فسمعته يقول : عليكم بالجماعة ، فإن يد الله مـع الجماعة ، ثم سمعته يوماً من الأيام ، وهو يقول : سيلي عليكم ولاة يؤخـرون الصلاة عن مـواقيتها ، فصلوا الصـلاة لميقـاتهـا ، فهي الفريضة ، وصلوا معهم فـإنها لكم نـافلة ، قال : قلت : يـا أصحاب محمـد ، ما أدري مـا تحدثـونا ؟! قـال : ومـا ذاك ، قلت : تـأمـرني بـالجماعـة ، وتحضني عليها ، ثم تقـول صلِّ الصـلاة وحـدك ، وهي الفريضة ، وصل مع الجماعة وهي نافلة ، قال : يا عمرو بن ميمون ، قد كنت أظنك من أفقه أهل هذه القرية ، أتدري ما الجماعة ؟ قلت : لا ، قال : إن جمهور الجماعة الـذين فارقـوا الجماعـة ، الجماعـة ما وافق الحق ، وإن كنت وحـدك ، وفي طـريق أخـرى ، فضـرب على

فخذي وقال : ويحك ! إن جمهور الناس فارقوا الجماعة ، وإن الجماعة ما وافق الله عز وجل ، قال نعيم بن حماد : يعني ما أفسدت الجماعة ، فعليك بما كانت عليه الجماعة ، قبل أن تفسد ، وإن كنت وحدك ، فإنك الجماعة حينئذ ، ذكره البيهقي ، وغيره ، وقال : فيه سئل بعض أهل العلم عن السواد الأعظم الذين جاء فيهم الحديث ، إذا اختلف الناس فعليكم بالسواد الأعظم ، فقال محمد بن أسلم الطوسي : هو السواد الأعظم ، قال : صدق والله ، فإن العصر إذا كان فيه عارف بالسنة ، داع إليها ، فهو الحجة ، وهو الإجماع ، وهو السواد الأعظم ، وهو سبيل المؤمنين ، التي من فارقها واتبع سواها ولاه الله ، ما تولى ، وأصلاه جهنم وساءت مصيرا[1] ، إنتهى .

على أننا لا نسلم لأنصار معاوية ما ادعوه ، من أن المحدثين والأشاعرة والماتريدية ، هم جمهور هذه الأمة ، وأكثرها ، بل ولا نسلم لهم إن جميع من ذكروه قائل بما زعموه ، في حق معاوية معتقد صحته .

أما المحدثون : فإنا لم نجد إلاّ عن القليل منهم تصريحاً بما زعم هؤلاء من تعديل معاوية ، وتأويل بعض قبائحه ، والآلاف المؤلفة منهم ، إما ناقمون عليه ، أو ساكتون عنه ، بسبب ما يقتضيه زمانهم ، وما اشتمل عليه من فتن بني أمية ومظالمهم .

أما الأشاعرة والماتريدية : فالكثير منهم ، بل الأكثر ناقمون في أنفسهم على هذا التعديل ، والتأويل ، متأففون من هذه الأقوال ، متبرمون من هذه التحملات ، نافرة قلوبهم من ذلك الطاغية ، وموبقاته ، وجرائره ، معرضون عن ذكره جملة .

---

(١) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ج ١ ص ٨٣ وقال (ذكره البيهقي وغيره) تحقيق محمد حامد الفقي ، طبع دار الكتب العلمية ، بيروت ـ لبنان .

أما الخاصة منهم : فيما اطلعوا عليه من الدلائل القوية على بطلان ما حرره مقلدوهم ، وضعف ما استند إليه سابقوهم ، وأما العامة ، منهم : فيما دعتهم إليه الفطرة الإيمانية ، وساقتهم نحو الإلهامات الربانية ، وهل بعد هذا يصح أن يقال أن السواد الأعظم هو القائل بتعديل معاوية وأمثاله ، والموجب تأويل قبائحه والمثبت له أجر الإجتهاد ، على فعل المنكرات ؟! لا بل السواد الأعظم والجماعة ، هو فئة الحق المفسقون له ، والمانعون من تعظيمه ، والقائلون بجواز لعنه ، بما اكتسب من موجبات اللعن ، والمصرحون بوجوب بغضه لمحادته لله ولرسوله ، وما ارتكبه من معاصيه ، وسينكشف الغطاء عن جميع ذلك ﴿يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها﴾[1]، والخصوم إذ ذاك الآلاف المؤلفة من المسلمين ، والحكم إذ ذاك من لا تخفى عليه خافية ، ﴿ فيومئذ لا يعذب عذابه أحد ولا يوثق وثاقه أحد ﴾[2] .

ربما يقول قائل ، أنت تطالب الناس اليوم أن يوافقوا الإمام علياً ومن هو على طريقته من كبار الصحابة في شأن معاوية وبغضه واستباحة لعنه وهم نِعم القدوة والأسوة كما ذكرت ولكنا وجدنا كثيراً من أهل القرون الأولى كالإمام الشافعي ونظرائه قد أهملوا تلك الأقوال وسكتوا عنها فهلا يسعنا مع وسع أولئك الأئمة من السكوت والإعراض عن هذه المشاجرات وطرحها جانباً ؟

فنقول له لا يسعكم ما وسعهم لأنهم معذورون فيما سكتوا عنه ولا كذلك أنتم . إنهم وجدوا في زمان كانت الدولة والصولة والشوكة لبني أمية وأمرائهم العتاة الذين لا يرقبون في مؤمن إلّا ولا ذمة فلا يتجاسر أحد أن يعلن أو يصرح بما يعرفه ويعتقده من مثالب أسلافهم

---

(١) سورة النحل : الآية ١١١ .

(٢) سورة الفجر : الآية ٢٦ .

وتوغلهم في البغي والظلم ثم أتى زمان بني العباس فكانوا على بغضهم وعداوتهم لبني أمية يضيقون ذرعاً بكل فضيلة وأتباع وانتماء إلى علي وأهل بيته عليهم السلام وكان أهل البيت وشيعتهم في أيام تينك الدولتين بل وفي أمرة ابن الزبير(١) ، في غاية من الإضطهاد والتشريد والقتل والأذى طبق ما أخبر به المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم فإنهم خرجوا من ظلم بني أمية إلى ظلم بني العباس ولئن كان بنو العباس أعداء لبني أمية فأنهم كذلك أعداء ألداء للعلويين كارهين ذكر كل ما فيه منقبة وفضل لبني علي عليه السلام حتى أن أحد ملوكهم هدم قبر الحسين عليه السلام وزرع الأرض فوقه وحكم بعضهم على العلويين أن لا يركبوا خيلاً ولا يتخذوا خادماً وإن من كان بينه وبين أحد من العلويين خصومة من سائر الناس قبل قول خصمه فيه ولم يطالب ببينة كما ذكر ذلك المقريزي في الخطط وغيره ومات كثير من أكابرهم في سجون بني العباس كما سبق ذكر شيء منه إلى غير ذلك مما كفتنا التواريخ مؤونة نقله فلا عجب مع هذا إذا سكت أولئك الأئمة عن الحث على الإقتداء بعلي عليه السلام في ذلك وإن من الخطأ الواضح أن نجعل المعذور في سكوته عن بيان بوائق معاوية وأمثاله أسوة وقدوة لنا في السكوت عنها ونحن غير معذورين كيف وقد جاء في حديث أنس وغيره أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال : عند ثناء

---

(١) نقل أبو الفرج عن المدائني عن أبي بكر الهذلي قال : كان عبد الله بن الزبير قد أغري ببني هاشم يتبعهم بكل مكروه ويغري بهم ويخطب بهم على المنابر ويصرح ويعرض بذكرهم فربما عارضه ابن عباس وغيره منهم ثم بدا له فحبس ابن الحنفية في سجن عادم ثم جمعه وسائر من كان بحضرته من بني هاشم فجعلهم في محبس له وملأه حطباً وأضرم فيه النار وقد كان بلغه أن أبا عبد الله الجدلي وسائر شيعة ابن الحنفية قد وافوا لنصرته ومحاربة ابن الزبير فكان ذلك سبب إيقاعه به وبلغ أبا عبد الله الخبر فوافى ساعة أضرمت النار عليهم فأطفأها واستنقذهم وأخرج ابن الحنفية من جوار ابن الزبير من يومئذٍ إنتهى وقد أشار في الكامل إلى القصة وذكرها أهل الأخبار .

الصحابة على الأموات بالخير والشر وجبت إنهم شهـداء الله في أرضه فإذا سكت غير المعذور عن ذكر تلك المـوبقات منـه ومن أعوانـه كان كاتماً للشهادة المطلوبة منه وإذا ذكـر ما يعلمه من موبقاته وجرائره كان شاهد بر وصدق وإذا مدحه وأطراه وتأول له التأويلات كان شـاهد زور والعياذ بالله تعالى على أن كل السـابقين بينوا مـا بينوا من قبـائح ذلـك الطاغية وسكتـوا عن كثير منهـا ولكنهم حيث سكتوا لم يفعلوا مـا فعله من قلدتموهم من إطراء معـاوية وتبـريره وتسـويده والأمـر بحبـه وحب أولئـك البغـاة المفسـدين بـل كـانـوا يشيــرون إلى رفضهم وبغضهم والتحـذيـر من تـوليهم ومحبتهم بمـا تجـده في مـطاوي كـلامهم من المعاريض والإشارات إذا لم يقدروا على التصريح بشيء من ذلك وقد قـال رسول الله صـلى الله عليه وآلـه وسلم إن في المعاريض لمنـدوحـة عن الكذب . وأقدرهم على سلوك هذا الطريق هو الإمام الشـافعي رحمه الله لما له من المعرفة بأساليب الكـلام واقتداره على التـوجيه والتـورية بلفظ محتمل المعنيين أو معان ألا ترى أنه حين كتب وصيتـه قال فيهـا ما لفظه وأفضل الخلق بعده صلى الله عليه وآله وسلم الخلفـاء الأربعة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي (عطف بعضهم على بعض بالواو والعطف بـه لا يقتضي ترتيباً فيحتمل أن يكـون له قـول في الترتيب يخـالف ما عليه الجمهور) ثم قال : أتولاَّهـم واستغفر لهم ولأهل الجمـل وصفين عطف على توليهم رضي الله عنهم الإستغفـار لهم ليكون عـطفه أهـل الجمــل وصفين عليهم في الإستغفـار لهم حيث أعــاد العـاطف ولام التعدية لا في التولي إذ لفظ التولي متعد بنفسه وهذا من لطيف إشاراته رحمه الله .

كلام الإمام الشافعي ومعارضيه

ومنها ما ذكره شارح المواقف وغيره أنه رحمه الله سئل عن قتلى

أهل الجمل وصفين فقال تلك دماء طهر الله منها سيوفنا فلا نضمخ بها ألسنتنا أراد رحمه الله دماء أصحاب علي عليه السلام كدم عمار وإخوانه الذين قاتلوا معاوية على تأويل القرآن كما قاتلوهم أولاً على تنزيله، ولا يمكن أن يكون الشافعي رحمه الله على جلالة قدره يريد دماء أصحاب معاوية الذين يعتقد هو كغيره أن قتلهم من أعظم القربات المأمور بها في كتاب الله تعالى أفيظن أحد أنه يعتقد أن الله طهر سيفه من دم أول من تضمخ به سيف أخ النبي المصطفى ووصيه لا والله ولكن من لا خبرة له بأساليب الكلام ومن كان من أهل الأغراض يفسره بحمله على دماء الكل وحاشى الإمام الشافعي رحمه الله من ذلك ومن فسره بذلك فقد افترى عليه كيف وهو رحمه الله القائل .

ولما رأيت الناس قد ذهبت بهم
مذاهبهم في أبحر الغي والجهل
ركبت على اسم الله في سفن النجا
وهم أهل بيت المصطفى خاتم الرسل
وأمسكت حبل الله وهو ولاؤهم
كما قد أمرنا بالتمسك بالحبل

وقد عزا بعضهم ، تلك المقالة إلى الحسن البصري ، وعزاها بعضهم إلى ميمون بن مهران ، وعلى كل الأحوال ، فمعناها ما ذكرناه والله أعلم .

ولما كان الحديث ذا شجون عنّ لي أن أذكر هنا استطراداً طرفاً، مما قاله الشافعي رحمه الله من الأبيات الدالة على شدة تمسكه بأهل البيت الطاهر ، ومزيد محبته لهم ، ورفضه لمن عاداهم ، أو آذاهم ، وفيها من الإشارات والمعاريض ، واستعمال التقية الجائزة ، ما يفهمه الفطن بعد التأمل .

قال رحمه الله :

لـو شق قـلبي لـبـدا وسـطه | سـطران قـد خـطا بـلا كـاتب
الشـرع والتوحيـد في جـانب | وحب أهـل البيت فـي جـانب
إن كـنت فـيمـا قـلتـه كـاذبـاً | فـلعنـة الله عـلى الـكـاذب[١]

وتمثل رحمه الله حين عوتب في عدم إكثاره من مدح الإمام علي عليه السلام وإعلان تشيعه له بقول نصيب :

لـقـد طـال كـتـمـانـك حـتـى كـأنـنـي
بـرد جـواب الـسـائـلي عـنـك أعـجـم
لأسـلم مـن قـول الـوشـاة وتـسـلمـي
سـلمت وهـل حـي مـن الـنـسـا يـسـلم[٢]

وقال رحمه الله

يـا أهـل بيت رسـول الله حبكم | فـرض من الله في القـرآن أنـزلـه
كفـاكم من عـظيم القـدر أنكم | من لم يصل عليكم لا صلاة له[٣]

وقال رضي الله عنه

قـالـوا تـرفـضـت قـلت كـلا | مـا الـرفض ديني ولا اعتقـادي
لـكـن تـولـيـت دون شـك | خـيـر إمـام وخـيـر هـادي
إن كـان حب الـوصي رفـضـاً | فـأنـنـي أرفض الـعـبـاد[٤]

وقال قدس الله سره في هذا المعنى

---

(١) هذه الأبيات ليست للشافعي وإنما للصاحب بن عباد ، وقد ذكرها المرتضى في آماله ج ٢ ص ٤٠٠ .

(٢) مناقب الشافعي للبيهقي تحقيق أحمد صقر ج ٢ حديث ٦٩ ، الصواعق المحرقة ص ١٣٣ .

(٣) الصواعق المحرقة ١٧٥ .

(٤) ن . م . ص ١٣٣ مثلاً عن البيهقي .

يا راكبا قف بالمحصب من منى — واهتف بقاعد خيفها والناهض
سحراً إذا فاض الحجيج إلى منى — فيضاً كملتطم الفرات الفائض
إن كان رفضاً حب آل محمد — فليشهد الثقلان أني رافضي(١)

وقال نفع الله بعلومه

إذا نحن فضلنا علياً فأننا — روافض بالتفضيل عند ذوي جهل
وفضل أبي بكر إذا ما ذكرته — رميت بنصب عند ذكري للفضل
فلا زلت ذا رفض ونصب كلاهما — بحبهما حتى أوسد في الرمل(٢)

وقال رحمه الله

آل النبي ذريعتي — وهم إليه وسيلتي
أرجو بهم أعطى غداً — بيدي اليمين صيفتي(٣)

وقال قدس سره

إذا كان ذنبي حب آل محمد — فذلك ذنب لست عنه أتوب

وقد نقل البيهقي عن الربيع بن سليمان أحد أصحاب الشافعي رضي الله عنه ، قال : قيل للشافعي رضي الله عنه ، إن أناساً لا يصبرون على سماع منقبة ، أو فضيلة لأهل البيت ، فإذا رأوا واحداً منا يذكرها ، يقولون : هذا رافضي ، ويأخذون في كلام آخر ، فأنشأ الشافعي رضي الله عنه ، يقول :

إذا في مجلس ذكروا عليا — وسبطيه وفاطمة الزكية
وأجرى بعضهم ذكر سواهم — فأيقن أنه لسلقلقيه

---

(١) حلية الأولياء ج ٩ ص (١٥٢ - ١٥٣) ، معجم الأدباء ح ١٧ ص ٣١٠ ، مناقب الشافعي للبيهقي ج ٢ ص ٧٠ .
(٢) نور الأبصار للسبلنجي ص ١١٥ ، مناقب الشافعي للبيهقي ٢ / ٧٠ .
(٣) الصواعق المحرقة ص ٢٢٥ .

إذا ذكروا علياً مع بنيه تشاغل بالروايات العليه
وقال تجازوا يا قوم هذا فهذا من حديث الرافضية
برئت إلى المهيمن من أناس يرون الرفض حب الفاطمية
على آل الرسول صلاة ربي ولعنته لتلك الجاهلية[1]

وهذا القدر كاف من كلام الشافعي رحمه الله .

كلام الإمام النيسابوري في التقية

ومن حيث أن في بعضه إشارة إلى استعمال التقية في بعض الأحوال ، فلنذكر هنا نص ما ذكره الإمام النيسابوري في تفسيره عند قوله تعالى : ﴿ **لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلاّ أن تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه وإلى الله المصير** ﴾[2] .

قال رحمه الله ، وللتقية عند العلماء أحكام ، منها : أنه إذا كان الرجل في قوم كفار ، ويخاف منهم على نفسه ، جاز له أن يظهر المحبة ، والموالاة ، ولكن بشرط أن يضمر خلافه ، ويعرض في كل ما يقول ما أمكن ، فإن التقية تأثيرها في الظاهر ، لا في أحوال القلب .

ومنها : أنها رخصة ، فلو تركها كان أفضل ، لما روى الحسن أنه أخذ مسيلمة الكذاب رجلين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال لأحدهما : أتشهد أن محمداً رسول الله ؟ قال : نعم ، قال أتشهد أني رسول الله ؟ قال : نعم ، وكان مسيلمة يزعم أنه رسول

---

(١) نقله جامعو ديوان الشافعي ، تحقيق يوسف البقاعي ص ١٢١ ، والديوان الذي حققه الدكتور محمد عبد المنعم الخفاجي ، وغيرهما .

(٢) سورة آل عمران : الآية ٢٨ .

بني حنيفة ، ومحمداً رسول قريش ، فتركه ، ودعا الآخر ، وقال : أتشهد أن محمداً رسول الله ؟ فقال : نعم نعم نعم ، فقال : أتشهد أني رسول الله ؟ فقال : أني أصم ثلاثاً ، فقدمه ، وقتله فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أما هذا المقتول ، فمضى على يقينه ، وصدقه ، فهنيئاً له ، وأما الآخر فقبل رخصة الله ، فلا تبعة عليه ، ونظير هذه الآية ﴿ إلّا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ﴾[1] .

ومنها : أنها إنما تجوز فيما يتعلق بإظهار الدين ، فأما الذي يرجع ضرره كالقتل ، والزنا ، وغصب الأموال ، وشهادة الزور ، وقذف المحصنات ، واطلاع الكفار على عورات المسلمين ، فذلك غير جائز البتة .

ومنها : أن الشافعي جوز التقية بين المسلمين ، كما جوزها بين الكافرين ، محاماة على النفس .

ومنها : أنها جائزة لصون المال على الأصح ، كما أنها جائزة لصون النفس ، لقوله صلى الله عليه وآله وسلم : « حرمة مال المسلم كحرمة دمه ومن قتل دون ماله فهو شهيد » ولأن الحاجة إلى المال شديدة ، ولهذا يسقط فرض الوضوء ، ويجوز الإقتصاد على التيمم ، إذا بيع الماء بالغبن ، قال مجاهد : كان هذا في أول الإسلام فقط ، لضعف المؤمنين ، وروى عوف عن الحسن أنه قال : ألتقية جائزة إلى يوم القيامة ، وهذا أرجح عند الأئمة)[2] إنتهى حرفياً .

قلت : اتفق أصحابنا على جواز الكذب عند الضرورة ، بل

---

(١) سورة النحل : الآية ١٠٦ .

(٢) تفسير النيسابوري من هامش تفسير الطبري ج ٣ ص (١٨٧ ـ ١٧٩) ط ١ ، بولاق سنة ١٣٢٥ .

وللمصلحة ، وهو عين التقية ، لكن إن عبرت عنه بلفظ التقية منعه كثير منهم لكونه من تعبيرات الشيعة ، فالخلاف فيما يظهر لفظي ، والله أعلم .

عظـة وذكـرى
في تحامل كثير من العلماء على أهل البيت

إليك أيها القارىء نفثة مصدور مدادهـا الأسى ومرمـاها تـرجي الخير بلعل وعسى .

يدعي أقوام كثيرون حب أهل البيت عليهم السـلام وامتثال أمـر النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيما أوصاهم به في حقهم ويتظاهـرون بذلك وربما كتبوا فيه ما كتبوا ثم تراهم يتهـافتون تهـافت الفراش على استخراج وتأييد ما أمكنهم أن يستنتجـوا منه غمـطاً لفضيلة أو غضاً من منقبة جاءت في حق أحد من أهل البيت الطاهر إمـا بإنكـار الصحة أو تـأويل المعنى أو ادعـاء وجود معـارض أو ترجيـح مـرجـوح أو دعـوى إجماع لـم يقع أو بلا مستند أو نحو ذلك تجد هذا كله في أكثر ما جـاء في حقهم عليهم السلام .

تـأمل كـل حديث ورد في فضـل علي عليه السلام ولو كان في أعلى مـراتب الصحة تجـد التعليقات عليـه والتأويـلات لمعناه بمـا لا يطابق ظاهره في الغالب لكي يطابق ويوافق مـا رسخ في أذهـانهم مما اعتقدوه وجمدوا عليه هذا إن سلم من دعـوى وضعه وضعفـه ولا تجد شيئاً من هذا في شيء من الأحاديث الواردة في حق غيره بل تجد الأمر

بالعكس مع أنهم إن أولوا هذه فإلى فوق ما يقتضيه ظاهر لفظها وإن استنبطوا منها فإلى أفضل ما يستنبطه المستنبطون ومن تتبع الأحاديث وما علق عليها تحقق صحة ما قلناه .

ها هم قد شحنوا كتبهم الكلامية بذكر طبقات الصحابة رضي الله عنهم وترتيبهم في الفضل فقالوا أفضلهم بعد الخلفاء الأربعة باقي العشرة فأهل بدر فأهل أحد فأهل بيعة الرضوان ثم عامة الصحابة ولم يذكر إلاّ من ندر منهم الحسن ولا الحسين ولا حمزة ولا العباس ولا جعفر الطيار في هذا الترتيب ففي أي مرتبة نضعهم ؟ في عوام الصحابة وأجلافهم أم كيف الحال ؟! نعم شكر الله سعي خطباء المنابر فإنهم لا يزالون يذكرونهم بعد ذكر الأربعة فجزاهم الله عن نبيهم وأهل بيته خيراً .

استطرد بعض أصحابنا بعد ذكر تفاضل الصحابة إلى ذكر تفاضل التابيعن فقال بعضهم أفضل التابعين أويس القرني ، وقال بعضهم الحسن البصري وقال آخرون هو سعيد بن المسيب ولم يقل أحد بأفضلية الإمام زين العابدين بن الحسين عليهما السلام وهو والله أفضلهم وأعجب من هذا أن بعض علماء الشافعية أفرد في مؤلف له فصلاً في ذكر كبار التابعين وعد منهم نحو العشرة ولم يذكر فيهم زين العابدين ولا الحسن المثنى ولا محمد بن الحنفية ولا أدري ما الصادف له عن ذلك والحال أنه من كبار العلماء المطلعين وتأليفه كان بعد انقضاء الدولتين الأموية والعباسية إن هذا والله لقريب من الجفاء إن لم يكن الجفاء بعينه .

حاول البعض من أصحابنا وهم القليل تفضيل عائشة على خديجة رضي الله عنهما مع أن أحاديث خيرة نساء الجنة شاهدة لخديجة بالفضل إذ لم تذكر عائشة رضي الله عنها في شيء من تلك

الأحاديث ومع أنه عليه السلام غضب حتى اهتز مقدم شعره من الغضب حين قالت له عائشة وقد أبدلك الله خيراً منها وقال : لا والله ما أبدلني الله خيراً منها ومع أن خديجة أقرأها جبريل السلام عن ربها وعائشة أقرأها النبي السلام عن جبريل ومع أن خديجة أسبق جميع المسلمين إلى الإسلام إلى غير ذلك ولعائشة رضي الله عنها فضل لا ينكر من نشر العلم ومحبة النبي صلى الله عليه وآله وسلم لها وقوله عليه السلام فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام إلى غير ذلك وقد أفرط الملا علي القاري واستدل بهذا الحديث على تفضيل عائشة مطلقاً حتى على فاطمة رضي الله عنه وقارب الجمهور فقالوا عائشة أفضل من فاطمة في بعض الخصال وليست الأفضلية بهذا المعنى من موارد الخلاف أصلاً ولسنا الآن في مجال بحث وتدقيق إذ الصبح مسفر لذي عينين ولكنا نبين لك تحمل البعض مهما أمكنهم على أهل البيت عليهم السلام(١) .

(١) ذهب أكثر فقهاء الشافعية إلى كراهة الصلاة على الآل في التشهد الأول من الصلوات مع أن ترك الصلاة عليهم مع الصلاة عليه صلى الله عليه وآله وسلم منهي عنه بما صح من قوله صلى الله عليه وآله وسلم : لا تصلوا علي الصلاة البتراء الحديث وعللوا تلك الكراهة التي زعموها ببناء التشهد الأول على التخفيف وليت شعري أي إطالة تحصل بزيادة أربعة أحرف أو سبعة نهى النبي عن تركها وإذا كانت علة الكراهة عندهم بناؤه على التخفيف فلم كرهوها للمأموم الذي فرغ من تشهده وجلس منتظراً لإمامه فإنهم قالوا يدعو بدعاء آخر أو يسكت ولا يصلي على الآل وليتهم وقفوا عند الكراهة فقط لا بل قالوا باستحباب سجود السهو في آخر الصلاة إن أتى بها مجبراً للخلل الواقع في صلاته بالإتيان بها .

ويقابل هذا ما ذكره الشيخ بن حجر في شرح المنهاج في باب سجود السهو وكثير غيره قالوا يستحب للمصلي أن يسجد للسهو إذا ترك الصلاة على الصحب في القنوت جبراً للخلل الواقع في الصلاة بتركها وأظن أن الشيخ كغيره لا يجهلون أنه لم ينقل عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولا عن أحد من أصحابه رضي الله عنهم أنه صلى على الصحب تبعاً للصلاة عليه صلى الله عليه وآله وسلم أو أمر بها لا في الصلاة ولا خارجها وإنما قاسها من بعدهم على الصلاة على الآل والقياس الذي ذكروه فاسد لعدم الإطراد ولوجود الفارق ولنفرض صحة القياس وسنية الصلاة على الصحب لكن كيف يتصور اختلال صلاة تاركها حتى تجبر

ثم لا أخالك تجهل ما وقع من الخلاف بين الصحابة ثم التابعين ثم من بعدهم في الأفضلية بين أبي بكر وعمر وعلي رضي الله عنهم بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولسنا الآن سواءاً كان معتقدنا هذا أم ذلك بصدد تلك الأقوال أو نقدها ورد كل منها إلى دليله إذ المسألة ليست من فرائض الدين ولا مما يضل فيها المخالف عندنا كما ذكره أكثر الأصوليين مع أن حقيقة الفضل ما هو فضل عند الله تعالى ولا يطلع على ذلك ألّا بالوحي ولكننا نذكرك بأن كثيراً من متأخري أهل السنة يفسقون ويبدعون من يقول بتفضيل علي كرم الله وجهه على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ويشددون النكير عليه مع أن للمفضلين مستندات ودلائل يرجعون إليها وأقوالهم بذلك مسبوقة بأقوال كثير من أئمة أهل البيت ومن الصحابة رضوان الله عليهم كالمقداد وزيد بن أرقم وسلمان وأبي ذر وخباب وجابر وأبي سعيد الخدري وغيرهم كما نقله عنهم ابن عبد البر وكعمار وأبي بن كعب وحذيفة وبريدة وأبي أيوب وسهل بن حنيف وعثمان بن حنيف وأبي الهيثم بن التيهان وخزيمة بن ثابت وأبي الطفيل عامر بن واثلة والعباس بن عبد المطلب وبنيه وبني هاشم كافة وبني المطلب وزيد بن صوحان وأخيه صعصعة

بسجود السهو مع خلو صلاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم عنها إلى أن لقي الله تعالى فما لم يفعله النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولو مرة قالوا بسنيته واستحبوا سجود السهو لتركه جبراً للخلل المزعوم وما نهى النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن تركه كرهوا فعله واستحبوا السجود لمن أتى به جبراً للخلل كما قالوا فليمعن طالب الحق نظره في ذلك أما أنا فأقطع ببراءة الإمام الشافعي مما ذكروه إذ لم يرد عنه نص في شيء من ذلك ولا قاعدة يتخرج عليها ما زعموا بل هو القائل :

يا أهل بيت رسول الله حبكم ... فرض من الله في القرآن أنزله
يكفيكم من عظيم القدر أنكم ... من لم يصل عليكم لا صلاة له

وأكاد أجزم بأن سجود السهو في كلتي المسألتين مبطل للصلاة لأنه زيادة ركن غير مشروع .

وجندب الخير وعطية بن سعيد العوفي[1] وعبيدة السلماني وبني هاشم كافة وكخالد بن سعيد بن العاص وعمر بن عبد العزيز من بني أمية[2]

---

(١) قال الحافظ بن حجر العسقلاني في تهذيب التهذيب قال ابن سعد كتب الحجاج إلى محمد بن القاسم أن يعرضه (يعني عطية بن سعد) على سب علي فإن لم يفعل فاضربه أربعمائة سوط واحلق لحيته فاستدعاه فأبى أن يسب فأمضى حكم الحجاج فيه قال وكان يقدم علياً على الكل . إنتهى .

(٢) ذكر ابن الكلبي في التاريخ واقعة نذكرها ملخصة . قال بينا عمر بن عبد العزيز جالس في مجلسه دخل حاجبه ومعه إمرأة أدماء طويلة حسنة الجسم والقامة ومعها رجلان متعلقان بها ومعهم كتاب من ميمون بن مهران إلى عمر فدفعوا إليه الكتاب ففضه فإذا فيه بسم الله الرحمن إلى أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز من ميمون بن مهران سلام عليك ورحمة الله وبركاته أما بعد فانه ورد علينا أمر ضاقت به الصدور وعجزت عنه الأسماع وهربنا بأنفسنا عنه ووكلناه إلى عالمه لقول الله عز وجل ﴿ ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ﴾ وهذه المرأة والرجلان أحدهما زوجها والآخر أبوها وأن أباها يا أمير المؤمنين زعم أن زوجها حلف بطلاقها أن علي بن أبي طالب خير هذه الأمة وأولاها برسول الله صلى الله عليه وسلم وأنه يزعم أن ابنته طلقت منه وأنه لا يجوز له في دينه أن يتخذه صهراً وهو يعلم أنها حرام عليه كأمه وأن الزوج يقول له كذبت وأثمت لقد بر قسمي وصدق مقالي وأنها امرأتي على رغم أنفك وغيظ قلبك فاجتمعوا إلي يختصمون في ذلك فسألت الرجل عن يمينه فقال نعم كان ذلك وقد حلفت بطلاقها أن علياً خير هذه الأمة وأولاها برسول الله صلى الله عليه وسلم عرفه من عرفه وأنكره من أنكره فليغضب من غضب وليرض من رضي وتسامع الناس بذلك فاجتمعوا له وإن كانت الألسن مجتمعة فالقلوب شتى وقد علمت يا أمير المؤمنين اختلاف الناس في أهوائهم وتسرعهم إلى ما فيه الفتنة فأحجمنا عن الحكم لتحكم بما أراك الله وأنهما تعلقا بها وأقسم أبوها أن لا يدعها معه وأقسم زوجها أن لا يفارقها ولو ضربت عنقه إلاّ أن يحكم عليه بذلك حاكم لا يستطيع مخالفته والإمتناع منه فرفعناهم إليك يا أمير المؤمنين أحسن الله توفيقك وأرشدك قال : فجمع عمر بني هاشم وبني أمية وأفخاذ قريش ثم سأل أبا المرأة وزوجها عما قالا فأجاباه بمثل ما مر عنهما فأكب عمر ملياً ينكت الأرض بيده والقوم صامتون ينتظرون ما يقول ثم رفع رأسه وقال :

إذا وليّ الحكومة بين قوم ... أصاب الحق والتمس السدادا
وما خير الأنام إذا تعدى ... خلاف الحق واجتنب الرشادا

ثم قال للقوم ما تقولون فسكتوا فقال سبحان الله قولوا وبعد أخذ ورد وكلام طويل استدل أحد بني عقيل بحديث ذكره عن النبي صلى الله عليه وسلم فقال عمر صدقت وبررت ،

وغير هؤلاء خلق كثير ولهؤلاء من الأحاديث الصحيحة ما يسوغ لهم الإستدلال لها على ما قالوه من تفضيل علي كرم الله وجهه كما أن لمفضلي أبي بكر رضي الله عنه مستندات وأدلة كذلك .

وحيث ثبت أن المسألة خلافية فهلا سكت أولئك المفسقون والمبدعون عن مخالفيهم في ذلك جرياً على القاعدة المرعية عندهم إنه لا يجوز الإنكار على من ارتكب مختلفاً فيه كما سكتوا في المسائل الإجتهادية عمن حرم ما أحل الآخر وحلل ما حرم مع أنهم أطبقوا إلاّ الأشعري وحده على أن أفضلية أبي بكر رضي الله عنه إنما هي ظنية وقد ردوا كما يرد كل ذي خبرة وبصيرة دعوى البعض الإجماع على أفضلية أبي بكر رضي الله عنه .

وقد قال ابن عبد البر في الإستيعاب ذكر عبد الرزاق عن معمر قال : لو أن رجلاً قال عمر أفضل من أبي بكر ما عنفته وكذلك لو قال علي عندي أفضل من أبي بكر وعمر لم أعنفه إذا ذكر فضل الشيخين وأحبهما وأثنى عليهما بما هو أهله ، فذكرت ذلك لوكيع فأحبه واشتهاه انتهى . أفلا يصنع أولئك المبدعون والمفسقون صنيع هذين الإمامين على الأقل .

فإنا نرى أن المتارك محسن   وأن خليلاً لا يضر وصول

أشهد لقد سمعته ووعيته يا رجل خذ بيد امرأتك فإن عرض لك أبوها فاهشم أنفه ثم قالا يا بني عبد مناف والله ما نجهل ما يعلم غيرنا وما بنا عمى في ديننا ولكنا كما قال الأول :

وأعماهم حب الغنى وأصمهم   فلم يدركوا إلاّ الخسارة والوزرا
تصيدت الدنيا رجالاً بفخها   فلم يدركوا خيراً بل استحقبوا الشرا

قيل فكأنما ألقم بني أمية حجراً ومضى الرجل بإمرأته وكتب عمر إلى ميمون بن مهران عليك سلام فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلاّ هو أما بعد فإني قد فهمت كتابك وورد الرجلان والمرأة وقد صدق الله يمين الزوج وأبر قسمه فأثبته على نكاحه فاستيقن ذلك واعمل عليه والسلام عليك ورحمه الله وبركاته إنتهى .

أننا أهل السنة نطالب غيرنا بالإنصاف والمطالبة بها من شأن طلاب الحق فينبغي لنا أن نتحلى به تماماً حتى تقبل منا المطالبة به .

إن بعض المؤلفين المتأخرين منا أهل السنة يقول في بعض كتبه أنظر إلى إنصافنا أهل السنة حيث لم نكفر من قال بأفضلية علي على أبي بكر إنتهى .

كان هذا المؤلف ـ وأمثاله كثيرون ـ يرى أن تفسيق وتبديع من فضل علياً من الإنصاف المحمود لا ومن أنزل الكتاب أن بين هذا القول وبين الإنصاف مراحل مترامية المسافات ولو كنا في هذا من الإنصاف في شيء لتركنا لكل قوله في هذه المسألة إذ هي اجتهادية محضة فللمجتهد فيها أجر إن أخطأ وأجران إن أصاب إذا سلمنا أنها من المسائل التكليفية والتوفيق بيد الله وحده .

دع عنك مسألة التفضيل المطلق وانظر إلى كتبهم وما حاولوا غمطه فيها من فضائل علي الخاصة تجدهم أنكروا أعلميته كرّم الله وجهه وهو باب مدينة علم الرسول كما في الحديث الشريف وهو المؤتى تسعة أعشار الحكمة كما في حديث ابن مسعود والمؤتى تسعة أعشار العلم والمشارك في العاشر كما أقسم الحبر ابن عباس بذلك وهو الذي ما كان من الصحابة من يقول سلوني غيره وهو الذي قال عمر فيه أعوذ بالله من معضلة ليس لها أبو الحسن وهو الذي لم ينقل أن استفتى أحداً في مسألة دينية مع كثرة رجوع الصحابة إليه في المشكلات على أن خطبه ومواعظه وكلامه في العلوم الإلٰهية بحر زاخر لا يقارب فيه ولا يداني .

استدلوا على إنكار تلك الأعلمية الباهرة بآثار يدل مجموعها على أن لأبي بكر رضي الله عنه حظ عظيم من العلم وهو والله كذلك ولكن لا يدل شيء منها على أنه أعلم من علي كرم الله وجهه كما يدعون .

أنكـر معظمهم أيضـاً أشجعيته كـرم الله وجهه التي ضـربت بهـا الأمثـال ونقلت الرواة من أخبـار وقـائعـه وخـوضـه معـاً مـع الحـروب ومقـارعته الأبـطال مع رسـول الله صـلى الله عليـه وآلـه وسلم وبعـده مـا شحنت بـه التواريخ وامتلأت بـه الكتب وعلمه الخـاص والعام وأقـر بـه العدو والصديق .

قالوا إن أبا بكر رضي الله عنـه أشجع منـه واستدلـوا على قولهم بمثل تصميمه رضي الله عنه على قتال أهل الردة ولو وحده وبقوله يـوم الحديبية لسهيل بن عمرو أمصـص بظر اللات وبدفاعه عن النبي صلى الله عليـه وآله وسلم في حـرم مكة حـين آذته قـريش وأمثـال هـذا وهـذه لعمري دالة على شجاعة عظيمـة في أبي بكر رضي الله عنـه لكنها لا تمـاثل شجاعة علي كرم الله وجهه فضلاً عن أن تفضلها ولا ينقص من مقداره رضي الله أن يكون علي أشجع منه .

إننا أهل السنة بهذه الدعوى صـرنا هـزؤاً لدى الشيعـة بل وعنـد المطلعين من أهل الملل الأخرى على وقائع التاريخ ومجريـاته وليسـوا بملومين ومكابرة من يكابر في مثل هذا محض تعصب لا يرتاب فيه ذو تمييز .

رأيت في غيـر واحد من كتب السيـر المتداولـة بيننا مـا صورتـه حرفياً قالوا : ومما استدل به على أن أبا بكـر أشجع من علي أن عليـاً أخبره النبي صلى الله عليه وآلـه وسلم أنه لا يقتله إلاّ ابن ملجم فكـان إذا دخل الحرب ولاقى الخصم علم أنه لا قدرة لـه على قتله فهو معـه كالنائم على فراشه وأما أبو بكر فلم يخبر بقاتله فكان إذا دخـل الحرب لا يدري هل يقتل أو لا ومن هذه حاله يقـاسي من التعب ما لا يقـاسيه غيره إنتهى .

وأقول أن تهافت هؤلاء القـوم على استنباط كـل ما يتـوصلون به

إلى اهتضام حق لأمير المؤمنين كرم الله وجهه في مقابلة من قبله وتسرعهم إلى تشويش كل منقبة خصه الله بها وتشبثهم بمثل هذه الإستدلالات العقيمة تأييداً منهم لما جمدوا عليه من معتقدهم وترويجاً لما تمسكوا به من أقوال مقلديهم سيجر المتحرج عن الخوض فيما خاضوا فيه إلى تجشم البحث معهم مجبوراً عليه وعلى الولوج معهم فيما يرى ولوجه غير مستحسن سعياً في حفظ قلوب القاصرين عن قبول ما روجوه وغالطوا به العامة مما يفسد عقيدتهم في كمال تلك المناقب الباهرة لعلي عليه السلام .

وسعى إلي بعيب عزة نسوة جعل الإله خدودهن نعالها

فنقول أن زعم المستدلين على نفي الأشجعية عن علي عليه السلام وإثباتها لأبي بكر رضي الله عنه بأن علياً إنما يبارز الرجال ويقارع الأبطال لا عن كمال شجاعة بل لأن النبي عليه الصلاة والسلام أخبره بأنه لا يقتله إلّا ابن ملجم فهو مع مبارزه كالنائم على فراشه مردود مهدوم غير مستقيم لِأنه لا ملازمة ولا عناد بين علم الشخص أنه لا يقتله إلّا فلان وبين الشجاعة أو عدمها إذ لا مانع من حصول العلم بذلك عن المعصوم لأشجع رجل في العالم أو لأجبن رجل فيه فلم أعرف حينئذ لاستدلالهم بما ذكر على جبن علي أو شجاعة أبي بكر وجهاً وغاية ما فيه احتمال أن علياً إنما يقتحم الأهوال لا عن شجاعته بل لأمنه من القتل والإحتمال إنما يمنع قطعية دلالة آثار علي عليه السلام في الحروب على أشجعيته فقط لأظنيتها الغالية ولا يثبت لغيره شجاعة كما زعموا ومع هذا فلا نسلك بهم الوعر بل نجاريهم فيما ذكروا ونقول لهم :

أولاً : إن الشجاعة ملكة نفسية والملكات النفسية إنما تعرف بآثارها في الخارج وقد ظهرت آثار الشجاعة العظيمة من فعل علي كرم

الله وجهه قبل أن يخبره النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأن قاتله ابن ملجم كما ظهرت بعد أن أخبره ولم يظهر ما يماثلها من غيره .

ثانياً ـ ماذا يؤمن علياً عليه السلام بعدما أخبره النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأنه لا يقتله إلّا ابن ملجم من أن يجرح من مبارزه أو تبتر يده أو رجله أو تفقأ عينه أو يؤسر فيعذب ثم يعيش بعاهته إلى أن يقتله ابن ملجم ولماذا كان يلبس البيضة والمغفر والدرع إذا كان مع خصمه كالنائم على فراشه كما زعموا .

ثالثاً ـ إنهم بهذا الإستدلال خصوا أبا بكر رضي الله عنه فقط بأنه أشجع من علي ولا معنى للتخصيص إلّا حاجة في نفس يعقوب إذ يمكنهم أن يقولوا أن كل الصحابة أشجع من علي ودليلهم المزعوم يحتمله .

رابعاً ـ أن علياً وأبا بكر رضي الله عنهما قد سمعا قول الله تعالى **﴿ قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم ﴾**[1] وقوله جل جلاله **﴿ فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ﴾**[2] وقوله عز من قائل **﴿ وما كان لنفس أن تموت إلّا بإذن الله كتاباً مؤجلاً ﴾**[3] وكلاهما يعلم أن المقتول يموت بأجله كما هو مذهب أهل السنة فكل منهما يعتقد إذا برز للقتال أنه إن كان هذا يوم انتهاء أجله فهو لا محالة ميت إما في المعركة أو على فراشه وإن لم يكن يوم انتهاء أجله فلا يقدر جميع أهل الأرض على قتله اللّهم إلّا إن زعموا نقصاً في يقين أحد منهما وحاشاهما من ذلك كيف وكل مؤمن يوقن بذلك هذا إعرابي يقول :

---

(١) سورة آل عمران : الآية ١٥٤ .

(٢) سورة الأعراف : الآية ٣٤ .

(٣) سورة آل عمران : الآية ١٤٥ .

يخـوفني بـالقتــل قـومي وإنمــا أمـوت إذا جاء الكتـاب المؤجـل

وحيث كان الأمر كذلك فلم خصوا علياً رضي الله عنه بإطمئنـان القلب إذا بـرز إلى القتال دون أبي بكـر ثم عكسوا الإستـدلال فجعلوا الإطمئنـان الذي يحكم العقـل والعرف بـأنه دال على الشجـاعة دليـلاً على نفيها وجعلوا عدمه دليلاً على ثبوتها .

خامساً ـ أنه ورد أيضاً في حق أبي بكـر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليـه وآلـه وسلم مـا يؤمنـه من القتـل فقـد أخـرج البخــاري والترمذي وأحمد من حديث أنس قد صعد النبي صلى الله عليه وسلم وأبـو بكـر وعمر وعثـمان أحُداً فـرجف بهم فضربه النبي صـلى الله عليـه وسلم وقـال أثبت أحد فـإنما عليـك نبي وصديق وشهيـدان وهذا صريـح في أن الصـديق رضي الله عنه لا يستشهـد وأخرج الـطبراني عن أبي الـدرداء حديث اقتدوا بالذين بعدي أبي بكر وعمـر الحديث ، وهـذا يدل على أنه لا يموت إلا بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم فهو في مـأمن من الموت مدة حياته عليه الصلاة والسلام وما لزم علياً عليـه السلام فيمـا أخبر به يلزم أبا بكر رضي الله عنه فيما أخبر به كذلك فلم يبق لنـا إلى طريق معرفة الأشجع منهما إلاّ بما برز في الخارج من أفعال كل منهما والمنصف يعرف . وكأن المستـدلين بأمثـال هذه الـوساوس يـظنون أن نقش الصحـائف بأقـلام يمدهـا الوهم والتخيـل يقلب لهم الحقائق أو يثبت منهـا ما لم يكن وهيهـات هيهات ﴿ **أم حسب الـذين في قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم** ﴾[1] .

أنكـر كثير أيضـاً أسبقية إسـلامه كـرم الله وجهه على إسـلام كل الصحابة إلاّ خديجة رضي الله عنهما وجزمـوا بأسبقيـة إسلام أبي بكـر

(١) سورة محمد : الآية ٢٩ .

رضي الله عنه مع أن الأدلة الحديثية والمنقول عن كثير من أعلام الصحابة أقوى بكثير جداً مما دل على تقدم إسلام أبي بكر رضي الله عنه ولو لم يكن منها إلاّ حديث سلمان أولكم ورداً على الحوض أولكم إسلاماً علي بن أبي طالب وحديث علي نفسه صليت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كذا وكذا لا يصلي معه غيري إلا خديجة، وحديث بن عباس رضي الله عنهما هو - يعني علياً - أول عربي وعجمي صلى مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وحديث عفيف الكندي وقول العباس له فيه لم يتبعه فيما ادعى إلاّ أمرأته وابن عمه هذا الغلام[1] وما صح عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال أسلم قبل أبي بكر أكثر من خمسة ولكنه كان خيرنا إسلاماً وقوله عليه الصلاة والسلام لفاطمة زوجتك سيداً في الدنيا والآخرة وأنه أول أصحابي إسلاماً وأكثرهم علماً وأعظمهم حلماً لكفى في ترجيح القول بأسبقية إسلامه كرم الله وجهه مع أن الذين صرحوا من الصحابة والتابعين كما مر عن ابن عبد البر وابن عباس وأبي الأسود ومحمد بن كعب القرظي ومحمد بن الحنفية وعبد الله بن عياش بن ربيعة وعامة أهل البيت وخباب وجابر وأبي سعيد الخدري وزيد بن أرقم وهؤلاء القائلون ومن لا يحصى عداً .

وإليك أدلتهم على أسبقية أبي بكر رضي الله عنه وذلك ما أخرج الترمذي وابن حبان في صحيحه عن أبي بكر أنه قال ألست أحق الناس بها ألست أول من أسلم ، وما أخرجه الطبراني في الكبير عن

---

(١) قال الحافظ بن حجر العسقلاني في تهذيب التهذيب وقد - يعني عفيف الكندي - على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : وقال العسكري : ولما أسلم قال : لو كان رزقني الله السبق إلى الإسلام فأكون ثانياً مع علي وكذا ذكره ابن سعد ثم قال وكان سيداً في الجاهلية والإسلام وكان عابداً . إنتهى .

الشعبي قال : سألت ابن عباس أي الناس كان أول إسلاماً قال : أبو بكر ألم تسمع قول حسان :

وأول الناس منهم صدق الرسلا

وما ذكره بن عبد البر عن عمرو بن عبسة قال أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو نازل بعكاظ ، فقلت : يا رسول الله من أتبعك على هذا الأمر ؟ قال : حر وعبد أبو بكر وبلال ، قال : فأسلمت عند ذلك ، وما أخرجه أبو نعيم عن ميمون بن مهران أنه قال : والله لقد آمن أبو بكر بالنبي صلى الله عليه وسلم زمن بحيراء الراهب حين مر به ذلك قبل أن يولد علي ، قالوا أيضاً : وقال به خلائق من الصحابة ولكنهم لم يسموا منهم غير من ذكر . هذه أدلتهم وإلى المنصف نكل فحصها والموازنة بينها وبين ما مر مع أنا لا نرتاب في أن أبا بكر رضي الله عنه من السابقين الأولين إلى الإسلام والقائمين بالدعوة إليه رضي الله عنه وأرضاه .

يقول بعض المشاغبين من أصحابنا أن إسلام أبي بكر رضي الله عنه كان في سن الكمال كغيره من الصحابة وأن إسلام علي كرم الله وجهه كان في حال صباه وهي حال قصور ونقول هذا من باب قلب الفضيلة جدلاً إلى النقيصة ، أليس من القطعي أنه عليه الصلاة والسلام لا يفعل شيئاً من أمور التبليغ إلّا بأمر أمره الله به ثم يا ترى إسلام علي كرم الله وجهه كان بإلهام من الله أم بدعاية النبي عليه الصلاة والسلام إليه والأول لا يصح لأنه يستلزم تقديمه على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فإنه لم يكن إسلامه إلهاماً ولم يكن يعرفه حتى جاءه جبريل به فتعين الثاني وفيه فضيلة لعلي خاصة حيث أمر الله نبيه بدعائه بخصوصه إلى الإسلام من بين الصبيان ولم يدع غيره منهم ولو لم يمنحه الله في حال صباه من الإستعداد والأهلية ما منحه أهل الكمال لكان الأمر بدعائه إلى الإسلام عبثاً ينزه عنه الحكيم الخبير ،

وفي هـذا مشابهـة لما منحـه الله تعالى نبيـه يحيى عليه السـلام قال : ﴿ وآتيناه الحكم صبياً ﴾[1] .

ربما يقول قـائل إن هـذه المباحث لكمـا ذكرت ومن حيث أنهـا متقضيـة لا تقضي بنا إلى كبيـر فائـدة في المستقبـل فلنتـركهـا جـانبـاً ونشتغل بالأهم (فنقول له) إن البحث عن الحقـائق أفضل مـا يتوخـاه الـطالب ولكنا نـرجع معـك إلى الحال والإستقبـال ونقول هـا نحن قد أمـرنا بـالتمسك بكتـاب الله تعالى وبعتـرة نبينا محمـد صلى الله عليـه وآله وسلم وأخبرنا عليه الصلاة والسلام بأنهما لن يفترقا حتى يردا عليه الحوض وبأن المتمسك بهما لن يضل أبداً فمـاذا فعلنا وبمن من أهـل بيته تمسكنا بعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه وقد سـالمنا من حـارب ووالينا من عادى وأحببنا من أبغض وقلنا في حق أولئك القاسـطين بغير مـا يقول وعـظمناهم كمـا يعظم السـابقون الأولـون وأثبتنـا لهم الأجـر والثواب على مناصبته وقتل أصحابه ومنـازعته حقـه أم تمسكنا بـأولاده من بعده ونحن قد أهملنا الرواية عنهم وأنفنا من الأخـذ منهم وهم من هم أللّهم إلاّ في أحاديث قليلة جاءتنا عرضـاً فذكـرناهـا وأقوال وافقت مشربنا فنقلناها إن قلنا أنهم لا يعلمون فقد كذبنـا جدهم عليـه الصلاة والسلام فيما قال إذ أمره بالتمسك بهم يستلزم وجـود العلماء منهم في كل زمان وإن قلنا أنهم مخطئون فيما علموا فالأمر أدهى وأمر والمصيبة أعظم وإن ادعينا وفاقهم وانتحلنا اتباعهم كذبتنـا شواهـد الأحوال هـذه كتبنا صفر من ذكر أقوالهم خاوية على عـروشها من فتـاويهم لا نوليهم إنصافاً ولا نعتبر لهم خلافاً .

لا نقصد بهذا تنقيصاً للمذاهب الموجودة المعمـول بها بيننـا ولا القدح فيها ولا في مجتهديها ولا الحط من مـراتبهم فإنهم بحـور العلم

(١) سورة مريم : الاية ١٢ .

وأطـواد التحقيق والإجتهـاد في الـدين لا يختص بعـالم دون آخـر ولا ينحصـر في أهل البيت ولا في غيـرهم فكلهم على هـدى إن شـاء الله وكلها عندنا صحيحة ومقبولة أللّهم إلاّ مسائل قليلة لم يبق للقوس فيها منزع ولا للتقليد فيها مجال شـأن أهل المـذاهب واختلافهم على أننـا نزداد اطمئناناً وسكوناً فيما كان مستندهم فيه النقل عن أهل بيت نبيهم أو معتمـدهم الوفـاق لواحـد منهم للضمان الـوارد في الحـديث بعـدم الضلال والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم .

هذه حقائق تحوك في صدور المحبين المخلصين وتصغي إليهـا أفئـدة المؤمنين المتقين صرحت فيهـا بمر الحق وتـوخيت فيهـا محض الصدق ليعلم الكل أن في رجال أهل السنة من الإنصاف شأنهم وقول الحق ديدنهم وقد ثبت في الإفصاح بتلك الحقائق عن جمع كثير وجم غفير من أصحابنا أهل السنة الذين يتجنبـون الإقدام على ذكـرها تهيبـاً وفـرقاً من حـداد ألسنة أولئـك المدعين سمعـة ورياء حب أهـل البيت عليهم السـلام ، ولا تزال تـطلع على خائنـة منهم إلاّ قليلاً منهم وقـد افتديت بنفسي أعراض أولئـك المتخوفين ونصبت نفسي هـدفاً لسهـام ألسنة المشاغبين والمعارضين أرجو بذلك الثواب الجزيل من الله واليد البيضاء عند نبيه ومصطفاه والله موفق الكل إلى الصواب .

تذييل

عقيدة السادة العلوية

قال لي بعض علماء حضرموت يوماً بعد أن جرى البحث بيني وبينه في مسألة وجوب بغض معاوية وجواز لعنه ومنع الترضي عنه وتسويده : أن أسلافك السادة العلويين الحسينيين كلهم سنيون أشعريون عقيدة شافعيون مذهباً وهم من العلم والعمل والزهد والورع بمقام سام ومرتبة عالية فكيف خالفتهم بأقوالك واعتقادك أترى أنهم أخطأوا وأصبت أم الأمر بالعكس فأجبته إن السادة العلويين رضي الله عنهم لكما ذكرت من كمال العلم والمعرفة بالله وسلوك الطريق المستقيم وعقائدهم هي عقائد أجدادهم المطهرين وأسلافهم المهتدين أخِ النبي وابن عمه علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وسبطي رسول الله وريحانتيه الحسن والحسين وزين العابدين والحسن المثنى ومحمد الباقر وجعفر الصادق وموسى الكاظم وعلي العريضي ومحمد بن علي وعيسى بن محمد والمهاجر إلى الله أحمد بن عيسى ومن بعدهم من الأئمة العظام على جدهم وعليهم أفضل الصلاة والسلام لا يحيدون عن تلك الطريقة ولا يتحققون إلّا بتلك الحقيقة ، قال القطب الحداد قدس سره العزيز :

وأنا على آثارهم وسبيلهم ... وما نحن عن حق لهم بنيام

وقد وافق اعتقادهم أكثر ما دونه أبو الحسن الأشعري في كتبه الكلامية فهم أشعريون بهذا المعنى وهم شافعيو المذهب في الفروع الفقهية إلّا أن لهم اختيارات وأنظار خالفوا فيها الشافعية والأشعرية كقولهم بسنية الصلاة على الآل في التشهد الأول وترك الكثير التلفظ بالنية عند الإحرام وقول البعض بجواز الجمع بين الصلاتين في الحضر كقولهم بعدم صحة تزويج الشريفة الحسنية أو الحسينية من غير بنيهما وإن رضيت ورضي وليها وعدم اعتبار خصال الكفاءة بينهم خاصة غير النسب وكقول الأكثر منهم بصحة بيع الوفا المعروف وكقولهم بجواز نقل الزكاة ودفعها إلى صنف واحد أو شخص واحد وبجواز المعاطاة في بعض البيوع ومعاملة السفيه وكون الرشد إصلاح الدنيا فقط وكقولهم بجواز المزارعة والمخابرة والمناشرة ورد الباقي من التركة بعد ذوي الفروض عليهم غير الزوجين إذا لم ينتظم بيت المال فإن فقدوا فيمن انقطع حيضها لغير علة بأن تتربص تسعة أشهر ثم تعتد بثلاثة أشهر والقول بجواز الفسخ لغائبة الزوج إذا تعذر تحصيل النفقة وكقولهم بصحة إيمان المقلد خلافاً للأشعري ومخالفتهم له في قوله أن الوجود عين الذات وإنكارهم عليه بعض مسائل التفضيل والقول بقطعيته وكقول الكثير منهم بانتفاء عدالة معاوية وأشباهه وبغضهم في الله ومنع تسويدهم والترضي عنهم[1] ، على

---

(١) قال لي طالب علم من السادة العلوية يوماً بعد أن اطلع على شيء من فصول هذه الرسالة أن القطب الحداد قدس سره يقول :

وكن أشعرياً في اعتقادك أنه ... هو المنهل الصافي عن الزيغ والكفر

وهم نعم القدوة لنا فقلت له نعم وهل قرأت كتب الأشعري قال لا ولكني أسمع أن من مذهبه السكوت عن قبائح معاوية فقلت له إن الأشعري يكفر كل من لم يعرف وجود الله تعالى وجميع صفاته بدلائلها العقلية وإيمان المقلدين عنده غير صحيح وأنت واحد منهم ، فقال لعل هذه المسألة من مذهب الأشعري غير مرادة في كلام الحداد قلت له : نعم وكما أن هذه غير مرادة في كلامه فكذلك مسألة تعديل معاوية عن قبائحه فإنها غير مقصودة في قوله =

أنهم لا يخوضون في هذه المسألة إلاّ في مجالسهم الخاصة بهم ولقد ذاكرت منهم رجالاً كثيرة من فضلاء من أدركناهم وتوفاهم الله إليه ومن الموجودين الآن فيما يقول الأشاعرة والماتريدية في هذه المسائل وكلهم يرفضه ويأباه ويشير إلى السكوت إن خيفت فتنة ولو كنت استأذنتهم لذكرت أسماءهم واحداً فواحداً فليس بيني وبينهم خلاف في العقيدة ولا افتراق في الطريقة وإنما أسروا وأعلنت وأجملوا وبينت وأشاروا وأوضحوا وعرضوا وصرحت :

وما أنا إلاّ من غزية إن غوت
غويت وإن ترشد غزية أرشد[1]

وعلى التنزل والقول بأن الكثير منهم سكتوا عن ذكر موبقات معاوية وسيئاته فذلك إما لعذر ما أو لكونهم لم يسألوا عن ذلك ولم يناقشوا فيه ومع هذا فلا ينسب لساكت قول وقد سكتوا رضي الله عنهم أيضاً عن أمور كثيرة لقيام غيرهم بها كالرد على الخوارج والمعطلة والجهمية وغلاة الرافضة بل وسكتوا عن رد مفتريات اليهود والنصارى والدهرية وأعداء الإسلام أفيكون سكوتهم عن جميع ذلك تقريراً لهم

= رضي الله عنه لأنها ليست من عقائد الدين حتى يضل فيها المخالف ولأنها مخالفة لأقوال آبائه وأجداده العظام الذين أكثر رضي الله عنه من التحريض على سلوك طريقتهم والحث على اقتفاء آثارهم بل مخالفة لقول الله تعالى وقول رسوله عليه السلام وإنما أراد الحداد قدس سره من العقيدة الأشعرية معظمها وأكثرها تحذيراً من وقوعنا وأمثالنا في ضلالات القدرية أو الجهمية أو المرجئة أو الجبرية أو غلاة الشيعة أو الخوارج وأمثالهم وهو أجل مقاماً وأرفع قدراً من أن يدعو إلى خلاف ما عليه آباؤه وأجداده المطهرون رضوان الله عليهم أجمعين .

(١) حضرت يوماً مجلس أحد علماء السادة العلوية وفضلائهم وكان القارىء رجلاً من أهل اليمن وأظنه زيدي المذهب فجاء ذكر معاوية عرضاً في الكتاب فلعنه القارىء المذكور فقيل لذلك الفاضل ألا تزجر هذا عمّا يرتكبه من لعن معاوية وهو صحابي فأجاب نفع الله به متمثلاً :

لا أذود الطير عن شجر قد بلوت المر من ثمره

ورضى بتلك البدع والمفتريات ونكون حينئذ ملزومين أن نسكت عنها كما سكتوا لا والله إنهم أنفسهم لا يرضون هذا منا ولا من غيرنا .

ثم إنّا إذا وجدنا فيهم من سكت عن معاوية وفضائحه فلا نجد من علمائهم وكبارهم من يطريه ويمدحه ويسيده ويترضى عنه ويتمحل لتبريره ويؤول خطاياه كما يفعل أكثر الأشاعرة والماتريدية أللّهم إلاّ أفراداً نشأوا بغير بلادهم وتلقوا أكثر علومهم عن الغير فشذوا عن قومهم في هذه المسألة كصاحب المشرع الروي وأحاد غيره ولا عبرة بالشاذ وإنما العبرة بالغالب والسواد الأعظم من كان على الحق .

أخبرني الثقة منهم أن الإمام الشافعي رحمه الله أسر إلى الربيع أنه لا يحتج في دين الله بواحد من هؤلاء الأربعة معاوية وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة ومروان بن الحكم وأنه لا يفضل على علي أحد[1] إنتهى .

---

(١) من نظر بإمعان إلى غوامض كلام الإمام الشافعي رحمه الله عرف منها مذهبه في تفضيل علي عليه السلام على جميع الصحابة رضي الله عنهم أنظر إلى أبياته التي يقول :

إذا نحن فضلنا علياً فإننا ... روافض بالتفضيل عند ذوي الجهل
وفضل أبي بكر إذا ما ذكرته ... رميت بنصب عند ذكري للفضل
فلا زلت ذا رفض ونصب كلاهما ... بحبهما حتى أوسد في الرمل

فإنه أتى في ذكر تفضيله علياً عليه السلام بصيغة الزيادة والتكرار حيث قال إذا نحن فضلنا علياً أي حكمنا بزيادة فضل علي فإننا بذلك التفضيل روافض عند الجهال فقط ويفهم منه أن القول بتفضيل علي مطلقاً ليس في شيء من الرفض عند العلماء ثم قال رحمه الله وفضل أبي بكر إذا ما ذكرته البيت جاء هنا بمجرد ذكر الفضل لا بصيغة التفضيل كما جاء بها في البيت الأول فمعناه إذا ذكرت فضل أبي بكر رميت بالنصب عند ذكري فضله ولم يكن تعبيره رحمه الله بالتفضيل في الأول وبمجرد ذكر الفضل في الثاني عفواً من غير قصد أو تفنناً في العبارة أو مراعاة للوزن كما يظنه من ظنه لا بل صنع ذلك عمداً لغرض مقصود عنده وذلك أن سيقسم بعد ذلك أنه لا يزال بهاتين الحالتين اللتين ذكرهما من تفضيل علي وذكر فضل أبي بكر إلى الموت حيث قال : فلا زلت ذا رفض أي بتفضيلي علياً ونصب أي بذكري فضل أبي بكر حتى أوسد في الرمل وانظر أيضاً إلى قوله رحمه الله في الأبيات الأخرى :

=

فسادتنا المذكورون سنيو بمعنى أن السنة ما كان عليه محمد صلى الله عليه وآله وسلم وجلة أصحابه وأكابر تابعيهم بالإحسان أشعريون بمعنى أن عقيدتهم في الغالب موافقة لما قرره أبو الحسن الأشعري رحمه الله في كتبه الكلامية أللّهم إلاّ في مسائل قليلة وفي هنات جاءت عن الأشعري عفا الله عنه في حق علي ومعاوية وما هي ببدع من الأشعريين[1] .

وخلاصة القول أن مذهبهم وطريقتهم هو الكتاب والسنة كما صرح به القطب الحداد قدّس سره العزيز بقوله :

والمذهب المستقيم مذهبه　　نص الكتاب وصرح الخبر

دعوة البعض أهل البيت إلى حب معاوية وتوليه

ذكرت هنا والشيء بالشيء يذكر ما لهج بعض من ألف في

= قالوا ترفضت قلت كلا　　ما الرفض ديني ولا اعتقادي
لكن تولیت دون شك　　خیر إمام وخیر هادي
إن كان حب الوصي رفضاً　　فإنني أرفض العباد

فإن قوله في البيت الثاني خير إمام وخير هادي يدل على تفضيله علياً على الإطلاق إذ خير بمعنى أخير وله رحمه الله كثير من أشباه هذا في مطاوي نظمه ونثره ولم يرد عنه ما يدل على أنه يفضل أبا بكر على علي رضي الله عنهما إلاّ الرواية التي نقلها البيهقي عنه على ما فيها من الإحتمال والطعن .

(١) قال في كتاب الغارات روى عبد الرحمن بن جندب قال أبو بردة بن أبي موسى الأشعري لزياد أشهد أن حجر بن عدي قد كفر بالله كفرة صلعاء قال عبد الرحمن إنما عنى أبو بردة بذلك نسبة الكفر إلى علي بن أبي طالب لأنه كان أصلع وروى أبو نعيم عن هشام بن المغيرة بن الغضبان بن يزيد قال رأيت أبا بردة قال لأبي العادية الجهني قاتل عمار بن ياسر : مرحباً بأخي إلى ها هنا فأجلسه إلى جانبه ، قال : وقد روى عبد الرحمن المسعودي عن ابن عباس المنتوف قال : رأيت أبا بردة الأشعري قال لأبي العادية الجهني قاتل عمار بن ياسر أأنت قتلت عماراً ؟ قال : نعم ، قال : ناولني يدك فقبلها وقال : لا تمسك النار أبداً .

الإنتصار لمعاوية وأعوانه وكرره مراراً من دعوة خصوص أهل البيت الطاهر والنسب الباهر إلى سماع نصيحته والإنضمام إلى أهل طريقته ظناً منه أن الشريف إذا أحب وتولى معاوية فقد انتظم في سلك الفئة الناجية .

أنعق بضانك يا جرير فإنما منتك نفسك في الخلاء محالا

ليت شعري أيدعو هذا المغرور عالم أهل البيت ليهديه وكان الأحق أن يستهديه أو يدعو جاهلهم ليستهويه وكان الواجب أن يرقب، جده فيه أما والله أن علماءهم قارة الأمم والشموس التي تنجاب بها الظلم وجهاً لهم سالكون يضعون القدم على القدم ومن يشابه أبه فما ظلم .

إن عدّ أهل التقى كانوا أئمتهم
أو قيل مَنْ خير أهل الأرض قيل هم[1]

هم والله أهل السبق في كل فضل وكمال وهم الذين لا تلهيهم عن الله تجارة ولا مال ألم يقل النبي عليه الصلاة والسلام : تعلموا منهم ولا تعلموهم وأنكم حزب إبليس إذا خالفتموهم أما جاء عنه أن المتمسك بهم لا يضل أبداً وأنهم لن يدخلوكم باب ضلالة ولن يخرجوكم عن باب هدى ألم يخبر أنهم أمان هذه الأمة وأن الله قد جعل فيهم الحكمة أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً وجعل منهم سراجاً وقمراً منيراً من ناوأهم فهو عن دين الله مارق ومن أبغضهم فهو بالنص منافق لا صلاة لأحد إلا بذكرهم ولا ورود على الحوض إلّا بإذنهم يتصل إسناد طرائقهم بجبريل ويشهد بصحة عقائدهم محكم التنزيل أخبر النبي عليه وعليهم الصلاة والسلام أنهم لا يفارقون كتاب الله حتى يجمعهم شاطىء الحوض وإياه .

---

(١) أبو فراس الحمداني .

لا يسكن الحق إلا حيث ما سكنوا　　وليس يذهب إلا حيث ما ذهبوا

والله ما يدعوهم ذلك المغرور إلاّ ليخرجهم إلى الظلمات من النور يعدهم ويمنيهم دخول الجنة إذا سلكوا طريق أهل السنة إن كانت السنة سنة رسول الله فهم والله أئمتها الهداة وإذا كانت سنة محاد الله ورسوله معاوية وطريقة من يبرر عمل تلك الفئة القاسطة الباغية فإنهم وأيم الله براء من ذلك الحوب براءة الذئب من دم ابن يعقوب وما أصدق ما قال العلامة الحفظي رحمه الله في هذا المعنى من أرجوزته الشهيرة .

وإنما الأنصاف ما قد قرره　　أئمة الذكر وأهل التذكرة
أن نعبد الله بما أنزله　　وسنة الهادي الذي أرسله
وأن أهل البيت والقرآن لن　　يفترقا إلى ورود الحوض من
ولن نضل في الذي سلكنا　　إذا بكل منهما استمسكنا
على العموم لم يخص مذهباً　　عن مذهب أو أهل قطر اجتبى
ولم تكن طائفة منهم أحق　　من غيرهم على الصحيح المتفق
ولم يقل فلاناً أو فلاناً　　إلاّ الذي قد قارن القرآنا
وإن من نعمة ربي الكبرى　　على جميع العالمين طراً
إنهم تفرقوا وانتشروا　　في كل أقليم وقطر فطروا
وملأوا الأنجاد والأغوارا　　وصيتهم بين العباد طارا
وكل من في بلد فمذهبه　　أصلاً وفرعاً معهم ومشربه
أئمة الدليل والمدلول　　وسادة الفروع والأصول
وفي الترقي طبقاً عن طبق　　شهادة بالإجتهاد المطلق
إن فسروا أو للحديث شرحوا　　قالوا لمن قد قلدوا تفسحوا
لم يجمعوا إلاّ على ما علما　　من ديننا ضرورة فسلما
أو يتواصوا كلهم بمذهب　　معين إلاّ الكتاب والنبي
لا في مهمات الأصول فأعلم　　ولا الفروع النادرات فأفهم

والكـل منهـم قـائـل بـأنـه ... متبـع فـي كـل مـا قـد ظنـه
ومـقـتـف آثـار قـوم قـدمـا ... من أهله سفن النجـاة العـظمـا
أعني عليـاً والحسيـن والحسن ... والشيـخ زين العـابـدين المؤتمن
وبـاقـراً والـحـسـن الـمـثـنـى ... والمحض والصـادق من يـكنـى
ولـم يـكـن لـهـؤلاء الـكـبـرا ... مـذاهبـاً كمـا تـرى ومـا جـرى
مـا ذهـبـوا إلاّ عـلى تـنـزيـله ... وظـاهـر الحـديث لا تـأويـله
وهكـذا إلى الأخيـر فـأحسب ... الـراسخـون في مقـامـات النبي
هـم الـذين أورثـوا الـكـتـابـا ... والـتحـقـت ابـنـاؤهـم بـالآبـا

أللّهم إنه بلغنا ما ورد عن حبيبك ورسـولك الـذي بعثته بـالحق بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسـراجاً منيـراً ، أنه قـال : إني تارك فيكم ما أن تمسكتم به لن تضلوا بعـدي ، الثقلين أحدهمـا أعظم من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهـل بيتي ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما .

وها نحن ولك الحمد والمنة قد صدقناه بقلوبنا وأجبنا داعية فيما استطعنا ونتوسل إليك أن تمنحنا توفيقاً تثبتنـا به فيمـا بقي من أعمارنـا على الإنقياد لكتابك المبين والتمسك بأهل بيت نبيك الطاهرين تمسكاً تعصمنا به من الضلالة وتحفظنا به من ورطات الزيغ والجهـالة ونكـون به ما عشنا حرباً لمن حاربهم سلماً لمن سالمهم حتى تجمعنـا وإياهـم في مستقر رحمتك ومحل أوليائـك مع الـذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً .

خاتمــــة

مرثيتين للسيد ابن شهاب

نذكر فيهـا قصيدتين من نـظم الأستاذ العـلامة شيخنـا السيد ابن شهاب مد الله مدته يرثي في أولهما مـولانا أميـر المؤمنين علي بن أبي طـالب عليـه السـلام ويـرثي في الثـانيـة مـولانـا أبـا عبـد الله الحسين الشهيد بن علي عليهما السلام وإنما خصصتهما بالنقـل لما فيهمـا من التصريح بالحق والإنحاء على المداهنين المتملقين .

القصيدة الأولى في رثاء الإمام علي عليه السلام

قـفـا وانـشرا دمـعـاً عـلى الـتـراب أحـمـرا
وشـقـا لـعـظم الـخـطب أقـبـيـة الـكـرى

ولا تـجـعـلا غـيـر الـسـواد ولـبـسـه
شـعـاراً لتـذكـار الـمـصـاب الـذي جـرى

ولا تـألـوا جـهـداً عـن الـنـوح والـلطمـا
صـدوراً بـهـا الإيـمـان اثـرى وأثـمـرا

ومـا الـنـوح مـجـد في الـخـطوب وإنـمـا
يـخـفـف مـن نـيـرانـهـا مـا تـسـعـرا

وما كل خطب يخلق الدهر حزنه
ويـنـسـخـه كـر الجديدين مذعرى

ألم تريا ما في قلوب أولي التقى
لفقد وصي المصطفى سيد الورى

إذا مضت العشرون من رمضانه
تصدع فيها كل قلب تذكرا

مصاب به الإيمان أضحى مكبلاً
وأمسى به الإسلام منهدم الذرى

بضربة أشقى الآخرين ابن ملجم
دم الرأس فوق العارضين تحدرا

دم لو مزجت البحر منه بقطرة
لأصبح مسكاً ذلك البحر أذفرا

فيا ضربة أهوت بضاربها ومن
يواليه في الكفر الصريح إلى الثرى

ويا ضربة عنها الأمين ابن عمه
يصادق وحي الله نبا وخبرا

فجاء لها ليث الكتائب موقناً
بها لم يشب إيقانه دونها أمترا

ولم تثنه عنها نوائح أوز
ليمضي أمراً في الكتاب مقدرا

هو الحين لكن حكمة الله أشقت
المرادي وخصت بالشهادة حيدرا

وإلاّ فما قدر الخبيث اللعين أن
يساور بازاً أو يصاول قسورا

بسبق القضا نالت يد الكلب هامة
تهاب شبا أسيافها أسد الشرى
نآه على صنو النبي وصهره
وثانيه أيام التحنث في حرا
وأعلم أهل الأرض بعد ابن عمه
وأعظمهم جوداً ومجداً ومفخرا
وأولهم من حوض الإيمان مشرباً
وأرفعهم في محفل الزهد منبرا
وأضربهم للهام في حومة الوغى
إذا أز قدر الحرب كر وكبرا
إذا قارع الأبطال ظلت نفوسهم
تردد بين الأسر والقتل مهدرا
ألا يا أمير المؤمنين وسيد المني
بين أن جن الدجى وتعكرا
عليك سلام الله يا من بهديه
تبلجت الأنوار والحق أسفرا
وتبا لقوم خالفوك وزخرفوا
لأشياعهم زوراً من القول منكرا
وتبا لمن والاهم وارتضاهم
أئمته في الدين يا بئسما اشترى
لئن ظفروا من هذه الدار بالذي
أرادوا فإن المرء يحصد ما ذرا
وبعدك جاءت ذات ودقين يا أبا
تراب وجاءت بعد أم حبو كرى

دماء بنيك الغر طلت وبدلت
خفيظة قرباهم عقوقاً مكفرا
لقد عم كرب الدين في كربلاء إذ
بتربتها أمسى الحسين معفرا
على حين قرب العهد بالوحي أصبحت
مواثيق طه فيه محلولة العرى
ومن دونه العباس خر مجندلا
فيا لأخ والى فأودي فأعذرا
ولا بدع أن نالوا الشهادة بل لهم
بيحيى وعيسى أسوة في الذي جرى
لتذكار ذاك اليوم فليبك كل ذي
فؤاد به خط السعادة أسطرا
فكم ماجد من آل بيت محمد
تحكم فيهم نابذو الدين بالعرا
ومن ليس إلا قينة أو حظية
قصاراه أو عودا وخمرا وميسرا
ضغائن في سود الكلاب أمية
أكنت بها من بدر ذا الغدر مضمرا
مواليد سوء حاربوا الله عنوة
وفي الأرض عاثوا مفسدين تجبرا
على ظالمي أهل الرسول وهم هم
شآبيب لعن كلما بارق شرى
وصب عليهم ربهم سوط نقمة
وجرعهم طين الخبال وثبرا

ألا يـا ذوي الـمـخـتـار إنا عـصـابـة
نـمـت إلـيـكـم بـالـولادة والـقـرا
نـوالـي مـوالـيـكـم ونـقـلي عـدوكـم
ونـجتث عـرق النصب ممـن بـه اجتـرى
ويـا لـيـتـنـا في يـوم صـفـيـن والـذي
يـليـه شـهـدنـا كـي نـفـوز ونـظفـرا
ونـشـرب بـالـكـأس الـذي تـشـربـونـه
فـأمـا وإمـا أو نـمـوت فـنـعـذرا
بـني الـمـصـطفى طبـتـم وطـاب ثـنـاؤكم
رثـاء ومـدحـاً بـالـبـديـع مـحـبـرا
فـلا زلـت مـهـمـا عـشت أبـكـي عـلـيـكـم
وأنـظم دراً مـن ثـنـاكـم وجـوهـرا
ودونـكـم عـذراء نـظم بـكـم زهـت
يـحـق لـهـا والله أن تـتـبـخـتـرا

القصيدة الثانية

في رثاء الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام

برآءة بر في براء[1] المحرم
عن اللهو والسلوان من كل مسلم
فهل خامر الإيمان قلب امرىء يرى
لتلك الليالي لاهيا ضاحك الفم
ليال بها الخطب الجسيم الذي اكتسى
به أفق الجرباء[2] صبغة عندم[3]
ليال بها أيدي اللئام تلاعبت
بهام بدور للمعالي وأنجم
ليال بها في الأرض قامت وفي السما
مآتم أعلى الناس قدرٍ وأعظم
ليال بها نتني الخنازير أولغوا
مدى[4] غيهم والبغي في طاهر الدم

---

(١) البراء أول ليلة أو يوم في الشهر .

(٢) الجرباء السماء .

(٣) العندم نبت أحمر معروف ويسمى دم الأخوين .

(٤) المدى بتثليث الميم جمع مدية وهي الشفرة وهي هنا بمعنى جانب النصل وحد السيف .

ليال بها ذبح ابن بنت محمد
وعترته رمز الكمال المترجم
فأي جنان بين جنبي موحد
بنار الأسى والحزن لم يتضرم
وأي فؤاد دينه حب أحمد
وقرباه لم يغضب ولم يتألم
على دينه فليبك من لم يكن بكى
الرزء الحسين السيد الفارسي الكمي

همام رأي رايات ملة جده
منكسة والشرع غير محكم
وسنة خير المرسلين تجذمت[1]
عراها ودين الله بالجحد قد رمي

فأغضبه من ذاك ما أسرة
هواهم قنى[2] القينات أو شرب[3] حنتم[4]
ويمم سكان العراق لينزعوا
شجاه[5] وهم والله شر ميمم
توجه ذو الوجه الأغر مؤدياً
لواجبه لم يلوه لحي[6] لوم

---

(١) تجذمت أي تقطعت .

(٢) قني القينات اقتناء الجواري المغنيات .

(٣) الشرب بالكسر المشروب .

(٤) الحنتم جرار تحمل فيها الخمر .

(٥) الشجا ما اعترض في الحق من عظم أو نحوه تقول العرب نزع شجاه أي فرج كربه .

(٦) اللحى العذل .

يـؤازره سـبـعـون مـن أهـل بـيـتـه
وشـيـعـتـه مـن كـل طـلق[1] مـقـسـم[2]
فـهـاجـت جـمـاهـيـر الـضـلال وأقـبـلت
بـجـيش لحـرب ابـن الـبـتـول عـرمـرم[3].
تـألـب[4] جمـع مـن فـراش[5] جـهـنـم
غـواة يـرون الـشـر أكـبـر مـغـنـم
يـقـرون بـالـقـرآن لـكـن لـعـلـه
لـسـخـريـة إقـراراهـم أو تـهـكـم
لـتـعـزيـز طـاغ جـاءت ابـنـة بـحـدل[6]
بـه نـابـذ الـديـن الـحـنـيـفـي مـجـرم
وخـذلان هـاد أشـرقـت فـي جـبـيـنـه
أشـعـة أنـوار الـحـبـيـب الـمـعـظم
وحـيـن اسـتـوى فـي كـربـلاء مـخـيـمـاً
بـتـربـتـهـا أكـرم بـه مـن مـخـيـم
أحـاطـت بـه تـلك الأخـابـث مـثـل مـا
يـحـيط سـوار مـن حـديـد بـمـعـصـم
وصـدوه عـن مـاء الـفـرات لـيـطردوا
عـن الحـوض حتى يـقـذفـوا في جـهـنـم

---

(١) طلق الوجه مشرقه وطلق اليدين سمحهما .
(٢) المقسم الجميل .
(٣) العرمرم الجيش الكبير .
(٤) تألب القوم جاؤا من كل جانب .
(٥) الفراش الذبان المتهافتة في السراج .
(٦) ابنة بحدل هي ميسون بنت بحدل الكلابي أم عدو الله يزيد بن معاوية عليه اللعنة .

وسامـوه إعـطاء الـدنـيـة عـنـدمـا
رأوا منـه سمـت[1] الخـادر[2] الـمتـوسـم[3]
وهـيهـات أن يـرضـى ابن حـيـدرة الـرضـا
بـخـطة خـسـف أو بـحـال مـذمـم
أبـت نـفـسـه الـشـمـاء إلّا كـريـهـة
يـمـوت بـهـا مـوت الـعـزيـز الـمـكـرم
هـو الـمـوت مـر الـمـجتـنـى غـيـر أنـه
ألـذ وأحـلى مـن حـيـاة الـتـهـضـم
فـأذكى شـواظ الحـرب بـالعسـل الـظـمـا
وشـب لـظاهـا من شبـا[4] كـل مـخـدم[5]
وقـارع حـتـى لـم يـدع سـيـف بـاسـل
بـمـعـتـرك الـهـيـجـاء غـيـر مـثـلم
وصبحهم بـالشـوس[6] من صيـد[7] قـومـه
نـسـور[8] الـفـيـافـي مـن فـرادى وتـوأم
على ضمـر تـأتم في حـومـة[9] الـوغى[10]
بيحمـومـة[11] أوذي[12] الـنجـاح الـمحـوم

---

(١) السمت الهيئة .
(٢) الخادر الأسد في اكمته .
(٣) المتوسم المتفكر .
(٤) شبا السيف حده .
(٥) المخدم القاطع من السيوف .
(٦) الشوس جمع أشوس وهو الجري على القتال الشديد .
(٧) الصيد جمع أصيد وهو الملك والأسد .
(٨) النسر الجارح المعروف .
(٩) الحومة أشد مواضع القتال .
(١٠) الوغى غمغمة الأبطال في الحرب .
(١١) اليحموم إسم فرس سيدنا الحسين بن علي عليهما السلام .

يـبيـعـون في الـجـلى نـفـائس أنـفس

لـنـصـر الـهـدى لا نـيـل جـاه ودرهـم

ولـمـا أراد الله إيـقـاف روحـه

بـمـنـظره الأعـلى وقـوف الـمـسـلم

أتـاح لـه نـيـل الـشـهـادة راقـيـا

مـعـارج مـجـد صـعـبـة الـمـتـسـنم

فـديـتـك بـدراً بـرجـه سـرج سـابـح

هـوى فـانـطوى سـر الـعـبـاء الـمـطلسم

خـضـيـب دمـاء كـالـعـروس يـزف فـي

قـبـاء بـصـبـغ الأرجـوان[1] مـرسـم[2]

مـعـفـره بـالـتـرب أعـضـاء جـسـمـه ال

كـريـم وهـذا سـر حـل الـتـيـمـم

ومـا ضـره أن أوطئـوا حـر صـدره

سـنـابـك ورد[3] ذي نـعـال وادهـم

ولـكـنـهـا شـنـعـاء تـوجـب لـعـنـهـم

وتـحـسـر عـن وجـه الـنـفـاق الـمـلـثم

هي الفتـنـة الـصـمـاء لـم يـلف بـعـدهـا

مـنـار مـن الإيـمـان غـيـر مـهـدم

ينـيـر ديـن الله سـبط رسـولـه

وعـترتـه خـوص[4] الـمـنـيـة تـرتمـي

=(١٢) الأرجوان نبت أحمر معروف .

(١) ذي الجناح إسم فرس له أيضاً .

(٢) مرسم مخطط .

(٣) الورد والأدهم من أنواع الخيل باعتبار اللون .

(٤) الخوض الركاب الضيقة العيون .

كليث الشرى العباس والشبل قاسم
وعميه والفتاك عون ومسلم
عرفنا بهم معنى إذا الشمس كورت
ورمز انكدار في النجوم مكتم
بها اهتز عرش الله وارتجت السما
بأملاكها من هول لها المتجشم
بها اسودت الدنيا التي وتهتكت
بها حرمة البيت العتيق وزمزم
أولاك الكرام المبتغو فضل ربهم
ورضوانه تحت العجاج المقتم
سقى الله بالطف الشريف قبورهم
بوابل من الجود الإلهي منجم[١]
وزادهم المولى علاً وكرامة
بأفضل تسليم عليهم وأدوم
وبعداً لقوم لم يقوموا لنصرهم
على قدرة منهم بعزم مصمم
رأوا شيعة الرجس ابن سعد[٢] وشمر[٣]
تجاولهم وابن[٤] الدعي الجهنمي
ولم تتحرك للحفيظة[٥] منهم
حفائظ تطغى منهم كل مرقم[٦]

(١) المنجم المطر الدائم السريع .

(٢) ابن سعد هو عمر بن سعد بن أبي وقاص عدو الله ورسوله .

(٣) شمر هو بن ذي الجوشن السكوني لعنه الله قاتل الحسين عليه السلام .

(٤) ابن الدعي هو عدو الله عبيد الله بن زياد عليه اللعنة .

(٥) الحفيظة الأولى التمسك بالود والعهد والثانية الحمية .

(٦) المرقم كمنبر في الأصل القلم وتقول العرب للشديد الغضب طغى مرقمه .

أيـزوى ابـن طـه عـن مـنـصـة جـده
ويـرضـى لهـا تـرب الـخـلاعـة عبـشـمي

كـأن الـهـدى من بيت صـخـر تـفـجـرت
يـنـابيـعـه والـوحي مـن ثـم يـنـتـمي

فـيـا أسـرة الـعـصـيـان والـزيـغ من بني
أمـيـة من يـسـتـخـصـم الله يـخـصـم

هـدمـتـم ذرى أركـان بـيـت نـبـيـكـم
لـتشـيـيـد بـيـت بـالـمـظالـم مـظلم

تـداركـتـم فـي الـبـغـي ولـدا ووالـداً
وزخـرفـتـم أفـك الـحـديث الـمـرجـم

ولـم تـمـح حـتـى الآن آثـار زوركـم
وتـصـديقـه ممـن عن الحق قـد عـمـي

فـأصـل الشقـا أنتم ومـن يحذو حـذوكم
لـه يـسـدى جلبـاب الـعـذاب ويـلحـم

فـلا تـكـتـمـن الله مـا فـي نـفـوسـكـم
لـتـخـفـى ومـهـمـا يـكـتـم الله يـعـلم

ولا بـدع إن حـاربـتـم الله إنـهـا
لـشـنـشـنـة مـن بـعض أخـلاق أخـزم

ونـازعـتـم الـجـبـار فـي جـبـروتـه
ولـكـنـه مـن راغـم الله يـرغـم

ولـم تـحـسـبـوا من طيشكـم أن عـنـكـم
عيـون قـصـاص الـغيـب ليـست بـنـوم

سـتـجـزون فـي الأخـرى نـكـالاً مـؤبـداً
عـلى مـا اقـتـرفـتـم مـن عـقـوق ومـأثـم

غـدرتـم بـسـادات الـبـريـة غـدرة الـيـ
هـود بـيـحـيـى والـمـسـيـح بن مـريـم
وإنـا وإن كـنـا مـن الـضـيـم والأسـى
وفـرط الـتـلـظي نـمـزج الـدمـع بـالـدم
فـلسنـا الأولى نـنحـو بـنـدب سـراتـنـا
نـيـاح الـغـوانـي خـفـن سـوء الـتـأيـم
ولـكـنـنـا غـيـظاً نـعض أكـفـنـا
لـمـا فـاتـنـا مـن ثأرنـا الـمـتـقـدم
ومـا من بـواء[1] في بـنـي الـلـؤم تـشـتـفـي
بـه الـنـفس مـن بـلـبـالـهـا والـتـذمـم
ولـكـن إغـضـاء[2] الـجـفـون عـلى الـقـذى
وتـمـهـيـد عـذر الـمـعـتـدى شـر مـيـسـم
ومـن شـوم سـوء الـحظ كـان بـروزنـا
مـن الـغـيـب بـعـد الـمـشـرب الـمـتـوخـم
ويـا لـيـت أنـا والأمـانـي عـذبـة
شهـدنـا وطيس الحـرب بـالـطف إذ حمي
لـخضـنـا عبـاب الـهـول تـشـتـد تـحـتـنـا
خـمـاص الـطوى من كـل طـام مـطهـم
وقـائـدنـا يـوم الـذمـار ابـن فـاطـم
كـأشـبـال غـاب أمـهـا خـيـر ضـيـغـم
لـنـدرك أحـدى الـحـسـنـيـيـن بـنـصـره
مـنـال الأمـانـي أو مـنـيـة مـقـدم

(١) البواء الكفء يقال دم فلان بواء لفلان أي كفؤ له .
(٢) الإغضاء والقذى معلومان والعرب تقول أغضى الجفن على القذى إذا احتمل الضيم .

أجل قدرة المولى تبارك أنفذت
إرادته طبق القضاء المحتم

لتبيض يوم الحشر بالبشر أوجه
وتسود أخرى لارتكاب المحرم

نبي الورى بعد انتقالك كم جرى
ببيتك بيت المجد والمنصب السمي

دهتهم ولما تمض خمسون حجة
خطوب متى يلممن بالطفل يهرم

فكم كابد الكرار بعدك من قلى
وخلف إلى فتك الشقي ابن ملجم

وصبت على ريحانتيك مصائب
شهيد المواضي والشهيد المسمم

ضغائن ممن أعلن الدين مكرها
ولولا العوالي لم يوحد ويسلم

أضاعوا مواثيق الوصية فيهم
ولم يرقبوا إلاًّ[1] ولا شكر منعم

فسق غير مأمور إلى النار حزبهم
إذا قيل يوم الفصل ما شئت فاحكم

حبيبي رسول الله إنا عصابة
بمنصبك السامي نعز ونحتمي

لنا منك أعلى نسبة باتباعنا
لهديك في أقوى طريق وأقوم

(١) الألّ العهد والحلف .

ونسبة ميلاد فم الطعن دونها
على الرغم مغتص بصاب[1] وعلقم
نعظم من عظمت ملأ صدورنا
ونرفض رفض النعل من لم تعظم
لدى الحق خشن لا نداجي طوائفاً
لديهم دليل الوحي غير مسلم
سراعاً إلى التأويل وفق مرادهم
لرفع ظهور الحق بالمتوهم
هل الدين بالقرآن والسنة التي
بها جئت أم أحكامه بالتحكم
ولكن عن التمويه ينكشف الغطا
لدى الملك الديان يوم التندم
وأزكى صلاة الله ما ذر[2] بازغ
وما افتر ثغر البارق المتبسم
على روحك المعنى الذي الفيض منه في
مجرد هذا الكون والمتجسم
وعترتك المستودعي سر علمك المصـ
ـون عن الأغيار عرب وأعجم
وأصحابك المروين في نصرة الهدى
صدى[3] كل مشحوذ[4] الغرار[5] ولهذم[6]

(١) الصاب نبت مر الطعم والعلقم الحنظل وكل شيء مر المذاق .
(٢) ذر النجم طلع والذر أول ساعة من الطلوع .
(٣) الصدى العطش .
(٤) المشحوذ المسنون .
(٥) الغرار بكسر الغين حد السيف .
(٦) اللهذم القاطع من الأسنة .

صــلاة كــمــا أحــبــبت مــشــفــوعــة الأدا
بــنــشــر ســلام بــالعــبــيـر مــخــتــم

خاتمة الرسالة

يقول جامع هذه الرسالة غفر الله ذنوبه. وستر عيوبه قد انتهى ما يسر الله جمعه من هذه الرسالة وجف القلم عن زيادة الإسترسال فيه خوف الإطالة وأشهد الله على نفسي أني ما كتبته إلّا غيرة على الدين ولا جمعته إلّا قياماً ببعض أوامر سيد المرسلين إظهاراً للحق المكتوم وتمييزاً للظالم من المظلوم وإني أعرف أنها ستسر رجالاً نفوسهم بالإنقياد إلى الحق مطمئنة وقلوبهم مذعنة لما جاء به الكتاب والسنة وأكاد أجزم أنها ستغضب أقواماً آخرين وتحل بمنزلة السخط لدى كثيرين بل ربما حمل بعضهم الغيض على بغضي وعدل به التعصب الذميم عن تقريظي إلى قرضي .

يشيرون بالأيدي إلي وقولهم ألا خاب هذا والمشيرون خيب

على أنني ما جئتهم إلّا بالحق الصراح ولا ناديت في نواديهم إلّا بحي على الفلاح ولو أنهم نظروا إلى ما كتبت بعين الإنصاف ونبذوا عن كواهلهم أردية التعصب والإعتساف لعاد غضبهم مما ذكرت طمأنينة وانقلب سبهم لي حمداً واستحال بغضهم لي حباً ومع هذا فلا أبرىء نفسي من خطأ منشوءه قصور فهمي أو وجود معارض لم يبلغ

إليـه علمي فأستغفـر الله تعـالى من كـل مـا زل بـه القلم عن المنهـج القـويم وأضرع إليـه أن يهديني وإيـاهم الصـراط المستقيم وصلى الله وسلم على سيـدنـا محمـد وآلـه الـطيبين الـطاهـرين وعلى أصحـابـه المجاهدين المتقين وعلى التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين والحمد لله رب العالمين وكان الفراغ من التحرير ليلة السبت لإحدى عشرة ليلة خلت من شهر صفر عام ١٣٢٦هـ بمدينـة سنغافـورة بقلم العبد الضعيف محمد بن عقيل بن عبد الله بن يحيى عفا الله عنهم بمنه آمين .

كتاب المعتضد بالله العباسي في أمر الأمة بلعن معاوية

هذا نص الكتاب الذي كتبه المعتضد بالله الخليفة العباسي في أمر الأمة بلعن معاوية وإرشادهم إلى ما يجب عليهم من رفضه وبغضه منقولاً بالحرف من تاريخ العلامة أبي جعفر محمد بن جرير الطبري رحمه الله تعالى .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله العلي العظيم الحليم الحكيم العزيز الرحيم المنفرد بالوحدانية الباهرة بقدرته الخالق بمشيئته وحكمته الذي يعلم سوابق الصدور وضمائر القلوب لا يخفى عليه خافية ولا يغرب عنه مثقال ذرة في السموات العلى ولا في الأرضين السفلى قد أحاط بكل شيء علماً وأحصى كل شيء عدداً وضرب لكل شيء أمداً وهو العليم الخبير والحمد لله الذي برأ خلقه لعبادته وخلق عباده لمعرفته على سابق علمه في طاعة مطيعهم وماضي أمره في عصيان عاصيهم فبين لهم ما يأتون وما يتقون ونهج لهم سبل النجاة وحذرهم مسالك الهلكة وظاهر عليهم الحجة وقدم إليهم المعذرة واختار لهم دينه الذي ارتضى لهم وأكرمهم به وجعل المعتصمين بحبله والمتمسكين بعروته أولياءه وأهل طاعته

والعاندين عنه والمخالفين له أعداءه وأهل معصيته ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة وأن الله لسميع عليم والحمد لله الذي اصطفى محمداً رسوله من جميع بريته واختاره لرسالته وابتعثه بالهدى والدين المرتضى إلى عباده أجمعين وأنزل عليه الكتاب المبين المستبين وتأذن له بالنصر والتمكين وأيده بالعز وبالبرهان المتبين فاهتدى به من اهتدى واستنقذ به من استجاب له من العمى وأضل من أدبر وتولى حتى أظهر الله أمره وأعز نصره وقهر من خالفه وأنجز له وعده وختم به رسله وقبضه مؤدياً لأمره مبلغاً لرسالته ناصحاً لأمته مرضياً مهتدياً إلى أكرم مآب المنقلبين وأعلى منازل أنبيائه المرسلين وعباده الفائزين فصلى الله عليه أفضل صلاة وأتمها وأجلها وأعظمها وأزكاها وأطهرها وعلى آله الطيبين والحمد لله الذي جعل أمير المؤمنين وسلفه الراشدين المهتدين ورثة خاتم النبيين وسيد المرسلين والقائمين بالدين والمقومين لعباده المؤمنين والمستحفظين ودائع الحكمة ومواريث النبوة والمستخلفين في الأمة والمنصورين بالعز والمنعة والتأييد والغلبة حتى يظهر الله دينه على الدين كله ولو كره المشركون وقد انتهى إلى أمير المؤمنين ما عليه جماعة من العامة من شبهة قد دخلتهم في أديانهم وفساد قد لحقهم في معتقدهم وعصبية قد غلبت عليها أهواؤهم ونطقت بها ألسنتهم على غير معرفة ولا روية وقلدوا فيها قادة الضلالة بلا بينة ولا بصيرة وخالفوا السنن المتبعة إلى الأهواء المبتدعة قال الله عز وجل ﴿ **ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله أن الله لا يهدي القوم الظالمين**﴾[1] خروجاً عن الجماعة ومسارعة إلى الفتنة وإيثاراً للفرقة وتشتيتاً للكلمة وإظهاراً لموالاة من قطع الله عنه الموالاة وبتر منه العصمة وأخرجه من الملة وأوجب عليه

---

(١) سورة القصص : الآية ٥٠ .

اللعنة وتعظيماً لمن صغر الله حقه وأوهن أمره وأضعف ركنه من بني أمية الشجرة الملعونة ومخالفة لمن استنقذهم الله الهلكة وأسبغ عليهم به النعمة من أهل بيت البركة والرحمة ، قال : الله عز وجل يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم فأعظم أمير المؤمنين ما انتهى إليه من ذلك ورأى ترك إنكاره حرجاً عليه في الدين وفساداً لمن قلده الله أمره من المسلمين وإهمالاً لما أوجبه الله عليه من تقويم المخالفين وتبصير الجاهلين وإقامة الحجة على الشاكين وبسط اليد على المعاندين وأمير المؤمنين يرجع إليكم معشر الناس بأن الله عز وجل لما ابتعث محمداً بدينه وأمره أن يصدع بأمره بدأ بأهله وعشيرته فدعاهم إلى ربه وأنذرهم وبشرهم ونصح لهم وأرشدهم فكان من استجاب له وصدق قوله واتبع أمره نفر يسير من بني أبيه من بين مؤمن بما أتى به من ربه وبين ناصر له وإن لم يتبع دينه إعزازاً له وإشفاقاً عليه لماضي علم الله فيمن اختار منهم ونفذت مشيته فيما استودعه إياه من خلافته وارث نبيه فمؤمنهم مجاهد بنصرته وحميته يدفعون من نابذه وينهرون من عارضه وعانده ويتوثقون له ممن كاتفه وعاضده ويبايعون له من سمح بنصرته ويتجسسون له أخبار أعدائه ويكيدون له بظهر الغيب كما يكيدون له برأي العين حتى بلغ المدى وحان وقت الإهتداء فدخلوا في دين الله وطاعته وتصديق رسوله والإيمان به بأثبت بصيرة وأحسن هدى ورغبة فجعلهم الله أهل بيت الرحمة وأهل بيت الدين أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً ومعدن الحكمة وورثة النبوة وموضع الخلافة وأوجب لهم الفضيلة وألزم العباد لهم الطاعة وكان ممن عانده ونابذه وحاربه من عشيرته العدد الأكثر والسواد الأعظم يتلقونه بالتكذيب والتثريب ويقصدونه بالأذية والتخويف ويبادونه بالعداوة وينصبون له المحاربة ويصدون عنه من قصده وينالون بالتعذيب من اتبعه وأشدهم في ذلك عداوة وأعظمهم له مخالفة وأولهم في كل حرب ومناصبة لا يرفع على

الإسلام راية إلّا كان صاحبها وقائدها ورئيسها في كل مواطن الحرب من بدر وأحد والخندق والفتح أبو سفيان بن حرب وأشياعه من بني أمية الملعونين في كتاب الله ثم الملعونين على لسان رسول الله في عدة مواطن وعدة مواضع لماضي علم الله فيهم وفي أمرهم ونفاقهم وكفر أحلامهم فحارب مجاهداً ودافع مكابداً وأقام منابذاً حتى قهره السيف وعلا أمر الله وهم كارهون فتقول بالإسلام غير منطو عليه وأسر الكفر غير مقلع عنه فعرفه بذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمون وميز له المؤلفة قلوبهم فقبله وولده على علم منه فمما لعنهم الله به على لسان نبيه صلى الله عليه وآله وسلم وأنزل به كتاباً قوله الشجرة الملعونة في القرآن﴿ونخوفهم فما نزيدهم إلّا طغياناً كثيراً﴾[1]. ولا اختلاف بين أحد أنه أراد بها بني أمية ومنه قول الرسول عليه السلام وقد رآه مقبلاً على حمار ومعاوية يقود به ويزيد ابنه يسوق به لعن الله القائد والراكب والسائق ، ومنه ما يرويه الرواة من قوله يا بني عبد مناف تلقفوها تلقف الكرة فما هناك جنة ولا نار وهذا كفر صراح يلحقه به اللعنة من الله كما لحقت الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ومنه ما يروون من وقوفه على ثنية أحد بعد ذهاب بصره وقوله لقائده ههنا ذبينا محمداً وأصحابه ، ومنه الرؤيا التي رآها النبي صلى الله عليه وآله وسلم فوجم لها فما رؤي ضاحكاً بعدها فأنزل الله ﴿ وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلّا فتنة للناس﴾[2]فذكروا أنه رأى نفراً من بني أمية ينزون على منبره ومنه طرد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الحكم بن أبي العاص لحكايته إياه وألحقه الله بدعوة رسوله آية باقية حين رآه

---

(١) سورة الإسراء : الآية ٦٠ .

(٢) سورة الإسراء : الآية ٦٠ .

يتخلج فقال له كن كما أنت فبقي على ذلك سائر عمره إلى ما كان من مروان في افتتاحه أول فتنة كانت في الإسلام واحتقابه لكل دم حرام سفك فيها أو أريق بعدها ومنه ما أنزل الله على نبيه في سورة القدر ﴿ليلة القدر خير من ألف شهر﴾[1] من ملك بني أمية ومنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دعا بمعاوية ليكتب بأمره بين يديه فدافع بأمره واعتل بطعامه فقال النبي لا أشبع الله بطنه فبقي لا يشبع ويقول والله ما أترك الطعام شبعاً ولكن أعيا ومنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : يطلع من هذا الفج رجل من أمتي يحشر على غير ملتي فطلع معاوية ومنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه ومنه الحديث المرفوع المشهور أنه قال إن معاوية في تابوت من نار في أسفل درك منها ينادي يا حنان يا منان ﴿الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين﴾[2] ومنه انبراؤه بالمحاربة لأفضل المسلمين في الإسلام مكاناً وأقدمهم سبقاً وأحسنهم فيه أثراً وذكراً علي بن أبي طالب ينازعه حقه بباطله ويجاهد أنصاره بضلاله وغواته ويحاول ما لم يزل هو وأبوه يحاولانه من إطفاء نور الله وجحوده دينه ويأبى الله إلّا أن يتم نوره ولو كره المشركون يستهوي أهل الغباوة ويموه على أهل الجهالة بمكره وبغيه الذين قدم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الخبر عنهما فقال لعمار تقتلك الفئة الباغية تدعوهم إلى الجنة ويدعونك إلى النار مؤثراً للعاجلة كافراً بالآجلة خارجاً من ربقة الإسلام مستحلاً للدم الحرام حتى سفك في فتنته وعلى سبيل ضلالته ما لا يحصى عدده من خيار المسلمين الذابين عن دين الله والناصرين لحقه مجاهداً لله مجتهداً في أن يعصى الله فلا يطاع وتبطل أحكامه فلا تقام ويخالف دينه فلا يدان وأن تعلو كلمة الضلالة وترتفع

(١) سورة القدر : الآية ٢ .
(٢) سورة يونس : الآية ٩١ .

دعوة الباطل وكلمة الله العليا ودينه المنصور وحكمه المتبع النافذ وأمره الغالب وكيد من حاده المغلوب الداحض حتى احتمل أو زار تلك الحروب وما اتبعها أو تطوق تلك الدماء وما سفك بعدها وسن سنن الفساد التي عليه أثمها وإثم من عمل بها إلى يوم القيامة وأباح المحارم لمن ارتكبها ومنع الحقوق أهلها واغتره لإملاء واستدرجه والله له بالمرصاد ثم مما أوجب الله به اللعنة قتله من قتل صبراً من خيار الصحابة والتابعين وأهل الفضل والديانة مثل عمرو بن الحمق وحجر بن عدي فمن قتل أمثالهم في أن يكون له العزة والملك والغلبة ولله العزة والملك والقدرة والله عز وجل يقول : ﴿ **ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً** ﴾[1] ومما استحق به اللعنة من الله ورسوله ادعاؤه زياد بن سمية جرأة على الله والله يقول ﴿ **أدعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله** ﴾[2] ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول ملعون من ادعى إلى غير أبيه وانتمى إلى غير مواليه ويقول الولد للفراش وللعاهر الحجر فخالف حكم الله عز وجل وسنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم جهار أو جعل الولد لغير الفراش والعاهر لا يضره عهره فأدخل بهذه الدعوى من محارم الله ومحارم رسوله في أم حبيبة زوجة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وفي غيرها من سفور وجوه ما قد حرمه الله وأثبت بها قربى قد باعدها الله وأباح بها ما قد حظره الله مما لم يدخل على الإسلام خلل مثله ولم ينل الدين تبديل شبهه ومن إيثاره بدين الله ودعاؤه عباد الله إلى ابنه يزيد السكير الخمير صاحب الديوك والفهود والقرود وأخذه البيعة له على خيار المسلمين بالقهر والسطوة والتوعيد والإخافة والتهدد والرهبة وهو يعلم سفهه ويطلع على خبثه ورهقه ويعاين سكره وفجوره وكفره

(١) سورة النساء : الآية ٩٣ .

(٢) سورة الأحزاب : الآية ٥ .

فلمـا تمكن منه مـا مكنه منـه ووطأه لـه وعصى الله ورسولـه فيـه طلب بثارات المشركين وطوائلهم عند المسلمين فأوقع بـأهل الحـرة الوقيعـة التي لـم يكن في الإسـلام أشنـع منهـا ولا أفحش ممـا ارتكـب من الصـالحين فيها وشفي بـذلك عنـد نفسه وغليله وظن أن قـد انتقم من أولياء الله وبلغ النوى لأعداء الله فقال مجاهراً بكفره ومظهراً الـشرك :

ليت أشيـاخي ببـدر شهـدوا — جزع الخـزرج من وقـع الأسـل
قـد قتلنـا القـوم من سـاداتكم — وعـدلنـا ميـل بـدر فـاعتـدل
لأهـلـوا واستـهـلوا فـرحـاً — ثم قـالـوا يـا يـزيـد لا تشـل
لست من خنـدف إن لـم أنتـقم — من بني أحمـد مـا كـان فعـل
لـعبـت هـاشم بـالـملك فـلا — خـبـر جـاء ولا وحـي نـزل

هـذا هو المـروق من الدين وقـول من لا يرجـع إلى الله ولا إلى دينه ولا إلى كتابه ولا إلى رسوله ولا يؤمن بالله ولا بما جاء من عند الله ثم من أغلظ مـا انتهك وأعـظم مـا اجتـرم سفكـه دم الحسين بن علي وابن فـاطمة بنت رسـول الله صلى الله عليه وآلـه وسلم مع مـوقعه من رسـول الله صلى الله عليه وآلـه وسلم ومكانـه منـه ومنـزلتـه من الـدين والفضل وشهادة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم له ولأخيـه بسيادة شباب أهل الجنة اجتراء على الله وكفراً بدينه وعداوة لرسوله ومجاهـدة لعترته واستهانة بحرمته فكأنما يقتل به وبأهل بيتـه قومـاً من كفار أهـل الترك والديلم لا يخاف من الله نقمة ولا يرقب منه سطوة فبتر الله عمره واجتث أصله وفرعه وسلبه ما تحت يده وأعد له من عذابـه وعقوبتـه ما استحقـه من الله بمعصيته هـذا إلى ما كـان من بني مروان من تبـديـل كتـاب الله وتعـطيـل أحكـامـه واتخـاذ مـال الله دولا بينهم وهـدم بيتـه واستحلال حرامه ونصبهم المجانيق عليه ورميهم إياه بالنيران لا يـألون له إحراقاً وإخراباً ولما حرم الله منه استباحة وانتهاكاً ولمن لجأ إليه قتلاً وتنكيـلاً ولمن أمنه الله بـه أخافـة وتشريـداً حتى إذا حقت عليهم كلمة

العذاب واستحقوا من الله الإنتقام وملؤا الأرض بالجور والعدوان وعموا عباد الله بالظلم والإقتسار وحلت عليهم السخطة ونزلت بهم من الله السطوة أتاح الله لهم من عترة نبيه وأهل وراثته من استخلصهم منهم بخلافته مثل ما أتاح الله من أسلافهم المؤمنين وآبائهم المجاهدين لأوائلهم الكافرين فسفك الله بهم دماءهم مرتدين كما سفك بآبائهم دماء آباء الكفرة المشركين وقطع الله دابر القوم الظالمين والحمد لله رب العالمين ومكن الله المستضعفين ورد الله الحق إلى أهله المستحقين كما قال جل شأنه ﴿ **ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين**﴾(١)واعلموا أيها الناس أن الله عز وجل إنما أمر ليطاع ومثل ليتمثل وحكم ليقبل وألزم الأخذ بسنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم ليتبع وأن كثيراً ممن ضل فالتوى وانتقل من أهل الجهالة والسفاه ممن اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله وقد قال الله عز وجل﴿**فقاتلوا أئمة الكفر**﴾(٢)فانتهوا معاشر الناس عما يسخط الله عليكم وارجعوا إلى ما يرضيه عنكم وأرضوا من الله بما اختار لكم والزموا ما أمركم به وجانبوا ما نهاكم عنه واتبعوا الصراط المستقيم والحجة البينة والسبل الواضحة وأهل بيت الرحمة الذين هداكم الله بهم بديئاً واستنقذكم بهم من الجور والعدوان أخيراً وصاركم إلى الخفض والأمن والعز بدولتهم وشملكم الصلاح في أديانكم ومعايشكم في أيامهم والعنوا من لعنه الله ورسوله وفارقوا من لا تنالون القربة من الله إلاّ بمفارقته أللّهم العن أبا سفيان بن حرب ومعاوية ابنه ويزيد بن معاوية ومروان بن الحكم وولده أللّهم العن أئمة الكفر وقادة الضلالة وأعداء الدين ومجاهدي الرسول ومغيري الأحكام ومبدلي الكتاب وسفاكي الدم الحرام أللّهم أنا نتبرأ إليك من موالاة

---

(١) سورة القصص : الآية ٥ .

(٢) سورة التوبة : الآية١٢ .

أعـدائك ومن الإغمـاض لأهل معصيتـك كمـا قلت ﴿ لا تجـد قـومـاً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسـوله﴾[1] يـا أيها النـاس اعرفوا الحق تعرفوا أهله وتأملوا سبل الضلالة تعرفوا سـابلها فـإنه إنمـا يبين عن النـاس أعمـالهم ويلحقهم بـالضـلال والصـلاح آبـاؤهم فـلا يـأخـذكم في الله لـومـة لائم ولا يميلن بكم عن دين الله استهـواء من يستهويكم وكيد من يكيـدكم وطاعـة من تخرجكم طـاعته إلى معصيـة ربكم أيهـا النـاس بنـا هـداكم الله ونحن المستحفـظون فيكم أمـر الله ونحن ورثـة رسول الله والقـائمون بـدين الله فقفوا عنـدما نقفكم عليـه وانفـذوا لما نـأمركم بـه فإنكم مـا أطعتم خلفاء الله وأئمـة الهدى على سبيل الإيمان والتقوى أمير المؤمنين يستعصم الله لكم ويسأله تـوفيقكم ويـرغب إلى الله في هـدايتكم لـرشـدكم وفي حفظ دينـه عليكم حتى تلقوه به مستحقين طاعته مستحقين لـرحمته والله حسب أميـر المؤمنين فيكم وعليـه توكله وبـالله على ما قلده من أمـوركم استعانتـه ولا حـول لأمير المؤمنين ولا قوة إلاّ بالله والسلام عليكم .

(١) سورة المجادلة : الآية ٢٢ .

تقريض من السيد ابن شهاب

بسم الله جل جلاله وله الحمد والصلاة والسلام على أكرم رسول وأشرف عبد وعلى آله وأصحابه من بعده .

إليك أيها الناظر ، رسالة ناطقة بالصدق صادعة بالحق مستمدة من كتاب الله وحديث رسوله حاكمة على المدلول من صريح دليله ناظرة في الأدلة نظر البصير الناقد قاطعة حبال التقليد الأعمى والتأويل الفاسد مرضية لأرباب التقوى مغضبة لأصحاب الأهواء متجافية عن المغالطة والتعصب منزهة عن المداهنة والتذبذب معلنة فواقر الفئة الباغية كاشفة جرائر الطاغية معاوية مميزة للخبيث من الطيب فارقة بين المشرق والمغرب تظافر المحققون على تصديقها تبادر المنصفون إلى ارتشاف رحيقها .

يقولون لي صفها فأنت بوصفها
خبير نعم عندي بأوصافها علم

رشاد ولا غي وصبح ولا دجى
وصدق ولا أفك وبر ولا إثم

هي العلم قال الله قال رسوله
هي الحق والإنصاف والفصل والحكم

كيف لا وجامعها فرع الدوحة النبوية وعرابة راية العصابة العلوية أخـونا المـاجد الفضيـل السيد محمـد بن عقيل أعلى الله كعبـه ونصـر حزبه وأجزل على صنيعه أجره ورفع بين الصالحين ذكره وقدره وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

كتبه العبد العاجز أبو بكر بن عبد الرحمن

ابن شهاب الدين العلوي الحسيني

عفى الله عنه

آمين

تقريض آخر من الشيخ صالح اليافعي

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الجاعل من أفاضل أهل بيت نبيـه الأمين من ينفي عن دينه تحـريف الغـالين وانتحـال المبـطلين والصـلاة والسلام على الصـادق المعصـوم من الخـطأ سيـدنـا وحبيبنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب وعلى آله الوارثين أسـراره المصونـة عن الأغيـار وأصحابـه الذين أغـاظ الله بهم الكفار وعلى التـابعين لهم بـأحسان إلى يوم الـدين أما بعـد فإني وقفت على الـرسـالـة الفـريـدة المسماة بالنصائح الكافية لمن يتولى معاويـة التي ألفها مـولانا العـلامة الفاضل السيد السند محمد بن عقيل بن يحيى العلوي الحضـرمي متع الله بحيـاته وأفـاض علينا من بـركاتـه وطالعتهـا بنـظر النـاقـد المتبصر والباحث المتفكر فوجدته أطال الله بقاءه قد فض الإشكال وأتى بفضل المقال بما أوضح به جـادة الصواب ولم تبق معـه شبهة لمـرتاب ارتـاد نفـع الله به الحق فـورده وتوخى الصـواب فشد عليـه يـده ثم زفـه إلى محبيه في أبهى حلله وأجلى مظاهره شرح ذلك بعبارات وثيقـة المباني صحيحة المعاني بين الحقيقة وأشاد أركانها وسهل الطريق إليها ونصب أعـلامها ، إعتمـد على الكتـاب والسنـة ، واقتـدى بـأنصـار الحق من الرعيل الأول ، خيار سلف الأمة ، فالحق أقول أن من أنكـر شيئاً ممـا

اشتملت عليه هذه الرسالة أو شك فيما تضمنته هذه العجالة ، فهو أحد رجلين ، أما مكابر جاحد للحقائق الثابتة بالأدلة الصحيحة ، أو مغفل ظن أن متبعاً لآبائه أو مقلديه ، وهو في الواقع مخالف لهم ، فيا خسارة مسعاه ومن أضل ممن اتخذ إلٰهه هواه وسيتبرأ ويأبى منهم الآباء والصالحون وسوف يقولون كما قال المسيح عليه السلام ﴿ **سبحانك ما كان ينبغي لي أن أقول ما ليس لي بحق** ﴾ الآية[1] .

يحقق ذلك أن أكثر الأمة إنما يروي عنهم السكوت في هذه المسائل ولا قول لساكت على أن من اختار السكوت منهم فإنما اختاره خوفاً على نفسه وماله وعرضه حين جبروت معاوية ومن خلفه من جبابرة بني أمية وظلمتهم ولم ينقض هذا الضغط بانقضاء دولة بني أمية بل كل متغلب في الإسلام عرف أنه لا تتم له نواياه السيئة إلّا إذا جرى على سنن معاوية من استعباد الأمة وفطمها عن الحرية في القول والعمل وإماتة شعورها ، وبالفعل جرى على الأمة الإسلامية من ذلك أشده وأشقه حتى أثر فيها أسوأ تأثير وقد أبى تحمل هذا الهوان بعض أفراد فحاربوا هؤلاء الظلمة وأنكروا عليهم فقضى على كثير منهم بالشهادة والسعادة واضطر الأكثرون إلى السكوت ، وقد نقل عن بعضهم أقوال متناقضة وكان الواجب تقديم أقوالهم في الجرح على أقوالهم في التعديل ، لأن التعديل يمكن أن يكون تقية لكن كثيراً من المتأخرين عكسوا القضية فقدموا التعديل على الجرح والنفي على الإثبات وفرضوا السكوت أيضاً تعديلاً ، فغلطوا وكان مذهبهم في هذه المسائل بناء على غير أساس وربما كان الحامل لبعضهم على ذلك التعديل حسن الظن أو أن التعديل أحوط ، ولا عجب من هؤلاء فإن بعضهم حظر جرح فرعون الذي أتبعه الله اللعنة وليس الأمر كما يظنون

---

(١) سورة المائدة : الآية ١١٦ .

لأن المجاملة والتساهل لا يجوز في حقوق الله تعالى وقد أوضح جميع ذلك صاحب هذه الرسالة حفظه الله وشكر سعيه ووفاه أجره .

يقدر المخالف أن يعترض على بعض مسائل الرسالة بكونها مخالفة لبعض أقوال فلان وفلان من العلماء ولكنه لا يقدر أن يعترض على شيء منها بكونه مخالفاً لكتاب الله تعالى أو سنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ونحن إذا صرحنا بموافقتنا لجامع هذه الرسالة فإنما نوافقه طاعة لله تعالى ، ولرسوله عليه الصلاة والسلام ، وكراهة للظلم وأهله وغيرة على الأمة بكراهة أعدائها المستبدين بالقهر والغضب والنهب لا سيما إمامهم وقدوتهم معاوية الذي هو أول من شق عصا المسلمين وفرق جماعتهم وخضد شوكتهم وأول من سن اغتصاب منصة الخلافة النبوية من أهلها ومستحقيها لمن ليس لها بأهل من الفسقة الفجرة عبيد أغراضهم الشيطانية وإسراء شهواتهم البهيمية المفسدين أمر هذه الأمة وهو أيضاً أول داع إلى النار في الإسلام وأول ملك خالف السنة وهجر طريقة الخلفاء الراشدين وقاتل من أمكنه قتاله منهم ولو أنه سكت عن سب مولانا ومولى كل مؤمن ومؤمنة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، لساغ لمحبيه من المقلدين ، والمغفلين ، دعوة الناس إلى السكوت عن ذكره ، وذكر فضائحه ، وهو أول من قيد أفكار الأحرار ، وأول من نشر بين الأمة الجواسيس الأشرار ، وأول من عادى أهل البيت الأطهار ، وسامهم سوء العذاب ، وأراد بهم الدمار ، وأول من بدل مودتهم الواجبة عداوة ، وصلة رحمهم قطيعة ، وأول من نفض يديه عن التمسك بأحد الثقلين ، يقول بعض المقلدين إن ترك الخوض في مجريات معاوية وقبائحه وآفاته ، ومظالمه ، هو الواجب ، وهذا خطأ واضح ، وغلط فاضح ، وقال بعضهم إنه الأحوط والأسلم وهذا وإن كان فاسداً إلا أنه أهون مما قبله ، ثم الطامة الكبرى أن بعضهم أثبت له أجراً وثواباً

ولعل ذلك بسبب جده واجتهاده في قتال أمير المؤمنين كرم الله وجهه ، وعدم توانيه وتقصيره في مناصبته ، وعداوته ، يقولون ذلك ويحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم إن من أبعد البعيد دعوى إثابة الباغي وحصول الأجر للطاغي ومن السخافة ترشيح معاوية نفسه للإجتهاد كما يزعمون في تطلب حق يطمع ويزعم أنه أولى به من علي كرم الله وجهه ، كيف وهو باب مدينة العلم ، وما كان من الصحابة من يقول سلوني غيره ، ولولا المجازفة وعدم وضع الأشياء في مواضعها لما دار في خلد بشر ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

أن ما يذكره بعض هؤلاء من الأعذار الباردة عن معاوية وأعوانه هو الذي سبب استسلام المسلمين لكل قاهر غشوم ومستبد ظلوم وبالتقليد الأعمى تفرقوا شيعاً ونبذوا كتاب الله فالأعذار عن معاوية وعن كل ذي ملك عضوض هو في الحقيقة جناية على الإسلام ، وإذا شئت معرفة فساد كل شبهة يوردها عليك هؤلاء المقلدون فدونك هذه الرسالة فإنها قد شحنت بالحق الصراح وماذا بعد الحق إلّا الضلال وأسأل الله التوفيق في القول والعمل وصلى الله على رسوله الأمين وآله وصحبه والتابعين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

قال ذلك وكتبه الحقير صالح بن علي بن ناصر بن علي جابر اليافعي عفى الله عنه آمين .

المحتويات